هاشم عثمان

# تاريخ الشيعة

## في ساحل بلاد الشام الشمالي

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب: ٧١٢

تاریخ التشیع فی ساحل بلاد الشمالی

نویسنده: عثمان، هاشم

زبان: عربی

تعداد جلد: ۱

ناشر: مؤسسة الأعلمی للمطبوعات

مکان چاپ: بیروت

سال چاپ: ۱۴۱۴ ه. ق

نوبت چاپ: اول

ص: ۵

المقدمة

بسم اللّه الرّحمن الرّحیم

الکتابة عن الشیعة فی ساحل بلاد الشام، لیست سهلة، لأن المصادر التاریخیة لم تتناول هذا الموضوع إلا بإشارات عابرة. و مثل الباحث فی هذا التاریخ کمثل الذی یبحث فی لیلة ظلماء عن حبات مسبحة انفرط عقدها من سنین بعیدة، فی حقل مترامی الأطراف.

و کان یمکن لعملنا أن یکون سهلا، و أن تکون هذه الدراسة علی جانب کبیر من الکمال، لو وجدت المصادر التی تسعفنا فی بحثنا.

لکن، مما یؤسف له أن المصادر غیر متوافرة.

کما أننا لم نجد من تطرق إلی هذا الموضوع الهام، لا فی القدیم و لا فی الحدیث. فنحن و الحالة هذه، نسیر فی طریق شدیدة الوعورة، غیر مطروقة من ذی قبل، مما یجعل من عملنا مجرد محاولة متواضعة جدا جدا لالقاء بعض الضوء علی تاریخ الشیعة فی ساحل بلاد الشام الشمالی و جبالها الغربیة.

و محاولتنا هذه، التی نقر سلفا بأنها مبتورة و ناقصة، تدور حول المواضیع التالیة:

أولا: التعريف بحدود بلاد الشام قديما، و ساحل بلاد الشام

ص: ۶

على وجه الخصوص.

ثانيا: أصل تسمية شيعة، و التسميات التى أطلقت على الشيعة فى شتى المراحل التاريخية.

ثالثا: الأدوار التاريخية التى مرت بها الشيعة فى ساحل بلاد الشام الشمالية، و جبالها الغربية. و هذه الأدوار هى:

❊ دور النشأة و التكوين.

❊ دور الإزدهار.

❊ دور الافول و النكبات المتلاحقة.

❊ دور الإنبعاث.

رابعا: تأسيس الجمعيات الخيرية الإسلامية الجعفرية فى الساحل السورى و دورها فى إحياء المذهب الجعفرى.

و لئن كانت هذه الدراسة الموجزة، لا تحقق ما نطمح إليه، فقد أبدينا عذرنا، و الكريم من عذر.

لكننا لن نقنع بهذا الجهد المتواضع، بل سنواصل البحث و التدقيق حتى نصل إلى الغاية المرجوة خدمة للحقيقة و التاريخ. و اللّه ولى التوفيق.

اللاذقية: أول رمضان ۱۴۱۱/ ه

۱۶/ آذار/ ۱۹۹۱/ م

ص: ۷

## الفصل الاول❊ حدود بلاد الشام.❊ ساحل بلاد الشام.

ص: ۹

## إقليم الشام

تقع بلاد الشام فی الإقلیم الثالث الذی یبدأ من المشرق فیمر علی شمال بلاد الصین، ثم الهند، ثم السند، ثم کابل، و کرمان، و سجستان، و فارس، و الأهواز، و العراقین، و الشام، و مصر و الإسکندریة، و ... و ینتهی إلی البحر المحیط[۱].

و هناک من قال: إنها تقع فی الإقلیم الخامس[۲].

و قد اختلف فی سبب تسمیتها بالشام. قال أبو بکر الأنباری: فی اشتقاقه و جهان: یجوز أن یکون مأخوذا من الید الشؤمی و هی الیسری، و یجوز أن یکون فعلی من الشؤم.

قال أبو القاسم: قال جماعة من أهل اللغة یجوز أن لا یهمز فیقال الشام ... فیکون جمع شامة سمیت بذلک لکثرة قراها و تدانی بعضها من بعض فشبهت بالشامات[۳].

ص: ۱۰

و قال الکلبی: إنما سمی الشام شاما لشامات فی أرضه بیض و سود فی الترب و البقاع و الحجر و أنواع النبات و الأشجار[۴].

و قیل سمیت شاما لأن قوما من بنی کنعان بن حام تشآموا إلیه أی تیاسروا إلیه لأنه عن یسار الکعبة[۵].

و قال آخرون منهم الشرقی بن القطامی: إنما سمی الشام شاما بسام بن نوح لأنه أول من نزله و قطن فیه. فلما سکنه العرب تطیرت من أن تقوله سام فقالت شام[۶] أو جعلت السین شینا لتغیر اللفظ العجمی[۷].

و بهذا القول أخذ العلامة المرحوم عیسی اسکندر المعلوف و جهر به فی محاضرة له ألقاها فی ردهة المجمع العلمی العربی بدمشق مساء الجمعة فی ۲۷ تشرین أول سنة ۱۹۲۰ حیث ذکر: «ان قطر الشام العزیز منسوب إلی سام (اسم) ابن نوح (راحة) فقیل فی اسمه الشام لأن السین و الشین تتبادلان فی اللغات الشرقیة الشقائق»[۸].

و ذکر یاقوت الحموی، أنه قرأ فی بعض کتب الفرس فی قصة سنحاریب أن بنی إسرائیل تمزقت بعد موت سلیمان بن داوود، علیها السّلام، فصار منهم سبطان و نصف سبط فی بیت المقدس، فهم سبط داوود، و انخزل تسعة أسباط و نصف إلی مدینة یقال لها شامین، و بها سمیت الشام، و هی بأرض فلسطین، و کان بها متجر العرب و میرتهم.

---

[۱] ( ۱) یاقوت الحموی- معجم البلدان دار صادر بیروت ۱۹۵۵، ج ۱، ص ۲۹، و کذلک القزوینی آثار البلاد و أخبار العباد دار صادر ص ۱۳۷.

[۲] ( ۲) المسعودی- مروج الذهب دار الرجاء بالقاهرة ۱۹۳۸، ج ۱، ص ۷۲.

[۳] ( ۳) یاقوت الحموی- معجم البلدان ج ۱۱، ص ۳۱۱.

[۴] ( ۱) المسعودی- المختار من مروج الذهب وزارة الثقافة بدمشق ۱۹۸۸ السفر الثانی ص ۵.

[۵] ( ۲) أبو الفداء- تقویم البلدان باریس ۱۸۴۰ تحقیق البارون دیسلان ص ۳۳۴.

[۶] ( ۳) المسعودی- المختار من مروج الذهب السفر الثانی ص ۵.

[۷] ( ۴) یاقوت الحموی- معجم البلدان ج ۱۱، ص ۳۱۱.

[۸] ( ۵) مجلة المجمع العلمی العربی بدمشق ج ۱۱ تشرین الثانی ۱۹۲۱، ص ۳۴۱.

و كان اسم الشام الأول سورى فاختصرت العرب من شامين الشام

ص: ١١

و غلب على الصقع كله[٩].

و من الأقوال أيضا: انها سميت شاما لأنها شامة الكعبة[١٠]

و حد الشام من الفرات إلى العريش طولا، و من جبلى طىء إلى بحر الروم عرضا[١١].

وحددها الشيخ عبد الغنى النابلسى بقوله:[١٢].

و حدّ الشام طولا من عريش إلى أرض الفرات المستجاد

و من جسر المسيح يقال عرضا إلى طرسوس للبلد المراد

و من يافا كذاك إلى معان فشام كل ذلک من بلاد

و قد قيل عن الشام انها إقليم الأخيار[١٣].

و من خواصها أن لا تخلو من الأولياء الأبدال الذين يرحم اللّه و يعفو بدعائهم، لا يزيدون على السبعين و لا ينقصون عنها، كلما مات واحد منهم قام من الناس بدله، و مسكنهم جبل اللكام[١٤].

و مما وصفت به الشام، أنها بلاد كثيرة، و كور عظيمة و ممالک.

و قد قسمها الأولون إلى خمسة أجناد أو كور: جند فلسطين، و جند الاردن، و جند حمص، و جند قنسرين، و العواصم[١٥].

ص: ١٢

---

[٩] ( ١) ياقوت الحموى- معجم البلدان ج ١١، ص ٣١١، و أيضا المقدسى- أحسن التقاسيم إبريل ١٩٠٤، ط ٢، ١٥٢.

[١٠] ( ٢) ياقوت الحموى- معجم البلدان ج ١١، ص ٣١١، و أيضا البغدادى- مراصد الإطلاع على اسماء الأمكنة و البقاع دار احياء الكتب العربية ١٣٧٣/ ه ١٩٥٤/ م، ج ٢، ص ٧٧٥.

[١١] ( ٣) الاصطخرى- المسالک و الممالک تحقيق الدكتور محمد جابر عبد العال الحينى القاهرة ١٣٨١/ ه- ١٩٦١، ص ٤٣.

[١٢] ( ۴) مجلة مجمع العلمى العربى بدمشق ج ١١ تشرين الثانى ١٩٢١، ص ٣۴١.

[١٣] ( ۵) القزوينى- آثار البلاد، ص ١٠۶.

[١٤] ( ۶) الاصطخرى- كتاب الأقاليم.

[١٥] ( ٧) أبو الفداء- تقويم البلدان، ص ٣٣۴.

و بعضهم ذكر جند دمشق بدل العواصم[١٦].

و بعضهم جعل الاجناد كالتالى: فلسطين، حوران، الغوطة، حمص، قنسرين[١٧].

و منهم من جعل الأجناد ستة: قنسرين، حمص، دمشق، الأردن، فلسطين، الشراة[١٨].

و جند دمشق يضم: حوران، و بصرى، و اذرعات، و عمان، و بعلبک، و صيدا، و بيروت، و طرابلس و غيرها من مدن و قرى و حصون تتبعها و تقع فيها[١٩].

و مدن ساحل الشام، كانت تسمى الثغور البحرية، و هى:

سواحل جند حمص: انطرطوس، و بانياس، و اللاذقية، و جبلة، و الهرياذة.

و سواحل جند دمشق: عرقة و طرابلس و جبيل و بيروت و صيدا و حصن الصرفند و عدنون[٢٠].

و لما كانت رقعة ساحل بلاد الشام واسعة، و قد تعرضت لتغيرات كثيرة خلال شتى المراحل التاريخية التى مرت بها بلاد الشام، قبل أن تأخذ شكلها الحالى فى ٣١ آب ١٩٢٠، لذلک فإن دراستنا هذه، مقتصرة على ساحل بلاد الشام الشمالى و جبالها الغربية ضمن الحيز

ص: ١٣

الجغرافى الذى كانت تشغله «مملكة طرابلس» أو «ايالة طرابلس» لأن حدود ساحل بلاد الشام الشمالية الحالية، كانت لمدة طويلة من الزمن تابعة لطرابلس، بحيث لا يمكننا فصل تاريخ الساحل خلال هذه الحقبة الطويلة جدا عن تاريخ طرابلس.

ص: ١٥

## الفصل الثانى❊ أصل تسمية شيعة.❊ الأسماء التى أطلقت على الشيعة عبر التاريخ.

ص: ١٧

### معنى الشيعة

---

[١٦] ( ١) غرس الدين خليل بن شاهين الظاهرى – كتاب زبدة كشف الممالک و بيان الطرق و المسالک تحقيق بولس رايس باريس ١٨٩٤، ص ٤١.

[١٧] ( ٢) المقدسى المعروف بالبشارى – أحسن التقاسيم ص ١٥۴.

[١٨] ( ٣) المرجع السابق.

[١٩] ( ۴) ابن شداد – الاعلاق الخطيرة منشورات المعهد الفرنسى بدمشق تحقيق سامى الدهان دمشق ١٩۶٣ ص ٢٠.

[٢٠] ( ۵) ابن خرداذبة – المسالک و الممالک ص ٢۵۵.

الشيعة، القوم الذين يجتمعون على الأمر.

و كل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة.

و كل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأى بعض فهم شيعة[۲۱].

و الشيعة أيضا، أتباع الرجل و أنصاره، و جمعها شيع[۲۲].

و الشيعة: الفرقة[۲۳].

و قد أطلقت كلمة شيعة على الذين شايعوا أمير المؤمنين على عليه السّلام و قالوا بامامته و خلافته نصا و وصية، إما جليّا و إمّا خفيا. و إن الإمامة لا تخرج عن أولاده، و إن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده[۲۴]. و يجمعهم القول بثبوت عصمة الأئمة وجوبا عن الكبائر و الصغائر و ان الإمامة ركن من أركان الدين لا يجوز للنبى صلّى اللّه عليه و اله و سلّم اغفاله و لا تفويضه إلى العامة[۲۵]. و قد وردت كلمة شيعة، إشارة إلى أتباع أمير



المؤمنين على عليه السّلام فى العديد من الأحاديث النبوية الشريفة.

عن ابن عباس (ره) من كتاب [الامالى] قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم: شيعة على هم الفائزون يوم القيامة.

يا على: أنا منک و أنت منى، روحک روحى، و شيعتک شيعتى، و أولياؤک أوليائى، من أحبهم فقد أحبنى، و من أبغضهم فقد أبغضنى، و من عاداهم فقد عادانى.

يا على: شيعتک مغفور لهم عن ما كان منهم من عيوب و ذنوب، و أنا الشفيع لهم غدا إذا قمت المقام المحمود فبشرهم بذلک.

يا على: شيعتک شيعة اللّه، و أنصارک أنصار اللّه، و حزبک حزب اللّه، و حزب اللّه هم المفلحون[۲۶].

---

[۲۱] ( ۱) ابن منظور- لسان العرب مادة شيع.

[۲۲] ( ۲) المرجع السابق.

[۲۳] ( ۳) المرجع السابق.

[۲۴] ( ۴) الشهرستانى- الملل و النحل ج ۱، ص ۱۳۱.

[۲۵] ( ۵) ابن العربى- تاريخ مختصر الدول ص ۹۷.

[۲۶] ( ۱) الحافظ رجب البرسى- مشارق أنوار اليقين فى أسرار أمير المؤمنين ص ۴۵.

و فی کتاب الأربعین ما رواه عن انس بن مالک قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله و سلم: إذا کان یوم القیامة نادی منادی: یا علی یا ولی یا سید و یا صابر یا دیان یا والی یا هادی یا زاهد یا طیب یا طاهر مر أنت و شیعتک إلی الجنة بغیر حساب[۲۷].

و أخرج الحاکم فی شواهد التنزیل بالإسناد إلی علی قال: قبض رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله و سلم و أنا مسنده إلی صدری، فقال: یا علی ألم تسمع قوله تعالی إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ أُولئِکَ هُمْ خَیْرُ الْبَرِیَّةِ هم شیعتک، و موعدی و موعدکم الحوض یدعون غرّا محجلین[۲۸].

و أخرج الدیلمی- کما فی الصفحة ۹۶ من الصواعق المحرقة- قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله و سلم یا علی إن اللّه قد غفر لک و لولدک و لذریتک



و لأهلک و لشیعتک و لمحبی شیعتک، فابشر فإنک الا نزع البطین[۲۹].

و کان أتباع آل البیت علیهم السّلام یطلقون علی أنفسهم اسم الشیعة.

ذکر الدینوری أنه لما ولی علی بن أبی طالب علیه السّلام زیاد بن أبیه أرض فارس، فلما توجه إلی صفین کتب معاویة إلی زیاد یتوعده فقام زیاد فی الناس فقال: ان ابن آکلة الأکباد و رأس النفاق کتب إلی یتوعدنی، و بینی و بینه ابن عم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله و سلم فی تسعین ألف مدجج من شیعته، أما و اللّه لئن رامنی لیجدنی ضرابا بالسیف[۳۰].

و بعد الصلح بین الحسن علیه السّلام و معاویة، کان أول من لقی الحسن علیه السّلام فندّمه علی ما صنع، و دعاه إلی رد الحرب حجر بن عدی، فقال له: یابن رسول اللّه لوددت إنی مت قبل ما رأیت، أخرجتنا من العدل إلی الجور، فترکنا الحق الذی کنا علیه و دخلنا فی الباطل الذی کنا نهرب منه، و اعطینا الدنیة من أنفسنا، و قبلنا الخسیسة التی لم تلق بنا. فاشتد علی الحسن علیه السّلام کلام حجر فقال له: إنی رأیت هوی عظم الناس فی الصلح، و کرهوا الحرب، فلم أحب أن أحملهم علی ما یکرهون، فصالحت بقیا علی شیعتنا خاصة من القتل، فرأیت دفع هذه الحروب إلی یوم ما، فإن اللّه کل یوم هو فی شأن.

فخرج من عنده، و دخل علی الحسین علیه السّلام مع عبیدة بن عمرو، فقالا: أبا عبد اللّه. شریتم الذل بالعز، و قبلتم القلیل، و ترکتم الکثیر، أطعنا الیوم، و اعصنا الدهر. دع الحسن، و ما رأی من هذا الصلح و اجمع إلیک شیعتک من أهل الکوفة و غیرها، و ولنی



---

[۲۷] ( ۲) المرجع السابق ص ۴۷.

[۲۸] ( ۳) محمد حسین کاشف الغطاء- أصل الشیعة و أصولها ص ۸۷.

[۲۹] ( ۱) ابن حجر- الصواعق المحرقة المطبعة المیمنیة بالقاهرة سنة ۱۳۲۴/ ه.

[۳۰] ( ۲) أبو حنیفة الدینوری- من کتاب الأخبار الطوال وزارة الثقافة بدمشق ۱۹۸۶، ص ۲۱۱.

و صاحبی هذه المقدمة فلا یشعر ابن هند إلا و نحن نقارعه بالسیوف[۳۱].

و ذکر الیعقوبی فی تاریخه: أنه لما توفی الحسن و بلغ الشیعة ذلک اجتمعوا بالکوفة فی دار سلیمان بن صرد و فیهم بنو جعدة بن هبیرة، فکتبوا إلی الحسین بن علی یعزونه علی مصابه بالحسن:

«بسم اللّه الرّحمن الرّحیم، للحسین بن علی من شیعته و شیعة أبیه أمیر المؤمنین سلام علیک، فإنا نحمد إلیک اللّه الذی لا إله إلّا هو، أما بعد، فقد بلغنا وفاة الحسن بن علی یوم ولد و یوم یموت و یوم یبعث حیا، غفر اللّه ذنبه و تقبل حسناته، و ألحقه بنبیه، و ضاعف لک الأجر فی المصاب به و جبرک المصیبة من بعده فعند اللّه نحتسبه، و إنا إلیه راجعون، ما أعظم ما أصیب به هذه الأمة عامة، و أنت و هذه الشیعة خاصة، بهلاک ابن الوصی و ابن بنت النبی، علم الهدی، و نور البلاد المرجو لإقامة الدین و إعادة سیر الصالحین، فاصبر رحمک اللّه علی ما أصابک ان ذلک لمن عزم الأمور، فإن فیک خلفا ممن کان قبلک، و ان اللّه یؤتی رشده من یهدی بهدیک، و نحن شیعتک المصابة بمصیبتک، المحزونة بحزنک، المسرورة بسرورک، السائرة بسیرتک، المنتظرة لأمرک، شرح اللّه صدرک، و رفع ذکرک، و أعظم صبرک، و غفر ذنبک، ورد علیک حقک»[۳۲].

## [الأسماء التی أطلق علی الشیعة]

و قد أطلق علی الشیعة، علی مر التاریخ، العدید من الأسماء، هی:

### أولا: الرافضة:

و هو أشهر الأسماء التی أطلقت علی الشیعة و أکثرها تداولا.

و کل من نبذ بشیء أنف منه، مثل الرفض و الجبر، فالرافضی

ص: ۲۱

یسمی نفسه الشیعی[۳۳].

ذکر عبد الحی بن العماد الحنبلی، فی أحداث سنة ۳۹۸/ ه ما نصّه: الفتنة الهائلة ببغداد بین السنة و الرافضة و حمیت الفتنة ثم إنّ السنة أخذوا مصحفا قیل أنه علی قراءة ابن مسعود فیه خلاف کثیر فأمر الشیخ أبو حامد الاسفراینی و الفقهاء بتمزیقه فأحرق بمحضر منهم فقام نصف اللّیل رافضی و شتم من أحرق المصحف فأخذ و قتل فثارت الشیعة و وقع القتال

---

[۳۱] ( ۱) أبو حنیفة الدینوری، من کتاب الأخبار الطوال ص ۲۱۳.

[۳۲] ( ۲) تاریخ الیعقوبی دار صادر بیروت ۱۳۷۹/ ه- ۱۹۶۰/ م، ج ۲ ص ۲۲۸.

[۳۳] ( ۱) أبو هلال العسکری- الأوائل وزارة الثقافة بدمشق ۱۹۷۵/ م، ج ۱، ص ۱۳۴.

بينهم و بين السنة و اختفى أبو حامد و استظهرت الروافض و صاحوا الحاكم يا منصور فغضب القادر باللّه و بعث خيلا لمعاونة السنة فانهزمت الرافضة و أحرقت بعض دورهم و ذلوا[٣٤].

و قال أيضا فى أحداث سنة ٩١٨/ ه: كان ظهور اسماعيل شاه فاستولى على ملوك العجم و أظهر مذهب الالحاد و الرفض و غير اعتقاد أهل العجم إلى يومنا هذا[٣٥].

ثانيا: الامامية و الاثنى عشرية:

الإمامية هم القائلون بالنص و التعيين، و الذين يعتقدون باثنى عشر إماما، تسعة منهم من ولد الحسين عليه السّلام أولهم على بن أبى طالب عليه السّلام و آخرهم الإمام الغائب الحجة (عج)[٣٦].

ثالثا: و من الأسماء التى اطلقت على الشيعة أيضا: المتاولة و العلوية.

ذكر الشيخ محمد تقى الفقيه «و الشيعة فى جبل عامل و بعلبک عرفوا منذ عهد قريب بالمتاولة و كانوا يعرفون فى بعض العصور بالعلوية»[٣٧].

ص: ٢٢

رابعا: و منها أيضا الظنية. نسبة إلى جبال الظنية أو الضنية.

و ما تزال الجبال المطلة على طرابلس من جهة الشرق تحمل حتى اليوم اسم «الضنية» و الضاد هنا حلت مكان الظاء. و هذا الكلمة أطلقت فى الماضى على هذه الجبال لأن أهلها كانوا يعرفون آنذاک باسم «الظنية» و هو الإسم الذى اشتهروا به لأنهم كانوا على مذهب الشيعة الذين يقولون بالظن و التأويل فى تفسير أحكام الشريعة الإسلامية الواردة فى القرآن الكريم و السنة الشريفة[٣٨].

خامسا: الجعفرية:

و قد أطلق اسم الجعفرية على القائلين بإمامة جعفر بن محمد الصادق عليه السّلام روى الكشى أنّ شيعة الصادق فى الكوفة سموا بالجعفرية[٣٩].

سادسا: و هناک أسماء أخرى أطلقت على الشيعة غير متداولة عندنا فى سورية و لبنان، مثل القزلباش.

---

[٣٤] ( ٢) شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ج ٣، ص ١۴٩.

[٣٥] ( ٣) المرجع السابق ص ٢١٣.

[٣٦] ( ۴) الدكتور عبد اللّه فياض- تاريخ الإمامية ص ٢٧.

[٣٧] ( ۵) محمد تقى الفقيه- جبل عامل فى التاريخ دار الأضواء بيروت ١٩٨۶، ص ٣٠.

[٣٨] ( ١) الشيخ طه الولى- طرابلس بين الماضى و الحاضر- جريدة اللواء اللبنانية العدد ٣٣٨١ تاريخ ٢٩ حزيران ١٩٨٠.

[٣٩] ( ٢) الكشى- الرجال طبع بمبى ١٣١٧/ ه، ص ١۶۵ و كذلک الدكتور عبد اللّه فياض- تاريخ الإمامية ص ٧٣.

و القزلباش هو الإسم الذى أطلقه العثمانيون على أتباع التنظيم الصوفى الذى رمى إليه حيدر بن الجنيد عندما أنشأ طريقته الصوفية الجديدة، و تعنى الكلمة «الرؤوس الحمر» و يرمز صاحب الطريقة باستحداث لباس جديد للرأس يعرف باسم تاج حيدر ذى الإثنى عشرة ذؤابة إشارة إلى الإثنى عشر إماما[۴۰].

و فى مملكة التورانيين و بلاد الهند يسمى كل شيعى و كل إيرانى قزلباش[۴۱].

ص: ۲۳

الفصل الثالث❊ بداية ظهور الشيعة فى ساحل بلاد الشام❊ الأدوار التاريخية التى مرت بها الشيعة فى ساحل الشام.

ص: ۲۵

بداية ظهور الشيعة فى ساحل بلاد الشام

اتفقت الآراء على أنّ أبا ذر الغفارى، هو الذى نشر التشيع فى الشام و جبل عامل[۴۲]. لكن لم يحدد تاريخا لذلک.

و نستطيع أن نحدد هذا التاريخ على وجه التقريب، بين عامى ۲۸ و ۳۰/ ه. لأن معاوية سير أباذر من الشام إلى المدينة، بطلب عثمان، سنة ۳۰/ ه-.

و كان أبوذر قبل أن يسيره عثمان إلى الشام يقعد فى مسجد رسول اللّه عليه السّلام و يجتمع إليه الناس، فيحدث بما فيه الطعن على عثمان.

و إنه وقف بباب المسجد فقال: أيها الناس من عرفنى فقد عرفنى، و من لم يعرفنى فأنا أبو ذر الغفارى، أنا جندب بن جنادة الربذى، إن اللّه اصطفى آدم و نوحا و آل إبراهيم و آل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض، و اللّه سميع عليم، محمد الصفوة من نوح، فالأول من إبراهيم، و السلالة من إسماعيل، و العترة الهادية من محمد. إنه شرف شريفهم، و استحقوا الفضل فى قوم هم فينا كالسماء المرفوعة

ص: ۲۶

و كالكعبة المستورة، أو كالقبلة المنصوبة، أو كالشمس الضاحية، أو كالقمر السارى، أو كالنجوم الهادية، أو كالشجرة الزيتونية أضاء زيتها، و بورک زبدها، و محمد وارث علم آدم و ما فضل به النبيون، و على بن أبى طالب وصى محمد، و وارث علمه. أيتها الأمة المتحيرة بعد نبيها أمالو قدمتم ما قدم اللّه، و أخّرتم ما أخّر اللّه و أقررتم الولاية و الوراثة فى أهل بيت نبيكم لأكلتم من فوق رؤوسكم و من تحت أقدامكم، و لما عال ولى اللّه، و لا طاش سهم من فرائض اللّه و لا اختلف

---

[۴۰] ( ۳) محسن الأمين- أعيان الشيعة المجلد ۱، ص ۲۰.

[۴۱] ( ۴) تاريخ الشعوب الإسلامية بتصرف ۳/ ۱۲۰ و شرفنامه ۲/ ۱۲۱ و راجع أيضا ابن الحنبلى- درر الحبب فى تاريخ أعيان حلب ج ۱، ق ۱، ص ۱۰۶.

[۴۲] ( ۱) الشيخ أحمد رضا- مجلة العرفان مجلد ۲، ص ۲۳۹، و الشيخ محمد تقى الفقيه- جبل عامل فى التاريخ- دار الأضواء بيروت ط ۲، ۱۹۸۶، ص ۳۴.

إثنان فی حکم اللّه، إلا وجدتم علم ذلک عندهم من کتاب اللّه و سنة نبیه. فأما إذا فعلتم ما فعلتم، فذوقوا و بال أمرکم، و سیعلم الذین ظلموا أی منقلب ینقلبون[۴۳].

و لما بلغ عثمان ما یقوله أبوذر، سیره إلی الشام إلی معاویة.

و کان یجلس فی المسجد فیقول کما کان یقول فی مسجد الرسول صلّی اللّه علیه و اله و سلّم، فی المدینة، و یجتمع إلیه الناس حتی کثر من یجتمع إلیه و یسمع منه.

و کان یقف علی باب دمشق، إذا صلی صلاة الصبح، فیقول:

جاءت القطار تحمل النار، لعن اللّه الآمرین بالمعروف و التارکین له، و لعن اللّه الناهین عن المنکر و الآتین له[۴۴] کما کان یخرج إلی القری و الساحل[۴۵]، داعیا إلی موالاة أمیر المؤمنین علی علیه السّلام. فکتب معاویة إلی عثمان، إن کان لک حاجة فی الشام فأرسل إلی أبی ذر فقد أوغر قلوب الناس[۴۶] فکتب إلیه عثمان أن احمله علی قتب بغیر وطاء، فقدم به إلی المدینة و قد ذهب لحم فخذیه[۴۷] ثم نفاه إلی الربذة و بقی فیها إلی أن



توفی إلی رحمة اللّه فی منفاه سنة ۳۲/ ه[۴۸].

أما فی الساحل، فقد نشر التشیع عدد من خواص أمیر المؤمنین علی علیه السّلام و هم: الأشتر النخعی، و ثابت بن قیس الهمدانی، و کمیل بن زیاد النخعی، و زید بن صوحان، و صعصعة بن صوحان، و جندب بن زهیر الغامدی، و حبیب بن کعب الأزدی، و عروة بن الجعد، و عمرو بن الحمق. و کانوا فی الکوفة یتکلمون فی حق عثمان فکتب سعید بن العاص والی الکوفة من قبل عثمان إلیه بذلک فأمره عثمان بأن یسیّرهم إلی معاویة بالشام .. فقدموا علی معاویة و جری بینهم کلام کثیر و حذرهم من الفتنة فوثبوا و أخذوا بلحیة معاویة و رأسه، فکتب إلی عثمان:

بسم اللّه الرّحمن الرّحیم

لعبد اللّه عثمان أمیر المؤمنین من معاویة بن أبی سفیان، أما بعد: یا أمیر المؤمنین، فإنک بعثت إلی أقواما یتکلمون بألسنة الشیاطین و ما یملون علیهم و یأتون الناس- زعموا- من قبل القرآن فیشبهون علی الناس، و لیس الناس یعلمون ما یریدون، و إنما یریدون الفرقة، و یقربون الفتنة و قد أثقلهم الإسلام و أضجرهم، و تمکنت رقی الشیطان من قلوبهم، فقد

---

[۴۳] ( ۱) تاریخ الیعقوبی دار صادر بیروت ۱۹۶۰، ج ۲، ص ۱۷۱.

[۴۴] ( ۲) المرجع السابق ص ۱۷۲.

[۴۵] ( ۳) الشیخ أحمد رضا- مجلة العرفان مجلد ۲، ص ۲۳۹.

[۴۶] ( ۴) أبو هلال العسکری- الأوائل وزارة الثقافة دمشق ۱۹۷۵، ج ۱، ص ۲۷۷.

[۴۷] ( ۵) الیعقوبی ج ۲، ص ۱۷۲.

[۴۸] ( ۱) تذکر بعض المراجع التاریخیة ان وفاة أبی ذر کانت فی عام ۲۵/ ه یراجع بهذا الخصوص تاریخ أبی الفداء و ابن الوردی فی تتمة المختصر و ذکر خلیفة بن خیاط فی تاریخه أنه توفی سنة ۳۲/ ه.

أفسدوا كثيرا من الناس ممن كانوا بين ظهرانيهم من أهل الكوفة، و لست آمن إن أقاموا وسط أهل الشام أن يغروهم بسحرهم و فجورهم فأرددهم إلى مصرهم، فلتكن دارهم فى مصرهم الذى نجم فيه نفاقهم. و السلام[۴۹].

فكتب إليه عثمان يأمره أن يردهم إلى سعيد بن العاص بالكوفة

ص: ۲۸

فردهم إليه. فكانوا بعد عودتهم إلى الكوفة أطلق ألسنة، و كتب سعيد إلى عثمان يضج منهم، فكتب عثمان إلى سعيد أن يسيرهم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد و كان أميرا بحمص. و كتب عثمان إلى الأشتر و أصحابه: أما بعد، فإننى قد سيرتكم إلى حمص فإذا أتاكم كتابى هذا فاخرجوا إليها، فإنكم لستم تألون الإسلام و أهله شرا. و السلام.

فلما قرأ الأشتر الكتاب قال: اللهم أسوأنا نظرا للرعية و أعملنا فيهم بالمعصية، فعجل له النقمة فكتب بذلك سعيد إلى عثمان، و سار الأشتر و أصحابه إلى حمص فأنزلهم عبد الرحمن بن خالد الساحل و أجرى عليهم رزقا. و كان ذلك سنة ۳۳/ ه[۵۰].

## [أنّ ظهور الشيعة فى ساحل بلاد الشام و جبالها الغربية، تم على مراحل]

و جدير بالتنويه، أنّ ظهور الشيعة فى ساحل بلاد الشام و جبالها الغربية، تم على مراحل. و هناك عدة عوامل، ساهمت فى ذلك، هى:

### [أولا: الهرب من عمليات القتل]

التى تعرض لها الشيعة فى الشام على يد معاوية و من جاء بعده. فكما هو معلوم، إن معاوية بن أبى سفيان نال الخلافة بالخديعة و المكر. و كان أكبر خطر يتهدد حكمه وجود الإمام عليه السّلام. و لم يكن الإمام بالخصم الهين، نظرا لما يتمتع به من شخصية آسرة لها سحرها الخاص فى نفوس المسلمين، لجملة من المزايا و الصفات انفرد بها الإمام دون سواه. منها كونه ربى فى بيت النبوة، و كونه ابن عم النبى صلّى اللّه عليه و اله و سلّم و صهره و وصيه و والد ذريته، و صاحب المواقف المشهودة التى كان لها أثرها الحاسم فى توطيد دعائم الإسلام. لذلك شن معاوية على الإمام عليه السّلام و شيعته حربا مسعورة سارت فى أكثر من اتجاه. منها شتم على عليه السّلام على المنابر لزرع بغضه فى قلوب الناس، و منها حمل صنائعه بالمغريات المادية على رواية أخبار قبيحة فى على عليه السّلام تقتضى الطعن فيه و البراءة منه

ص: ۲۹

و جعل لهم على ذلك جعلا يرغب فى مثله، فاختلقوا ما أرضاه[۵۱]. و منها أيضا تتبع شيعة الإمام بالقتل الذريع و بأبشع الصور و الأساليب، مما دفع بالكثيرين إلى الهرب و اللجوء إلى الأماكن النائية كالسواحل و الجبال العالية المنيعة، الصعبة المسالك و المرتقى كجبال لبنان- عامل، كسروان، الضنية- و جبل اللكام[۵۲]، و جبل السماق[۵۳].

---

[۴۹] ( ۲) الطبرى- دار المعارف بمصر ۱۹۷۰، ج ۴، ص ۳۲۵.

[۵۰] ( ۱) الطبرى- دار المعارف بمصر ۱۹۷۰، ج ۴، ص ۳۲۶.

[ثانيا: تردد بعض رجال الشيعة الأوائل كسلمان الفارسى]

و عبد اللّه بن مسعود إلى سواحل الشام، للمرابطة و الجهاد ضد الروم.

ذكر أبو زرعة فى تاريخه خبرا مرويا عن القاسم أبى عبد الرحمن قال: «قدم علينا سلمان دمشق، فلم يبق فينا شريف إلا عرض عليه المنزل. فقال: إنى عزمت أن أنزل على بشير بن سعيد مرتى هذه. فسأل عن أبى الدرداء فقيل مرابط. فقال: و أين مرابطكم يا أهل دمشق قالوا: ببيروت، فخرج إلى بيروت»[٥٤].

و ذكر ابن عساكر أن أنس لقى أبا الدرداء و أبا هريرة و ابن مسعود مقبلين من سلسلة. و سلسلة حصن لكورة من ساحل دمشق فيه منبر، قال فأقمت بسلسلة.

قال عبد اللّه بن مسعود و أقمت فيها ثلاثا، أقصرت الصلاة، و القصر فيها كمن أتم الصلاة سبعين سنة[٥٥].

ص: ٣٠

إن وجود رجال الشيعة الأوائل، الكبار، كعبد اللّه بن مسعود، و كميل بن زياد، و الأشتر النخعى، و سلمان الفارسى، بين سكان مدن الساحل وجلهم من الفرس، فعل فعله فى نشر التشيع بين السكان.

جاء فى الأخبار أن معاوية عندما فتح بلاد الشام وجد مدنها خالية من السكان فخشى غارات الروم عليها، فاستقدم قوما من العجم (الفرس) أسكنهم فيها و فى طرابلس و جبيل و بيروت و صيدا و عرقة، و أسكن فريقا منهم بعلبک[٥٦].

قال إبراهيم بن الأسود فى تنوير الأذهان فى تاريخ لبنان:

«و الشيعيون الموجودون حتى اليوم فى تلک الأماكن و فى غيرها من هذه البلاد هم من نسل اولئک الأعجام (الفرس) إلا من وجد منهم فى جبل عامل فإنهم وطنيون و العائلات الممتازة فى هذا الجبل هم من الأشراف العريقين فى القوم»[٥٧].

ثالثا: الهجرات:

و كانت هذه الهجرت على نوعين: داخلية من داخل بلاد الشام إلى السواحل، و خارجية على المناطق الساحلية من المغاربة و خاصة ابان الحكم الفاطمى.

---

[٥١] ( ١) ابن أبى الحديد- شرح نهج البلاغة ج ١، ص ۴۶۷.

[٥٢] ( ٢) جبل اللكام داخل بلاد الروم، تركيا حاليا، و ينتهى إلى نحو مائتى فرسخ و يظهر فى بلاد الإسلام من مرعش و الهارونية و عين زربة فيسمى لكام إلى أن يجاوز اللاذقية ثم تسمى بهراء و تنوخ إلى حمص ثم تسمى جبل لبنان- الاصطخرى- أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم.

[٥٣] ( ٣) جبل عظيم من أعمال حلب الغربية- ياقوت الحموى- معجم البلدان.

[٥٤] ( ۴) تاريخ أبى زرعة- مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٠، ج ١، ص ٢٢٢.

[٥٥] ( ۵) ابن عساكر- تاريخ مدينة دمشق المجلدة ٢، القسم الأول مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩۵۴، ص ١٢۴.

[٥٦] ( ١) إبراهيم الأسود- تنوير الأذهان فى تاريخ لبنان- مطبعة القديس جاورجيوس ١٩٢٧ بيروت ج ٢، ص ١٠٢.

[٥٧] ( ٢) المرجع السابق.

من ذلک نستنتج، أن التشیع قدیم فی ساحل بلاد الشام. إنتشر فی نفس الفترة الزمنیة التی انتشر فیها فی جبل عامل. و کان انتشاره بأیدی کرام بررة، غرسوا غراسه فی تربة طیبة نقیة، و تعهدوها بالعنایة و السهر حتی أصبحت هذه الغراس أشجارا باسقة ممتدة الفروع، و منتشرة علی مد النظر فی طول بلاد الشام و عرضها خلال مرحلة زمنیة طویلة.

ص: ۳۱

و کانت غالبیة سکان بلاد الشام الداخلیة و الساحلیة فی القرنین الخامس و السادس الهجریین من الشیعة، و کان یفتی بمذهبهم. و هذا ما أکده أکثر من مصدر.

قال ابن بطلان فی رسالة له إلی هلال بن المحسن بن إبراهیم الصابی فی نحو سنة ۴۴۰/ ه:

«دخلنا من الرصافة إلی حلب ... و فی البلد جامع وست بیع و بیمارستان صغیر، و الفقهاء یفتون علی مذهب الامامیة»[۵۸].

و عندما زار ناصر خسرو علوی بعض مدن ساحل الشام، سنة ۴۳۸/ ه قال عن طرابلس:

«و سکان طرابلس کلهم شیعة. و قد شید الشیعة مساجد جمیلة فی کل البلاد ...»[۵۹].

و قال عن مدینة صور: «و معظم سکانها شیعة[۶۰] ...»

و فی یوم الاربعاء الرابع و العشرین من شهر ربیع الآخر سنة ۵۸۰/ ه زار إبن جبیر دمشق، و کتب فی رحلته عنها[۶۱]:

«و للشیعة فی هذه البلاد أمور عجیبة، و هم أکثر من السنیین بها، و قد عمروا البلاد بمذاهبهم».

و کان الشیعة فی تلک الفترة یتمتعون بنفوذ کبیر فی المجتمع، و هذا ما تدلنا علیه الحادثة التی رواها ابن شداد و هی أنه لّما أراد بدر الدولة

ص: ۳۲

أبو الربیع سلیمان بن عبد الجبار بن ارتق- صاحب حلب- بناء المدرسة الزجاجیة سنة ست عشرة و خمسمائة لم یمکنه الحلبیون إذ کان الغالب علیهم حینئذ التشیع، فکان کلما بنی فیها شیء بالنهار خربوه لیلا إلی أن أعیاه ذلک، فأحضر الشریف زهرة بن علی بن محمد بن أبی إبراهیم الإسحاقی الحسینی، و التمس منه أن یباشر بناءها بنفسه لیکف العامة عن هدم ما یبنی فیها، فباشر الشریف البناء، ملازما له، حتی فرغ منه[۶۲].

---

[۵۸] ( ۱) یاقوت الحموی- معجم البلدان ج ۳ ص ۳۱۳، و راجع أیضا القفطی- تاریخ الحکماء ص ۲۹۶.

[۵۹] ( ۲) ناصر خسرو علوی- سفرنامه ترجمة الدکتور یحیی الخشاب مطبعة لجنة التألیف و الترجمة و النشر- القاهرة ۱۹۴۵، ط ۱، ص ۱۱.

[۶۰] ( ۳) المرجع السابق ص ۱۵.

[۶۱] ( ۴) رحلة ابن جبیر- دار صادر بیروت ۱۹۶۴ ص ۲۵۲.

[۶۲] ( ۱) ابن شداد- الاعلاق الخطیرة تحقیق یحیی عبارة، وزارة الثقافة دمشق ۱۹۹۱، ج ۱، ق ۱، ص ۲۴۱.

## الادوار التاريخية التى مرت بها الشيعة فى ساحل بلاد الشام

إن ظهور الشيعة بصورة مكثفة فى ساحل بلاد الشام، و خاصة الشمالى منه ترافق مع تأسيس الإمارة التنوخية فى اللاذقية سنة ۲۴۹/ ه- ۸۶۴/ م. و منذ هذا التاريخ و حتى سنة ۳۶۴/ ه، و مرّت على الشيعة فى الساحل أدوار متعددة، يمكن حصرها بثلاثة أدوار هى:

❊ دور الازدهار.

❊ دور الافول و النكبات المتلاحقة.

❊ دور الانبعاث.

### عهد الازدهار:

تعتبر الفترة من ۲۴۹/ ه إلى ۶۷۰/ ه- ۸۶۴/ م إلى ۱۲۷۲/ م- فترة ازدهار للشيعة فى ساحل بلاد الشام. إذ ظهرت إلى الوجود، خلال هذه الفترة، ثلاث إمارات مستقلة هى على التوالى:

❊ الإمارة التنوخية فى اللاذقية و جبلة من ۲۴۹/ ه إلى ۳۶۴/ ه.

حكم آل عمار القضاة فى طرابلس من ۴۶۲/ ه إلى ۵۰۲/ ه.



❊ الدولة الإسماعيلية فى مصياف من ۵۳۵/ ه إلى ۶۷۰/ ه.

و قد لعبت كل إمارة من هذه الإمارات الثلاث، دورا هاما على مسرح الأحداث السياسية فى ساحل بلاد الشام ابان الحروب الصليبية، و كانت مواقف كل منها مدعاة للفخر و الإعتزاز على مر الأجيال، لكن بكل أسف لم تلق هذه الإمارات التقدير الذى تستحقه.



## الامارة التنوخية فى اللاذقية

تمثل الإمارة التنوخية صفحة مملوءة بالعبر فى تاريخ الساحل الشمالى.

لكن مما يؤسف له، أنّ المؤرخين تجاهلوا هذه الإمارة، و لم يعطوها حقها من الدراسة و الإهتمام و لو لا المتنبى، و قصائده فى محمد بن اسحق التنوخى، و الحسين بن إسحق، و على بن إبراهيم بن يوسف الفصيص، الامراء من آل تنوخ، لما علمنا شيئا عن هذه الإمارة التى عاشت أكثر من مائة و عشرين سنة، فى ظروف بالغة الصعوبة، حبلى بالأحداث.

## أصل تنوخ من قضاعة:

و قضاعة، فيما يقول النسابون، ابن نزار بن معد بن عدنان، و كان نزار يكنى أبا قضاعة. و ذكر أن عامر بن حارثة جرد إلى الشام زيد بن ليث فى أحياء قضاعة بأمر الملطاط و ولى عليهم زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة من حمير. فلما صار زيد بالحجاز وقع بين عشائره كلام، فافترقت قضاعة عنهم، فمنهم من رجع إلى اليمن فنسلهم بها إلى اليوم، و هو خولان و مهرة و مجيد. و منهم من نزل الحجاز و نسله اليوم بها، و هم بلى بن عمرو، و بهراء بن عمرو، و أقام



زيد بالحجاز، فافترق نسله بها ...

و أما من مضى من قضاعة إلى الشام و مصر و البحرين، فنسله بها إلى اليوم، و هم: كلب بن وبرة و تنوخ و سليخ و خشين و القين و العليص[٦٣].

و كانت قضاعة أول من قدم الشام من العرب. و سموا تنوخا لأنهم تنخوا بالشام، أى أقاموا، و التنوخ هو المقام فى الموضع.

و تنوخ، كما وصفت، من أكثر العرب مناقب و حسبا، و من يعظمها مفاخر و أدبا، و فيهم الخطباء و الفصحاء و البلغاء و الشعراء[٦٤].

و كان منهم أجداد أبى العلاء المعرى و أجداد بنى الفصيص ولاة قنسرين، المؤسسين الحقيقيين للإمارة التنوخية فى اللاذقية.

و يستفاد مما ذكره الملطى أن التنوخيين كانوا فى أول الأمر مخيمين عند نهر قويق بحلب، و فى أيام الخليفة المأمون- أى ما بين ١٩٨ و ٢٠٠/ ه- حشد ناصر الخارجى القيسيين و زحف بهم يريد التنوخيين المخيمين عند نهر قويق بحلب و قاتلهم عشرة أيام فخارت قواهم فارتحلوا رجالا و نساء إلى قنسرين[٦٥].

و أول من تحدث عن الإمارة التنوخية فى اللاذقية محمد أمين غالب الطويل حيث قال:

«عندما استولى الروم على محيط اللاذقية فى سنة ٣٥٧ شعر العلويون بالتشكيلات الإدارية و العسكرية و اغتنموا الفرصة و أعلنوا القيام

---

[٦٣] ( ١) تاريخ اليعقوبى ج ١ ص ٢٠٢.

[٦٤] ( ٢) نشوان الحميرى- ملوك حمير و اقيال اليمن تحقيق إسماعيل الجرافى و على المؤيد دار العودة بيروت ١٩٧٨، ط ٢، ص ٥٣.

[٦٥] ( ٣) ابن العديم- الانصاف و التحرى ضمن تعريف القدماء بأبى العلاء الدار. القومية للنشر القاهرة ١٩٦٥، ص ٤٨٩.

على الروم و كان يرأسهم حسين بن إسحاق الضليعنى العلوى التنوخى ففاز و استقل باللاذقية سنة ۳۶۸ ثم حكم مدة محمد بن إسحاق التنوخى ثم عقبه أخوه إبراهيم حافظت دولة اللاذقية العلوية على استقلالها إلى حين مجىء أهل الصليب و انقرضت فى سنة ۴۷۷[۶۶]. و قول الطويل، بعيد عن الصواب، و تدحضه الأدلة التاريخية الثابتة، التى تشير إلى أنّ الإمارة التنوخية فى اللاذقية بدأت سنة ۲۴۹/ ه.

و مما يدحض قول الطويل، هو أن المتنبى اتصل بالامراء التنوخيين فى اللاذقية عندما زارها سنة نيف و عشرين و ثلاثمائة للهجرة، و كانوا وقتها أمراء عليها. و قد توفى المتنبى سنة ۳۵۳/ ه، فكيف يمدحهم، و يرثى من مات منهم فى سنة ۳۱۹/ ه إذا كانوا استقلوا عن الروم سنة ۳۶۸ على حد زعم الطويل؟ ...

و مما لا جدال فيه، أن الأسرة التنوخية فى اللاذقية و جبلة، ترجع فى أصولها إلى تنوخيى المعرة. جاء عميدها يوسف بن إبراهيم التنوخى المعروف بالفصيص إلى اللاذقية سنة ۲۴۹/ ه واليا عليها من قبل أبى الساج الأشروسنى مكافأة له على محاربة قبائل كلب.

و كان الفصيص فى أول الأمر إستولى على المعرة و جمع جموعا من تنوخ و سار إلى قنسرين و استولى عليها و تحصن بها، و لم يزل بها حتى قدم محمد المولد مولى أمير المؤمنين فاستماله و رفيقه غطيف بن نعمة ثم غدر بغطيف و قتله فهرب الفصيص إلى جبل الأسود.

و عندما انهزم محمد المولد أمام قبائل كلب التى امتنعت عليه بناحية حمص و حاربته، رجع الفصيص إلى قنسرين و جرت بينه و بين كلب محاربة.

و على أثر هزيمة محمد المولد تم عزله و عين مكانه أبا الساج



الأشروسنى الذى كتب إلى الفصيص يؤمنه و صير إليه الطريق و بذرقة ثم ولاه اللاذقية و نحوها[۶۷].

و قد تعرضت الإمارة التنوخية بعد وفاة يوسف الفصيص إلى هزات و خرج الحكم من أيدى أبنائه لبعض ففى سنة ۳۱۹/ ه- ۹۳۰/ م ولى مؤنس المظفر غلامه طريف بن عبد اللّه السكرى- السكبرى فى بعض الروايات- فقام بمحاصرة بنى الفصيص فى حصونهم باللاذقية و غيرها، فحاربوه حربا شديدا حتى نفد جميع ما كان عندهم من القوت و الماء، فنزلوا على الامان فوفى لهم و أكرمهم، و دخلوا معه حلب مكرمين معظمين[۶۸].

لكن التنوخيين سرعان ما استعادوا سيطرتهم على اللاذقية.

---

[۶۶] ( ۱) مجلة المشرق المجلد ۴۵، عام ۱۹۵۲.

[۶۷] ( ۱) محمد أمين غالب الطويل- تاريخ العلويين اللاذقية ۱۹۲۴، ص ۲۲۶.

[۶۸] ( ۲) اليعقوبى ج ۲، ص ۴۹۷، أحداث سنة ۲۴۹/ ه.

و كان للمتنبى الفضل فى تعريفنا إلى بعض أفراد الأسرة التنوخية و كان اتصل بهم بعدما استعادوا سيطرتهم على اللاذقية. و هم:

❊ محمد بن إسحاق:

الذى توفى أثناء وجود المتنبى فى اللاذقية سنة ٣٢٠/ ه- ٩٣١/ م- و رثاه المتنبى أحرّ الرثاء فى أربع قصائد من عيون شعره.

مطلع الأولى:

انى لأعلم و الخبير لبيب أنّ الحياة و ان حرصت غرور

و منها:

خرجوا به و لكل باک حوله صعقات موسى يوم دک الطور

و الشمس فى كبد السماء مريضة و الأرض واجفة تكاد تمور



و حفيف أجنحة الملائک حوله و عيون أهل اللاذقية صور

حتى أتوا به جدثا كأن ضريحه فى قلب كل موحد محفور

بمزود كفن البلى من ملكه مغن و اثمد عينه الكافور

فيه السماحة و الفصاحة و التقى و البأس أجمع و الحجى و الخير

كفل الثناء له برد حياته لما انطوى فكأنه منشور

و مطلع الثانية:

غاضت أنامله و هن بحور و خبت مكايده و هن سعير

و منها:

صبرا بنى إسحاق عنه تكرما إن العظيم على العظيم صبور

فلكل مفجوع سواكم مشبه و لكل مفقود سواه نظير

و الثالثة مطلعها:

ألال إبراهيم بعد محمد إلا حنين دائم و زفير

و منها:

و لقد منحت أبا الحسين مودة جودى بها لعدوه تبذير

ملک تكون كيف شاء كأنما يجرى بفضل قضائه المقدور

و الرابعة مطلعها:

لأى صروف الدهر فيه نعاتب و أى رزاياه بوتر نطالب

و منها:

مضى من فقدنا صبرنا عند فقده و قد كان يعطى الصبر و الصبر عازب

يزور الأعادى فى سماء عجاجة | أسنته فى جانبيها الكواكب

فتفر عنه و السيوف كأنما | مضاربها مما انفللن ضرائب

و لم نجد فى المصادر التاريخية و غيرها، ما يشير إلى موقع و مكانة محمد بن إسحاق فى الأسرة التنوخية، و لا المسؤوليات التى كان يضطلع بها، و لا نعلم عنه شيئا.

ص: ۴۰

و كل ما وصلنا عنه ما قاله بلاشير أنه كان «جميل الطلعة و محاربا مقداما عمت مآثره و أخبار كرمه آفاق البلاد»[۶۹].

و لا ندرى من أين جاء بلاشير بهذا الوصف، و لعله استنتجه من قصائد المتنبى التى قالها فيه.

❊ الحسين بن إسحاق أخو محمد:

مدحه المتنبى بثلاث قصائد:

مطلع الأولى:

هو البين حتى ما تأنى الحزائق | و يا قلب حتى أنت ممن أفارق

و منها:

شدو بابن إسحاق الحسين فصافحت | ذفاريها كيرانها و النمارق

بمن تقشعر الأرض خوفا إذا مشى | عليها و ترتج الجبال و الشواهق

فتى كالسحاب الجون يخشى و يرتجى | يرجى الحيا منها و تخشى الصواعق

و لكنها تمضى و هذا مخيم | و تكذب أحيانا و ذا الدهر صادق

تخلى من الدنيا لينسى فما خلت | مغاربها من ذكره و المشارق

[۶۹] ( ۱) ابن العديم – زبدة الحلب من تاريخ حلب تحقيق الدكتور سامى الدهان – المعهد الفرنسى بدمشق ج ۱، ص ۹۷.

و الثانية مطلعها:

أتنكر يا ابن إسحاق اخائى و تحسب ماء غيرى فى انائى

و منها:

أأنطق فيک هجرا بعد علمى بأنک خير من تحت السماء

و أكره من ذباب السيف طعما و أمضى فى الأمور من القضاء

ص: ۴۱

و مطلع الثالثة:

ملامى النوى فى ظلمها غاية الظلم لعل بها مثل الذى بى من السقم

و منها:

وجدنا ابن اسحاق الحسين كحده على كثرة القتلى بريئا من الإثم

مع الحزم حتى لو تعود تركه لألحقه تضييعه الحزم بالحزم

و فى الحرب حتى لو أراد تأخرا لأخره الطبع الكريم إلى القدم

له رحمة تحيى العظام و غضبة بها فضلة للجرم عن صاحب الحرم

و لا توجد لدينا أية معلومات عن سيرة حياة الحسين، و لا تاريخ وفاته، و لو لا قصائد المتنبى فيه لما سمعنا به.

❊ على بن إبراهيم بن يوسف الفصيص (أبو الحسين):

و فى زمنه تعرضت الإمارة التنوخية فى اللاذقية لخطرين داهمين.

الخطر الأول: ثورة أهل اللاذقية على حكمه، و قد استطاع على سحق هذه الثورة، و إخماد نارها و هذا ما دلتنا عليه قصيدة المتنبى التى يمدحه فيها، و مطلعها:

أحاد أم سداس فى أحاد — لليلتنا المنوطة بالتناد

و منها:

و يوم جلبتها شعث النواصى — معقدة السبائب للطراد

و حام بها الهلاك على أناس — لهم باللاذقية بغى عاد

فكان الغرب بحرا من مياه — و كان الشرق بحرا من جياد

و قد خفقت لك الرايات فيه — فظل يموج بالبيض الحداد

لقوك باكبد الإبل الأبايا — فسقتهم وحد السيف حاد

و قد مزقت ثوب الغى عنهم — و قد ألبستهم ثوب الرشاد

ص: ۴۲

فما تركوا الإمارة لاختيار — و لا انتحلوا و دادک من وداد

و لا استعلوا لزهد فى التعالى — و لا انقادوا سرورا بانقياد

و لكن هب خوفک فى حشاهم — هبوب الريح فى رجل الجراد

و ماتوا قبل موتهم فلما — مننت أعدتهم قبل المعاد

غمدت صوارما لو لم يتوبوا — محوتهم بها محو المداد

و لم تقدم لنا المصادر أية معلومات عن هذه الثورة، لا أهدافها، و لا الأشخاص الذين قاموا بها، و لا تاريخ وقوعها.

و هناک قول مطعون فی صحته، قاله بلاشير، هو أن الذين قاموا بهذه الثورة هم بنو الفصيص[٧٠] و هذا القول مجانب للحقيقة و الصواب، ذلک لأن تنوخيی اللاذقية هم بنو الفصيص. فهل كانت هذه الثورة عبارة عن صراع على السلطة بين أفراد الاسرة الواحدة؟! ..

لا يوجد لدينا دليل ثابت. لكنا نستبعد ذلک، لأن الذی قمع هذه الثورة هو حفيد يوسف الفصيص. و يوسف الفصيص و آله، هم أولاد عم محمد بن إسحاق، و كانوا يستزيدون المتنبی فی رثائه لنفی شماتة الشامتين، و لو كانت الثورة عبارة عن صراع على السلطة بين أفراد الأسرة الواحدة، لما طلب يوسف و آله استزادة المتنبی فی رثاء عمهم ....

أما الخطر الثانی، فقد تمثل فی الروم و ملكهم نقفور.

و كان على شجاعا داهية، استطاع بحنكته انقاذ اللاذقية من الدمار و ابعاد نقفور عنها عندما دهمها فی سنة ٣٥٧/ ه- ٩٦٧/ م- ففی هذه السنة، خرج نقفور ملک الروم إلى معرة النعمان ففتحها و خرب جامعها و أكثر دورها، و فعل مثل ذلک فی معرة مصرين، و لكنه أمن أهلها من القتل و كانوا ١٢٠٠ نفس و أسرهم و سيرهم إلى بلد الروم، و سار إلى



كفر طاب و شيزر و أحرق جامعها ثم سار إلى حماه ففعل مثل ذلک، ثم إلى حمص و أسر من كان صار إليها من الجفلة، و وصل إلى عرقة ففتحها و أسر أهلها، ثم توجه إلى طرابلس ففتحها و منها توجه إلى اللاذقية. فلما تيقن على بأن لا طاقة له بمجابهته، توجه إليه و عرض عليه رهائن تدفع إليه و انتسب له فعرف نقفور سلفه فقبل منه الرهائن و جعله سردغوس- حاكم المدينة العسكری- و سلم أهل اللاذقية[٧١].

و كان على آخر من حكم من التنوخيين. و لا نعلم شيئا عن حياته سوى ما ذكره المتنبی عنه فی قصائده. كما أننا لا نعلم التاريخ الحقيقی الذی انتهت فيه الإمارة التنوخية، لأن الأقوال متضاربة بهذا الخصوص. فعلى حين ذكر ابن الشحنة و ابن الملا أنّ نقفور ملک الروم فتح سنة ٣٥٧ معرة النعمان و حماه و حمص و طرابلس و عرقة و جبلة و اللاذقية و انطرطوس، نجد الدكتور فيليب حتى يقول إن ابن الشمشقيق (يوحنا زمسيس) أخضع فی سنة ٩٧٤/ م (٣٦۴/ ه) المدن الساحلية:

بيروت و جبيل و عرقة و طرطوس و جبلة و اللاذقية[٧٢].

و القول الثانی أقرب إلى الصواب لأن نقفور، كما رأينا، أبقى على حكم على و قبل الجزية منه[٧٣].

---

[٧٠] ( ١) د. ی. بلاشير- أبو الطيب المتنبی ترجمة الدكتور إبراهيم كيلانی- وزارة الثقافة دمشق ١٩٧٥، ص ٧٧.

[٧١] ( ١) المرجع السابق ص ١٠٢.

[٧٢] ( ٢) ابن العديم- زبدة الحلب من تاريخ حلب ج ١ ص ١٥٨.

و بحسب المعلومات التى وصلتنا عن التنوخيين فى اللاذقية، نستطيع أن نرسم شجرة عائلتهم كما يلى:

ص: ۴۴

[تصوير] و بعد أن عرفنا نسب تنوخيّى اللاذقية، نشير إلى أنهم من تنوخ قضاعة.

فهم و الحالة هذه غير تنوخيّى لبنان.

و قد أشار المتنبى إلى نسب تنوخيى اللاذقية بقوله:

يمين بنى قحطان رأس قضاعة و عرنينها بدر النجوم إلى فهم

و نسب تنوخيى اللاذقية، يدل على أنهم عرب أقحاح، من العرب العاربة ...

لأن العرب العاربة هم بنو قحطان. و كانت مساكنهم بالحجاز.

و منهم بنو قضاعة بن مالک بن حمير.

و بنو فهم حى من قضاعة.

ص: ۴۵

و الجدول التالى يوضح تفرع قبائل قضاعة[۷۴].

[تصوير] و مما ينبغى قوله: ان الإمارة التنوخية فى اللاذقية، إرتبطت برباط المصاهرة مع الأسرة التنوخية الأرسلانية فى لبنان، و هى أيضا من تنوخ.

ص: ۴۶

و هذه المصاهرة هى أن الأمير عز الدولة تميم ابن الأمير المنذر الأرسلانى تزوج من سعدى بنت الأمير إبراهيم بن إسحاق بن محمد بن إبراهيم التنوخى.

---

[۷۳] ( ۳) فيليب حتى- تاريخ سورية و لبنان و فلسطين ترجمة الدكتور كمال اليازجى مؤسسة فرانكلين دار الثقافة بيروت ۹۵۹، ج ۲، ص ۱۹۵، و أيضا تاريخ أبى الفداء.

[۷۴] ( ۱)/ رسم بلاشير شجرة عائلة التنوخيين كما يلى:

[ تصوير]

و كان عز الدولة تميم من أعقل الناس و أكرمهم و أجودهم لعبة بالكرة و أسدهم رميا بالسهام، و أحذقهم بعمل اليد.

و لم يولد له من زوجته سعدى سوى الأمير مطوع.

توفى عز الدولة تميم سنة ٣٨٧/ ه[٧٥].

ص: ۴۷

## آل عمار القضاة فى طرابلس ۴۶۲/ ه- ۵۰۲/ ه ۱۰۷۰/ م- ۱۱۰۹/ م

أهم ما تمخض عنه القرن الخامس الهجرى، قيام إمارات محلية وطنية فى طرابلس و حلب و صور و دمشق و فلسطين. و كانت إمارة طرابلس أبرز هذه الإمارات.

و كان يحكمها فى الفترة من ۴۶۲/ ه إلى ۵۰۲/ ه آل عمار، و هم باجماع المصادر من الشيعة الإمامية و يرجعون فى نسبهم إلى طىء.

و قد أشار ابن الخياط إلى نسبهم فى قصيدتين له، قال احداهما فى مدح جلال الملک على بن عمار جاء فيها:

أنامت فى الغمود سيوف طىء  أم انقطعت متون المرهفات

و قال الثانية فى مدح فخر الملک عمار بن عمار[٧۶]، جاء فيها:

زاكى العروق له من طىء حسب  لو كان لفظا لكان النظم و الخطبا

ص: ۴۸

و هم ينتسبون إلى عمار بن الحسين بن عبد اللّه بن قندس بن إدريس بن أبى يوسف الطائى و كانت إمارتهم، و هى ثانى إمارة أسسها الشيعة فى ساحل الشام، بعد الإمارة التنوخية فى اللاذقية تمتد من جبلة شمالا إلى جبيل جنوبا.

---

[٧٥] ( ١) جرجى زيدان- العرب قبل الإسلام.

[٧۶] ( ١) نسيب أرسلان- روض الشقيق فى الجزل الرقيق تحقيق شكيب أرسلان مطبعة ابن زيدون ١٩٣٥، ص ٢٠٣.

و تعتبر على الرغم من قصر عمرها، عاشت أربعين سنة تقريبا، أنصع صفحة فى تاريخ بلاد الشام فى القرن الخامس الهجرى، كتبت حروفها بالمسک و الطيب، لكن الأحداث الأليمة، سرعان ما مرت على هذه الصفحة فمحت حروفها المتوهجة، و تركتها أثرا بعد عين.

و قد حمل لواء هذه الإمارة، ثلاثة، من السادة النجب:

الأول: أمين الدولة، أبو طالب عبد اللّه بن محمد بن عمار.

و الثانى: جلال الملک، أبو الحسن على بن عمار.

و الثالث: فخر الملک، أبو على، و قيل أيضا أبو الفضل[٧٧] عمار بن محمد بن عمار اشتهروا ثلاثتهم بالجود و البأس و الندى، و حب العلم و العلماء.

و اتصفوا بالعدل و الإحسان، و هذا ما دلنا عليه قول ابن الخياط[٧٨]:

أعدتم يا بنى عمار كل يد — بالجود حتى كأن البخل ما عرفا

ما كان يعرف كيف العدل قبلكم — حتى ملكتم فسرتم سيرة الخلفا

و قوله أيضا:

إذا آل عمار أظلک عزهم — فغيرک من يخشى يد الحدثان



هم القوم إلا أن بين بيوتهم — يهان القرى و الجار غير مهان

هم أطلقوا بالجود كل مصفد — كما انطقوا بالحمد كل لسان

---

[٧٧] ( ١) المقريزى – اتعاظ الحنفا تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال القاهرة ١٩۴٨، ج ٢، ص ۴٧.

[٧٨] ( ٢) ابن الفوطى – تلخيص مجمع الآداب فى معجم الألقاب تحقيق الدكتور مصطفى جواد – وزارة الثقافة دمشق ١٩۶۵، ق ٣، ص ٢۶۴.

لهم بک فخر الملک فخر علی الوری | له شائد من راحتیک و بان

نجوم علاء فی سماء مناقب | علی و عمار بها قمران

و دلنا علیه أیضا قول أبی المواهب المعری:

لکم، آل عمار، علی الجود مسحة | سحاب الندی فیها من التبر مغدق

مساویکم فی الدهر طولا برغمه | جهول بما فیکم من المجد أحمق

و أمین الدولة، هو المؤسس لإمارة آل عمار.

و اسمه مضطرب إضطرابا شدیدا. و هناک أکثر من قول فی اسمه. فعلی حین ذکر کل من ابن خلدون و ابن القلانسی أن اسمه الحسن بن عمار، وجدنا ابن حجر قد أطلق علیه اسم محمد بن محمد.

أما ابن حیوس و المقریزی فذکرا أن اسمه عبد اللّه بن محمد بن عمار.

و معلوماتنا عن أمین الدولة قلیلة جدا جدا. کل ما نعرفه عنه کان بعید النفوذ لعب دورا هاما فی الصلح بین الخلیفة المستنصر، و تاج الملوک محمود بن نصر بن صالح بن مرداس الکلابی، صاحب حلب، المعروف بابن الروقلیة. و کان المستنصر بعث إلی تاج الملوک محمود یطالبه بحمل المال و غزو الروم و صرف ابن خاقان و من معه من الغز، فلم یستجب له، لذلک کتب المستنصر إلی بدر الجمالی أمیر الجیوش المقیم بدمشق ان محمود خلع الطاعة و مال إلی الجهة العراقیة، فندب بدر الجمالی عطیة لقتال محمود فدخل أمین الدولة بینهما و أصلح الحال.

و لا نعلم المدة التی بقی فیها، أمین الدولة، قاضیا بطرابلس.

کل ما نعلمه أنه فی عام ۴۶۲/ ه- ۱۰۷۰/ م- استولی علیها، و استبد



[۷۹] عثمان، هاشم، تاریخ التشیع فی ساحل بلاد الشمالی، ۱جلد، مؤسسة الأعلمی للمطبوعات - بیروت، چاپ: اول، ۱۴۱۴ ه.ق.

بأمرها، بعد أن أخذها من مختار الدولة ابن نزال الكتامى.

و منذ ذلک التاريخ، أصبحت طرابلس، و ما جاورها من أقاليم، امارة مستقلة تحت حكم آل عمار.

و كان أمين الدولة من أعقل الناس، و أسدهم رأيا، فقيها على مذهب الشيعة[٨٠].

وصف بأنه كان عظيم الصدقة، كثير المراعاة للعلويين، تفرد بذلک فى زمانه و لم يدانيه أحد من أقرانه[٨١].

كما وصف أيضا، بأنه كان رجلا عاقلا فقيها سديد الرأى، كما كان عالما أديبا من مؤلفاته كتاب [ترويح الأرواح و مصباح السرور و الأفراح][٨٢].

كانت مفخرة أعماله دار العلم بطرابلس التى أسسها لتكون جامعة شيعية، و جعل فيها ما يزيد على مائة ألف كتاب وقفا.

و قد شاءت الأقدار الا يمتع أمين الدولة بإمارته، فمات ليلة السبت نصف رجب سنة ۴۶۴/ ه بعد سنتين من تأسيس الإمارة.

و قد رثاه ابن حيوس بقصيدة رائعة مطلعها[٨٣]:

ذد بالعزاء الهم عن طلباته  لا تسخطن الله فى مرضاته

و منها:

فلقد مضى ترجو الممالک رده  فتسومه و تخاف من سطواته

فبكاه ثغر كان عصمة أهله  و معاذ قاصده و عز ولاته



---

[٨٠] ( ١) ديوان ابن الخياط تحقيق خليل مردم بک المجمع العلمى العربى بدمشق ١٩٥٧.

[٨١] ( ٢) ابن شداد- الاعلاق الخطيرة.

[٨٢] ( ٣) سبط ابن الجوزى- مرآة الزمان ج ١٢، ق ١، ص ١٣٨.

[٨٣] ( ۴) تاريخ ابن الفرات ج ٨، ص ٧٧، و أيضا: ابن شداد- الاعلاق الخطيرة ج ٢، ق ١، ص ١٠٧.

أجناه رب العرش غرس فعاله و قضى له بالخلد فى جناته

بالرفق أدرک وادعا ما لم ينل أفخى الملوک بكمته و كماته

حتى لخلناه نبيا مرسلا و محاسن الأخلاق من آياته

و عرفنا من عقبه، ولده شمس الدولة، أو شمس الملک أبى الفرج محمد، و حفيده عبد اللّه بن شمس الدولة. و يعود الفضل إلى ابن الخياط فى تعريفنا إليهما. و كان ابن الخياط كتب إلى شمس الملک أبى الفرج محمد بمناسبة احتراق منزله و جميع ما فيه:

و لأنت اليوم أولى أن تلى كشفها يا ابن أمين الأمنا

فانتهزها فرصة ممكنة قل ما يوجد مجد ممكنا

كما هنأه بولده عبد اللّه، فى قصيدة مطلعها:

أترى الهلال أنار ضوء جبينه حتى أبان الليل عن مكنونه

و منها:

و كأن عبد اللّه عبد اللّه فى حركات همته و فضل سكونه

لم ترض ان كنت الكفيل بشخص حتى شفعت كفيله بضمينه

نشر الأمين ولاده فجنيته من غرسه و جبلته من طينه

و منها:

عيد و مولود كأن بهاءه زهر الربيع و معجبات فنونه

بعد وفاة أمين الدولة، حل مكانه ابن أخيه جلال الملک الذى انتزع الحكم من عمه، أخى أمين الدولة، بمساعدة الأمير عز الدولة سديد الملک بن منقذ. و كان سديد الملک لجأ إلى طرابلس أثر هربه من حلب خوفا من صاحبها الأمير محمود بن صالح، حين عرف عزم محمود على القبض عليه، و كان سديد الملک على أهبة السفر إلى مصر عند وفاة أمين الدولة، فشد من أزر جلال الملک و عاضده بمماليكه،

ص: ۵۲

و من معه من أهل كفر طاب، فأخرجوا أخا أمين الدولة، و تولى جلال الملک[۸۴].

و يعتبر جلال الملک أعظم أفراد آل عمار شأنا، و فى عهده ازدهرت طرابلس ازدهارا لا مثيل له و وصلت إلى أوج عظمتها. و قد استطاع بحنكته الحفاظ على استقلال طرابلس و حماها و دفع عنها الفاطميين و السلاجقة[۸۵] و ضبطها أحسن ضبط[۸۶] و مد رقعة الإمارة شمالا بحيث شملت جبلة التى حررها من سيطرة الفرنج سنة ۴۷۳/ ه و عين لها قاضيا عبد اللّه بن منصور بن الحسين التنوخى المعروف بابن صليحة أو ضليعة على احدى الروايات.

و كان جلال الملک فارسا شجاعا عجز أمير الجيوش بدر الجمالى عن مقاومته[۸۷] كما عجز عن انتزاع الحكم منه. و كان بدر الجمالى اتفق مع بعض وجوه طرابلس على الإطاحة بجلال الملک، لكن مؤامرتهم فشلت لأن جلال الملک ظفر بكتب أرسلها بدر الجمالى إلى جماعة من أعيان طرابلس فألقى القبض عليهم و قتل بعضهم و نفى الآخرين[۸۸].

و كان جلال الملک إلى جانب فروسيته، محبا للعمران، بنى جامعا باسمه فى طرابلس، كما بنى الجهة الشرقية من جامع حلب الكبير[۸۹] و جدد فى عام ۴۷۲/ ه بناء دار العلم التى أسسها عمه أمين الدولة[۹۰].

ص: ۵۳

و كان بلاطه محط أنظار العلماء و الأدباء، و قد مدحه ابن الخياط بخمس قصائد من عيون شعره. و مما قاله فيه:

---

[۸۴] ( ۱) ديوان ابن حيوس تحقيق خليل مردم بک- المجمع العلمى بدمشق ۱۹۵۱.

[۸۵] ( ۲) ابن العديم- زبدة الحلب ج ۲، ص ۳۵.

[۸۶] ( ۳) الدكتور سهيل زكار- مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية دار الفكر بدمشق ۱۹۷۵، ط ۲، ص ۷۲.

[۸۷] ( ۴) ابن الأثير- الكامل أحداث سنة ۴۶۴/ ه، ج ۸، ص ۱۱۱.

[۸۸] ( ۵) ابن تغرى بردى- النجوم الزاهرة ج ۵، ص ۱۱۱.

[۸۹] ( ۶) ابن الجوزى- مرآة الزمان ج ۱۲، ق ۲، ص ۱۶۰ و ۱۶۱ و أيضا: الدكتور عمر عبد السلام التدمرى- اسرة بنى عمار فى طرابلس مجلة تاريخ العرب و العالم- العدد ۳۱ ايار ۱۹۸۱، ص ۶.

[۹۰] ( ۷) ابن الشحنة- الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب ص ۶۳. و ذكر ابن شداد: بنى- فيه الجهة الشرقية القضاة بنو عمار الذين كانوا أصحاب طرابلس من دون أى ذكر لأسمائهم راجع الاعلاق الخطيرة ج ۱، ق ۱، ص ۱۰۵.

و لا أبقى جلال الملک یوما لغیر هواه حکما فی فؤادی

أحب مکارم الأخلاق فیه و أعشق دولة الملک الجواد

رجوت فما تجاوزه رجائی و کان الماء غایة کل صاد

إذا ما روضت أرضی و ساحت فما معنی انتجاعی و ارتیادی

کفی بندی جلال الملک غیثا إذا نزحت قرارة کل واد

و قال أیضا:

یفنی بها المجد من عدل علی و من یبقی الشهور علی من جاء معترفا

ما أنتم بالندی إذ کان دینکم أشد منی- علی بعدی- بکم شغفا

من راکب واصف شوقی إلی ملک لا یخجل الروض إلا کلما وصفا

یثنی بحمد جلال الملک عن نغم عندی بما رق من شکری له وصفا

و جدیر بالقول ان حکم جلال الملک تعرض فی سنة ۴۸۴/ ه- ۱۰۹۱/ م- لهزة کادت أن تطیح به[۹۱]. ففی هذه السنة حاصر تاج الدولة تتش أخو السلطان ملکشاه طرابلس و معه أقسنقر و بوزان حاکم الرها و نصب علیها المجانیق، و لما أدرک جلال الملک أن لا طاقة له بمقاومة هذا الجیش الکبیر، لجأ إلی الحیلة، و اتصل سرا بأمراء تتش لاستمالتهم إلیه عن طریق رشوتهم. و لما فشل، إتصل برزین کمر وزیر أقسنقر و بعث إلیه بالهدایا و التحف بما أرضاه، فسعی رزین کمر بالوساطة بین جلال الملک و قسیم الدولة أقسنقر لیبعده عن تتش، فقبل أقسنقر وساطة وزیره رزین کمر مما دفع جلال الملک إلی حمل ثلاثین ألف دینار و تحفا بمثلها و قدمها لأقسنقر، کما عرض علیه منشور السلطان ملکشاه. بإقراره علی طرابلس، فلم یقبل منه تتش ذلک، و توقف أقسنقر عن قتاله، فقال له



[۹۱] ( ۱) ابن العدیم- الانصاف و التحری ص ۵۰.

تتش: أنت تبع لی فکیف تخالفنی، فقال: أنا تبع لک إلا فی عصیان السلطان، فغضب تاج الدولة تتش و رجع إلی دمشق، و عاد بوزان إلی بلاده[۹۲].

کان جلال الملک متزوجا من أخت الأمیر حصن الدولة معلی بن حیدرة بن منزو الکتامی والی دمشق[۹۳] و عرفنا من أبنائه حسنا، لأنه کان یکنی بأبی الحسن.

حکم جلال الملک ما یقرب من ثلاثین سنة، و توفی فی عام ۴۹۴/ ه- ۱۱۰۱/ م- فخلفه أخوه: القاضی فخر الملک أبو علی عمار بن محمد بن عمار، ملک السواحل، الملقب بذی السعدین[۹۴].

و کان فخر الملک من الأعیان الملوک، غزیر المروءة، عالی الهمة[۹۵].

و فی عهده، عاشت إمارة آل عمار، أحلک أیامها. و قضی فخر الملک سنوات حکمه القصیرة فی محاولات مستمیتة لإنقاذ إمارته من الخطر الصلیبی الداهم الذی لف باعصاره المشرق العربی.

لکن محاولاته ذهبت أدراج الریاح. و لم تجد شیئا مکاتباته و رسله الذین أرسلهم إلی ملوک دمشق و حلب و لا الأموال الطائلة التی دفعها إلیهم فی سبیل نجدته، و مد ید العون إلیه.

و کانت أول طعنة وجهت إلی حکم فخر الملک، عصیان قاضی جبلة ابن صلیحة، و إقامته الخطبة العباسیة، ثم أرسل فی شعبان سنة ۴۹۴/ ه إلی ظهیر الدین أتابک، یلتمس منه إرسال من یثق به



لیسلم إلیه ثغر جبلة، و یحمیه لیصل هو إلی دمشق بماله و أهله، فأرسل إلیه طغتکین ابنه تاج الملوک بوری فسلمه ابن صلیحة البلد، و رحل إلی دمشق.

و لما تسلم بوری جبلة، أساء هو و أصحابه السیرة مع أهلها و فعلوا بهم أفعالا قبیحة، فراسل أهل جبلة فخر الملک و شکوا إلیه ما یفعله بهم بوری و أصحابه، و طلبوا منه أن یرسل بعض أصحابه لیسلموا إلیه البلد، فسیر إلیهم عسکرا فدخلوا جبلة و اجتمعوا بأهلها و قاتلوا تاج الملوک بوری و من معه، فانهزم بوری و ملک عسکر فخر الملک جبلة و أخذوا تاج الملوک أسیرا، و حملوه إلی طرابلس فأکرمه فخر الملک، و أحسن إلیه و سیره إلی أبیه بدمشق و اعتذر إلیه و عرفه صورة الحال، و أنه خاف أن یملک الفرنج جبلة[۹۶].

---

[۹۲] ( ۱) دیوان ابن الخیاط.

[۹۳] ( ۲) ابن تغری بردی- النجوم الزاهرة ج ۵، ص ۱۳۲.

[۹۴] ( ۳) ابن القلانسی- ذیل تاریخ دمشق مطبعة الآباء الیسوعیین بیروت ۱۹۰۸، ص ۹۶.

[۹۵] ( ۴) العماد الأصفهانی- خریدة القصر تحقیق الدکتور شکری فیصل المجمع العلمی بدمشق ۱۹۵۹، ج ۲ قسم شعراء الشام ص ۱۱۱ و ۱۱۳.

[۹۶] ( ۱) ابن الفوطی- تلخیص مجمع الآداب ق ۳ ص ۲۶۴.

و لم يكن عصيان ابن صليحة شيئا مذكورا تجاه خطر الصليبيين الذين أحدقوا بطرابلس، و حاصروها بجيوشهم الكثيفة، و كان على رأسهم، فى مبدأ الأمر، صنجيل أحد أمراء الحرب الصليبيين و أكثرهم شراسة و دموية، الذى سار إلى طرابلس و حاصرها و ضيق عليها الخناق، فهادنه فخر الملک و بذل له مالا، و تنازل له عن ظاهر طرابلس شرط ألا يقطع الميرة عن المدينة و لا يمنع المسافرين منها[٩٧].

و لما رأى صنجيل أن هذه الهدنة لم تحقق مطامعه، عاد إلى حصار طرابلس من جديد، و بنى حصنا يقابلها، و بنى تحته ربضا، و منه أخذ يراقب المدينة مراقبة دقيقة جدا، منتظرا الفرصة المناسبة ليثب عليها، فخرج إليه فخر الملک سنة ۴۹۷/ ه، فى عسكره و هجم على الربض فقتل من به و أخذ منه كثيرا من السلاح و المال و الديباج و الفضة ثم أحرقه و عاد إلى طرابلس سالما غانما[٩٨].

ص: ۵۶

و بعد انتهاء غارة فخر الملک، وقف صنجيل على بعض رفوف الربض المذهبة المحترقة، و معه جماعة من القمامصة، فانخسف بهم و مرض صنجيل من ذلک و مات، و حمل إلى القدس فدفن فيه[٩٩] و قال ابن الوردى فى ذلک:

نقلوا صنجيل من نار إلى نار تضرّم  قبره إن كان فى القدس ففى وادى جهنم[١٠٠]

لكن موت صنجيل، لم ينقذ طرابلس من مصيرها المحتوم، لأن الصليبيين عادوا إلى حصارها من جديد بصورة أشد و أقسى و قد صبر فخر الملک على هذا الحصار بشجاعة، و حاول جهده التخلص من وطأته، فأرسل رسله إلى دمشق و حلب و غيرها من مدن الشام طالبا النجدة، و بذل الأموال الجزيلة فى سبيل ذلک، فلم يلق أذنا صاغية من أحد.

و للتخفيف من عبء الحصار على الأهالى، وزع الجرايات على الجند و الضعفاء، ثم شرع يقسط على الناس ما يخرجه فى باب الجهاد. و صدف أن أخذ من رجلين ثريين مالا، فشقّ ذلک عليهما، و يبدو أنهما كانا من ذوى النفوس الضعيفة، فخانا قومهما و التجئا إلى الصليبيين و أخبراهم بأن الميرة تصل إلى طرابلس من عرقة و الجبل، فحال الصليبيون دون وصول الميرة إلى طرابلس من هذين الطريقين و لما علم فخر الملک بخيانة الرجلين بذل للصليبيين مالا كثيرا فى مقابل أن يسلموه الرجلين فلم يرضوا بذلک، فأرسل من قتلهما[١٠١].

---

[٩٧] ( ٢) ابن الأثير – الكامل ج ٨، ص ١٩٩ أحداث سنة ۴۹۴/ ه.

[٩٨] ( ٣) ابن القلانسى – ذيل تاريخ دمشق ص ٢٣٨.

[٩٩] ( ١) ابن القلانسى – ذيل تاريخ دمشق ص ١۴۶.

[١٠٠] ( ٢) ابن الأثير – الكامل أحداث سنة ۴۹۹/ ه، ج ٨، ص ٢٣۵.

[١٠١] ( ٣) ابن الوردى ج ٢ ص ٢٩.

و لما اشتد ثقل الحصار عليه، و عجز عن دفعه بالأموال عقد العزم على الذهاب إلى بغداد، مقر الخلافة، و طلب النجدة، فاستناب ابن عمه أبا المناقب و رتب معه سعد الدولة فتيان بن الأعز[۱۰۲] و وجوه أصحابه

ص: ۵۷

و غلمانه، و صرف لهم واجب ستة أشهر سلفا و استحلفهم و توثق منهم، ثم توجه إلى بغداد لمقابلة السلطان محمد بن ملكشاة السلجوقى، فانتهز أبو المناقب الفرصة و أعلن العصيان و نادى بشعار الأفضل بن أمير الجيوش، شريک الخليفة الفاطمى صاحب مصر.

و لما وصل الخبر إلى فخر الملک كتب إلى أصحابه يأمرهم بالقبض على عمه و حمله إلى حصن الخوابى[۱۰۳] ثم تابع مسيره إلى بغداد و معه تاج الملوک بورى بن ظهير الدين أتابک و هبة اللّه بن محمد بن بديع أبو النجم.

و قد لقى فى بغداد إكراما زائدا، و وعودا بالنجدة و المساعدة من السلطان و أكابر الأمراء، لكن هذه الوعود بقيت مجرد كلام، لم يتحقق منها شىء.

بقى فخر الملک مدة طويلة فى بغداد و هو يمنّى النفس بالحصول على المساعدة المنشودة، و لما طال به المقام من غير طائل، و لم يلمس من السلطان و أكابر الأمراء ما يدل على الرغبة فى تحقيق و عودهم، دب اليأس فى نفسه، و عاد إلى دمشق منكسر الخاطر، و ذلک فى نصف المحرم سنة ۵۰۲/ ه و وصلها آخر ذى الحجة من العام نفسه و أقام فى دمشق أياما ثم توجه مع خيل من عسكر دمشق جردت معه إلى جبلة فدخلها، و اطاعه أهلها.

و أما أهل طرابلس فإنهم أرسلوا إلى الأفضل بمصر يلتمسون منه انفاذ وال يصل إليهم فى البحر و معه الغلة و الميرة فى المراكب لتسلم إليه البلد، فوصل إليهم شرف الدولة بن أبى الطيب الدمشقى واليا من قبل الأفضل و معه الغلة، فلما وصل إليها قبض على أعيان البلد و جماعة أهل فخر الملک و حريمه و ذخائره و آلاته و أثاثه، و حمل الجميع إلى مصر فى البحر.

ص: ۵۸

هذه الأحداث المتلاحقة لم تؤثر فى موقف الصليبيين الذين شددوا ضغطهم على طرابلس حتى ملكوها بالسيف يوم الثلاثاء ثالث ذى الحجة من سنة ۵۰۲/ ه- ۱۱۰۹/ م- بعد حصار دام خمس سنين، و قتلوا من أهلها خلقا كثيرا و أسروا كثيرين، و سلبوا و نهبوا[۱۰۴]. ثم توجهوا إلى جبلة[۱۰۵] و فيها فخر الملک، و حاصروها فراسلهم فخر الملک، و طلب الأمان فأجابوه

---

[۱۰۲] ( ۴) ابن الأثير- الكامل ج ۸، ص ۲۳۵.

[۱۰۳] ( ۱) ابن الفرات ج ۸، ص ۷۷.

[۱۰۴] ( ۱) ابن القلانسى- ذيل تاريخ دمشق ص ۱۶۱ و ذكر ابن الفرات فى تاريخه الحادثة على الشكل التالى: فلما ضاق ذرعا بالحصار و عجز عن دفعه خرج من طرابلس بعد أن استناب بها ابن عمه أبا المناقب و رتب معه سعد الدولة فتيان بن الاعز و نفق فى العسكر ستة شهور و سار لقصد السلطان محمود بن ملكشاه السلجوقى فجلس أبو المناقب فى بعض الأيام و عنده وجوه طرابلس و أكابرها فخلط فى كلامه فنهاه سعد الدولة بلطف فجرد سيفه و ضرب سعد الدولة فقتله و انهزم من كان بالمجلس و قام أبو المناقب و صعد على السور و صفق بابطيه فقيض عليه أهل البلد و نادوا بشعار الأفضل بن أمير الجيوش شريک الخليفة الفاطمى صاحب مصر و ذلک فى شهر رمضان سنة خمسمائة.

إلى ذلک، و تسلموا البلد بالأمان و خرج فخر الملک سالما، و توجه إلى شيزر فأكرمه صاحبها سلطان بن على بن مقلد بن منقذ الكنانى، و احترمه و جماعته، و عرض عليه المقام عنده فلم يرض و توجه إلى دمشق فأكرمه ظهير الدين أتابک و أنزله فى داره و أقطعه الزبدانى و أعمالها، و ذلک فى شهر محرم من سنة ثلاث و خمسمائة[١٠٦].

و على الرغم من فقد فخر الملک إمارته، و خروجه منها، فإن روح الجهاد ضد الصليبيين بقيت تعتمل فى نفسه، فها نحن نراه يلبى نداء السلطان محمد بن ملكشاه فيتوجه إلى بغداد على رأس جيش أمره عليه ظهير الدين أتابک[١٠٧] ....

ص: ٥٩

و بعد توجه فخر الملک إلى بغداد انقطعت أخباره عنا، و لم نسمع عنه شيئا. و لم نعلم كيف انتهت حياته و متى.

كان فخر الملک، آخر من حكم من آل عمار[١٠٨] و دام حكمه ثمانى سنوات تقريبا من ۴۹۴/ ه إلى ۵۰۲/ ه.

و تستوقفنا فى سيرة حياته ظاهرة تبعث على العجب، و هى:

كيف استطاع فخر الملک برغم الأيام العصيبة التى عاشها، و مشاغله الكثيرة، و الأحداث التى تكالبت عليه، أن يجد الوقت الكافى لمجالسة العلماء و الأدباء و الشعراء، و مطارحتهم الشعر و الأدب.

كتب ابن النقار الدمشقى أن فخر الملک كان اقترح على الشعراء أن يعملوا على وزن قصيدة ابن هانىء المغربى:

«فتقت لكم ريح الجلاد بعنبر»

فسبقهم أبو الحسن على المعروف بابن العلانى المعرى، و عمل ما أعجب فخر الملک، و أجازه عليه، و استغنى به عن الجميع.

و ما قاله ابن العلانى هو[١٠٩]:

هل بارع الشّعراء غير مقصّر  عن بارع من مجدک المتخيّر

---

[١٠٥] ( ٢) جاء فى بعض المصادر التاريخية اسم جبيل و الصحيح جبلة لأن فخر الملک بعدما رجع من بغداد خائبا دخل جبلة مع خيل من عسكر دمشق و أقام فيها ..

[١٠٦] ( ٣) ابن القلانسى- ذيل تاريخ دمشق ص ١۶۵.

[١٠٧] ( ۴) المرجع السابق ص ١۶۶.

[١٠٨] ( ١) ذكر الأب اغناطيوس الخورى أن الذين حكموا طرابلس من آل عمار هم: أبو طالب بن عمار من ١٠۶٩ إلى ١٠٧٢، جلال الملک بن عمار من ١٠٧٢ إلى ١١٠٠، أبو على بن عمار من ١١٠٠ إلى ١١٠١، على بن عمار من ١١٠١ إلى ١١٠۵، ذو المناقب بن عمار من ١١٠۵ إلى ١١٠٨. من دون أن يذكر المصادر التى استند إليها فى هذا الترتيب. و كما بينا فإن آخر من حكم من آل عمار هو فخر الملک كما هو ثابت من المرويات التاريخية. و ان أبا المناقب لم يحكم إلا بضعة أيام بعد أن استنابه فخر الملک عند رحيله إلى بغداد و قد فصلنا ذلک ..

[١٠٩] ( ٢) العماد الأصفهانى- خريدة القصر و جريدة العصر ج ٢، ص ٧٨.

أم كنهه ما ليس يدركه بذا | قول كمنسوق الجمان محبّر

فعلى البليغ الجهد منه فإن يجد | يحمد، و إن يک مقصرا فليعذر

يا ناصر الدّين لو لم تطل | منه مقارعة العدى لم ينصر

ص: ۶۰

ليطل بقاؤک للمكارم و العلى | فربوعهنّ معالم لم تدثر

و لترع عين اللّه منک حلاحلا | سبق الورى سبق الجواد المحضر

يحتاطک التوفيق، لا يألوک فى | تسهيله لک كلّ صعب أوعر

و إذا دجت ظلم الأمور فلا تزل | سبّاقها بسراج رأى أنور

للّه همّتک الخطيرة إنها | خلقت لصبّ بالعلى مستهتر

لمؤرّق فى المجد مضّاء على ال | أهوال ثبت ما يراع بمسهر

و المجد صعب المرتقى إلّا على | يقظان فى ذات الإله مشمّر

وارى زناد الفكر، وقّاع، بما | يبدى العيان، على الخفىّ المضمر

شيم نظام الملک مخصوص بها | دلّت على ملک كريم العنصر

إنّ العلى ما بين كفّ برّة | منه و وجه بالطّلاقة مسفر

علياؤه ما يستطاع مرامها | فلتقلل الحسّاد أو فلتكثر

سيف الخلافة لا تزل عضب الشبا | تفرى بحدّيک الخطوب فتنفرى

لو بان شخص المجد لم يک فى الورى | إلّاک منه عليه عقد الخنصر

خلق أبى إلّا السماح سجيّة | تتغيّر الدنيا و لم يتغير

و لقد سمعت و ما سمعت بجائد، | فى عسرة يعطى عطاء الموسر

ما روضة غنّاء أشراطيّة — أنف ينمّ بها نسيم العبهر

ولى الحيا تدبيجها فكأنّه — واشى رقوم أو مقوّم أسطر

يختال جوّتلاعها و وهادها — فى وارف واصى النبات منوّر

غبقته سارية الغمائم و اجتلى — بالنّور من صوغ الرّبيع المبكر

معجت صبا نجد بها و كأنّما — فضّت ختام التبّتىّ الأذفر

عبقات نور لم تخل أنفاسه — إلّا بداهة نكهة من عنبر

كصفات فخر الملک فى إنشائها — زهر الثناء بوبلها المستمطر

أعذول هذا البحر فى بذل النّدى — ما العذل إلّا ضائع فى الأبحر

لفّق ملامک أو فذره فلم تكن — لتسدّ أسكوب الغمام المعزر

ألف الجياد فما تزال جياده — تردى إليه بكل ذمر معور

تدحى بأيدى الخيل هامات العدى — فكأنّهنّ لواعب بالميسر

ص: ۶۱

فى كلّ يوم يسترون عجاجة — قصرت لحاظ الطير دون المنسر

قد عوّدت ريّ الأسنّة، كلّما — شكت الغليل، من النّجيع المهدر

صارت مشارعها متون سلاهب — لحق الأياطل كالسّعالى، ضمّر

من كلّ يعبوب سما بتليله — عنق كجذع من أراک موبر

مستلحق أولى الطرائد، صارع — للقرن فى قتم الغبار الأكدر

ينثال فى طلب العدوّ كما أتى — سند بمهوى سيله المتحدّر

و صوارم بتر المضارب لم تقع — إلّا على ترب الجبين معفّر

من كلّ أبيض ناطق فى هامة تحكى خطيبا فوق صهوة منبر

يكسو أديم الأرض صبغة عندم لم تبد إلّا عن دم مثعنجر

يبرى أكفّا ثم يتبع أذرعا تحكى أنابيب القنا المتكسّر

أيظنّ جند الشّرک عزمک مغفلا حزّ الطلى منهم و قطع الأبهر

لتساورنّهم بها ملمومة بالأسد تذأى فى قنا و سنوّر

فلتنسفنّهم سطاک بعاصف يجتثّ أصل المشركين بصرصر

و ليجلبنّ ذوى القسىّ أعدّها للشّرک كلّ مباسل متنمّر

يقذفن فى مهج الطّغاة طوائرا بمثال أجنحة الجراد الطّيّر

حتى تغيب حجول خيلک فى الوغى ممّا تخوض من النّجيع الأحمر

تدبير معتزم طلوب ثأره بسيوفه طلب الهزبر القسور

يا منفد الأموال لا مستبقيا لسوى مساع كالنجوم النّيّر

عجبا لكفّک كيف لا يخضرّ ما تحوى عليه من الأصمّ الأسمر

كشفت تجاربک الزمان فعلّمت أهل التجارب كيف حلب الأشطر

ودّعت شهرا أنت فى هذا الورى بعلوّ قدرک مثله فى الأشهر

تقضى فروض الصّوم أكرم صائم و أهلّ عيد الفطر أكرم مفطر

لا تعدم الأعياد إن ألبستها ببقائک الممدود أحسن منظر

فإذا سلمت فكلّ عيد عندنا موف على عيد أغرّ مشهّر

دامت لک النّعماء موصول بها توفيق منصور اللّواء مظفّر

ص: ۶۲

كانت شخصية فخر الملک الفذة و عزمه الشديد، محل تقدير و إعجاب الشعراء الذين تفننوا فى مدحه، و ذكر مناقبه.

و من هؤلاء ابن الخياط الذى مدحه بالعديد من القصائد. و مما قاله فيه[١١٠]:

و يا فخرى- و فخر الملک مثن — على- لقد جريت بلا رسيل

تفنن فى العطاء الجزل حتى — حبانى فيه بالحمد الجزيل

و قال أيضا:

تفيأت ظل فخر الملک و اغتبطت — بحيث حل عقال المزن فانسكبا

حتى إذا وردت تهفو قلائدها — ألفت أعز بتاج المجد معتصبا

أشم أشوس مضروبا سرادقه — على الممالک مرخ دونها الحجبا

ممنع العز معمور الغناء به — مظفر العزم و الاراء منتجبا

و قال أيضا:

ما الفخر فخر الملک الا الذى — شدت بطيب الفعل و المنصب

فاليوم أدركت المنى غالبا — و ليس غير الليث بالأغلب

فالضر كل الضر فى سيفک الف — اتک أو فى عزمک المقضب

و من الشعراء الذين مدحوه أيضا، أبو المواهب المعرى الذى قال يهنيه بعيد الفطر سنة ۴۹۳/ ه[١١١].

و ظلت أخطّيها البلاد و دونها — طرابلس حيث الأمانى و جلّق

و رجّحت ما بين الملوک فمال بى — رجاء بذى السّعدين أوفى و أوفق

---

[١١٠] ( ١) ديوان ابن الخياط.

[١١١] ( ٢) العماد الأصفهانى- خريدة القصر ج ٢، ص ١١١.

مليک به الآمال ألقت عصا النّوى فقرّت و فی أوصافه المدح یصدق

زجرت به طیر المنی فسنحن لی و طائره المیمون فیها محلّق

و عرّض لی غیث علی الشّیم مرعد من الشام ثجّاج السحائب مغدق



أقلعت توالی فلو لا رحمة منه لخیّل أنی فیه لا شکّ أغرق

هو البحر إلّا أنه غیر مالح هو البدر إلّا أنه لیس یمحق

له خلق کالرّوض حسنا و بهجة هی السیف بل أمضی، و رأی موفق

و من ذا الذی یستصعب الرّزق بعدما دری أنّ یمناه عن اللّه ترزق

و فین اللیالی خیفة عنه من فتی یصمّم فی أحداثها و یطبّق

حمی الثغر من رشف المواضی فقد کفی تأشّب ما یحمیه سور و خندق

و العجیب، أن فخر الملک، الذی کان محمیا للعلم و العلماء، و یقرب الأدباء و یوسع لهم صدر مجلسه، و یغدق علیهم بسخاء، یضیق صدره بهجاء شاعر، فیأمر بقتله کما روی ابن تغری بردی فی أخبار سنة ۴۹۷/ ه:

«و فیها توفی أحمد بن الحسین بن حیدرة الأدیب أبو الحسین، و یعرف بابن خراسان الطرابلسی الشاعر المشهور. و کان شاعرا مجیدا، هجا فخر الملک ابن عمار قاضی طرابلس و صاحبها و أخاه فأمر بضربه قاضی طرابلس المذکور فضرب حتی مات»[۱۱۲].

و إذا صح هذا الخبر، کان ما فعله فخر الملک لطخة سوداء فی جبینه لا تمحوها الأیام.

خلف فخر الملک عددا من الأولاد عرفنا منهم شرف الدولة علی. الذی ذکره ابن الخیاط فی قصیدتین، قال الأولی ارتجالا مهنئا فخر الملک بظهور ولده شرف الدولة أول یوم رکوبه و عمره خمس و مطلعها[۱۱۳]:

---

[۱۱۲] ( ۱) ابن تغری بردی- النجوم الزاهرة ج ۵، ص ۱۸۸.

ألا هكذا تستهل البدور | محل على و وجه منير

ص: ۶۴

و منها:

دعا شرف الدولة المجدفيه | فلباه منبره و السرير

.. ..... | .. .....

فيا شرف الدولة المستجار | لک الله من کل مين مجير

و قال الثانية يمدحه و يمدح والده فخر الملک و يهنيه بعيد الفطر و بالبرء من مرضه سنة ۴۸۲/ ه[۱۱۴] و مطلعها:

لنا کل يوم هناء جديد | و عيد محاسنه لا تبيد

و منها:

فعش ما تشاء به ضافيا | عليک من العز ظل مديد

فأنزر نيلک فيه العلاء | و أيسر عمرک فيه الخلود

و قل لأبيک وقى السوء فيک | کذا فلترب الشبول الأسود

---

[۱۱۳] ( ۲) ديوان ابن خياط.

[۱۱۴] ( ۱) ديوان ابن خياط.

و بالإستناد إلى ما وصلنا من أخبار عن آل عمار، نستطيع أن [تصوير]

ص: ۶۵

نتصور شجرتهم العائلية على الشكل التالى[۱۱۵]:

كان بنو عمار من خيرة الحكام، و لهم أياد بيض على العلم و الأدب[۱۱۶].

ص: ۶۶

و كانت مفخرة أعمالهم دار العلم التى أنشأوها بطرابلس لتكون جامعة تنشر العلوم و الآداب[۱۱۷].

و صفت دار العلم بأنها مركز من مراكز التشيع، و مقرّ لنشر المذهب[۱۱۸].

و كانت طرابلس بفضل دار العلم كعبة المتعلمين[۱۱۹].

وضع أساس دار العلم و بناها، أمين الدولة بن عمار، و جمع فيها ما يزيد على ماية ألف كتاب وقفا[۱۲۰].

و يبدو أن الوهن أصاب دار العلم مع الأيام أو ضاقت بما فيها، لذلك قام جلال الملک بتجديدها سنة ۴۷۲/ ه- ۱۰۸۰/ م- و وقف لها بدوره عددا من تصانيف أبى العلاء المعرى، و هى[۱۲۱]:

۱- الصاهل و الشاجح: و مقداره أربعون كراسة، صنفه أبو العلاء لأبى شجاع فاتک والى حلب من قبل المصريين و يتكلم فيه على لسان فرس و بغل.

۲- السجع السلطانى: يشتمل على مخاطبات الجنود و الوزراء و غيرهم من الولاة و مقداره ثمانون كراسة.

۳- الفصول و الغايات: و هو كتاب موضوع على حروف المعجم ما خلا الألف و مقداره مائة كراسة.

---

[۱۱۵] ( ۱) خليل مردم بک مقدمة ديوان ابن الخياط.

[۱۱۶] ( ۲) رأينا أكثر من واحد رسم شجرة آل عمار و كان أولهم المستشرق زامباور فى معجم الأنساب و الأسر الحاكمة فى التاريخ الإسلامى جامعة فؤاد الأول ۱۹۵۱ و رسم شجرتهم كالتالى:

[۱۱۷] ( ۱) محمد كرد على- خطط الشام ج ۴، ص ۳۳.

[۱۱۸] ( ۲) الدكتور أسعد طلس- مصر و الشام فى الغابر و الحاضر دار المعارف بمصر ۱۹۴۵، ص ۶۵.

[۱۱۹] ( ۳) الدكتور زكى النقاش- العلاقات الإجتماعية و الثقافية و الإقتصادية بين العرب و الإفرنج خلال الحروب الصليبية دار الكتاب اللبنانى بيروت ۱۹۵۸، ص ۹۴.

[۱۲۰] ( ۴) تاريخ ابن الفرات ج ۸، ص ۷۷.

[۱۲۱] ( ۵) ابن العديم- الإنصاف و التحرى ص ۵۰.

۴- السادن: أنشیء فی غریب الفصول و الغایات، و ما فیه من



اللغة و مقداره عشرون کراسة.

۵- اقیلد الغایات: کتاب لطیف مقصور علی تغییر اللغز و مقداره عشر کراریس.

۶- رسالة الاغریض: و هی من الرسائل الطوال التی تضمنها کتاب دیوان الرسائل.

و کان جلال الملک یفرق علی أهل دار العلم ذهبا تشجیعا لهم.

و قد اهتم آل عمار اهتماما کبیرا بدار العلم، و رصدوا لها الأموال الوافرة. و کان لهم وکلاء یجوبون مختلف الأقطار الإسلامیة بحثا عن الکتب النفیسة و المخطوطات النادرة. و کان فی مکتبة دار العلم أکثر من مائة و ثمانین ناسخا یعملون علی نسخ الکتب.

و کانت أغلب کتب دار العلم مجلدة و مزخرفة و محلاة بالذهب و الفضة، منسوخة علی أیدی أشهر الخطاطین.

و کانت خزائن دار العلم مملوءة بکتب الفرس و العرب و الیونان، و بلغ مجموع ما فیها ثلاثة ملایین من المجلدات[۱۲۲] منها خمسون ألف نسخة من القرآن الکریم، و ثمانون ألف نسخة من کتب التفاسیر[۱۲۳].

تولی نظارة دار العلم عدد من کبار العلماء، ذوی المکانة الرفیعة، عرفنا منهم:

الحسین بن بشر بن علی بن بشر، و أسعد بن أبی روح أبو الفضل الرافضی، و أبو عبد اللّه الطلیطلی. و کان کل واحد منهم علی جانب کبیر من الثقافة و العلم و المعرفة.

* الحسین بن بشر المعروف بالقاضی.



ذکره ابن أبی طی فی رجال الشیعة، و قال: کان صاحب دار العلم بطرابلس. إشتهر بخطبه البلیغة التی ضاهی بها خطب ابن نباتة.

کانت له مع الخطیب البغدادی مناظرة، تفوق فیها علی الخطیب، و علی أساس هذه المناظرة حکم له الکراجکی بالتقدم فی العلم[۱۲۴].

---

[۱۲۲] ( ۱) جرجی ینی- کتاب تاریخ سوریا المطبعة الأدبیة بیروت ۱۸۸۱، ص ۳۸۳.

[۱۲۳] ( ۲) محمد ماهر حمادة- المکتبات فی الإسلام، ص ۱۳۳.

❊ أسعد بن أحمد بن أبى روح قاضى طرابلس.

كان تلميذ ابن البداح، و انفرد بعده بالشام و طرابلس و فلسطين، و عقدت له حلقة الاقراء. ولى القضاء لابن عمار.

جمع ابن عمار بينه و بين بعض الفقهاء المالكية فناظره فى تحريم الفقاع فتغلب على المالكى بفصاحته و حجته، فانزعج المالكى و قال له كلنى، فأجابه فى الحال ما أنا على مذهبک، يريد ان مذهبه جواز أكل الكلب.

سأله ابن عمار مرة، ما الدليل على حدوث القرآن، فأجاب، النسخ و القديم لا يتبدل و لا يدخله زيادة و لا نقص.

بقى فى طرابلس إلى أن ملكها الصليبيون، فانتقل إلى حيفا، و اتخذ بها دارا للكتب جمع فيها ما يزيد على أربعة آلاف مجلدة.

توفى قبل سنة ٥٢٠/ ه و قيل انتقل من طرابلس إلى دمشق و مات بها.

كان أسعد متعبدا زاهدا راهبا عظيم الصلاة و التهجد لا ينام إلا بعض الليل، و كان صمته أكثر من كلامه. و كان جليل القدر يرجع إليه أهل الشيعة[١٢٥].

ص: ٦٩

خلف لنا العديد من المؤلفات النفيسة منها:

١- عيون الأدلة فى معرفة اللّه.

٢- التبصرة فى معرفة المذهبين الشافعية و الإمامية.

٣- البيان فى خلافة الإمامية.

۴- النعمان و المقتبس فى الخلاف مع مالک بن أنس.

۵- النور فى عبادة الأيام و الشهور.

و قد ذهل آغا بزرک الطهرانى عن هذه الكتب فلم يذكرها فى موسوعته [الذريعة إلى تصانيف الشيعة].

أبو عبد اللّه الطليطلى (الشيخ العالم):

---

[١٢٤] ( ١) ابن حجر- لسان الميزان ج ٢، ص ٢٧۵.

[١٢۵] ( ٢) المرجع السابق ج ١، ص ١٨۶.

كنيته تدل على أنه أندلسى الأصل من طليطلة، و لا نعرف سبب خروجه من الأندلس، و تاريخ ذلک و إن كنا نعرف أنه فى العهد الفاطمى حصلت هجرات كبيرة من المغاربة إلى مدن ساحل الشام. كان متولى دار العلم بطرابلس على عهد آل عمار، و كان من تلاميذه الأمير أسامة بن منقذ الذى قرأ عليه النحو نحوا من عشر سنين.

حدثنا أسامة بن منقذ عما كان يتمتع به أستاذه من ذاكرة قوية تبعث على العجب، قال: «شاهدت من الشيخ أبى عبد اللّه عجبا. دخلت عليه يوما لأقرأ عليه فوجدت بين يديه كتاب النحو: كتاب سيبويه و كتاب الخصائص لابن جنى و كتاب الإيضاح لأبى على الفارسى و كتاب اللمع و كتاب الجمل، فقلت يا شيخ أبا عبد اللّه، قرأت هذه الكتب كلها؟! قال: قرأتها لا و اللّه إلا كتبتها فى اللوح و حفظتها. تريد تدرى. خذ جزءا و افتحه و اقرأ من أول الصفحة سطرا واحدا فأخذت جزءا و فتحته و قرأت منه سطرا فقرأ الصفحة بأجمعها حفظا حتى أتى على تلک

ص: ٧٠

الأجزاء، جميعها فرأيت منه أمرا عظيما ما هو فى طاقة البشر»[١٢٦].

كان أبو عبد اللّه آخر من تولى على دار العلم، و بقى متولّيا عليها إلى أن سقطت طرابلس بيد الصليبيين سنة ٥٠٢/ ه ١١٠٩/ م- و كان من جملة الذين وقعوا فى أسر الصليبيين. و قد دفعت مكانته العلمية الكبيرة والد أسامة بن منقذ و عمه إلى استخلاصه من الأسر مع يانس الناسخ[١٢٧].

هذا كل ما وصلنا من معلومات عن هذا الشيخ العالم.

لكن مما يؤسف له، ان هذه المكتبة النادرة المثال، أحالها الصليبيون إلى رماد عند احتلالهم طرابلس سنة ٥٠٢/ ه و كان وراء حرقها أحد القساوسة الصليبيين المتعصبين. فقد صدف أن دخل هذا القسيس المتعصب إلى المكتبة و شاهد الكتب من حوله، و يظهر أنه دخل إلى قاعة مخصصة للمصاحف، فالتقط أول كتاب طالته يده و فتحه فإذا هو قرآن كريم فرماه و التقط كتابا ثانيا فإذا به مصحف فرماه و تناول ثالث و هكذا إلى عشرين مرة فاعتقد أن المكتبة كلها تتألف من المصاحف فثارت ثائرته و قال: هذه مكتبة مملوءة بالمصاحف أحرقوها ...[١٢٨] فأحرقت.

و هكذا بلحظة رعناء زال من الوجود كنز لا يقدر بثمن.

و قد ندب مؤرخو العرب فقدان تلک المكتبة الثمينة، التى لم يذكر عنها مؤرخو الصليبيين القدماء شيئا. تجاهلوها ليستروا فعلة قومهم الشنعاء[١٢٩].

ص: ٧١

---

[١٢٦] ( ١) اسامة بن منقذ- كتاب الإعتبار بريستون ١٩٣٠، ص ٢٠٨.

[١٢٧] ( ٢) المرجع السابق.

[١٢٨] ( ٣) محمد ماهر حمادة- المكتبات فى الإسلام، ص ١٣٤.

[١٢٩] ( ٤) جرجى ينى- كتاب تاريخ سوريا، ص ٣٨٣.

EUQIROTو قد حاول الأب اليسوعى هنرى لامنمى فى كتابه مختصر تاريخ سورية
[١٣٠] التقليل من شأن دار العلم و حرقها، فرد عليه الأستاذ الرئيس محمد كرد على ردا SIHSICERPEIRYSAL مفحما جاء فيه:

«و من الغرائب فى هذا التاريخ دعوى المؤلف ان دار العلم بطرابلس (ص ٢١٥، ج/ ١) لم تكن مدرسة جامعة بل مدرسة صغيرة لتلقين العلم الدينى».

و قال: و من رأينا أن حريق الجامع الأموى بدمشق سنة ١٠٦٩/ م على عهد الفاطميين كان أشأم على العلم من أخذ طرابلس. بيد أن المؤرخين مجمعون على أن طرابلس كان فيها دار حكمة على مثال بيت الحكمة ببغداد و قد قال الأثرى العلامة فان برشم فى مفكراته «ازدهرت طرابلس زمن القاضى ابن عمار و قد جعلها مركزا من مراكز التشيع و أنشأ فيها بيت حكمة جهزه بمائة ألف مجلد من الكتب و كان فيها على عهده مدرسة جامعة و مدارس دينية و خزائن كتب و ربما كانت طرابلس قبيل استيلاء الصليبيين عليها أول بلدة علمية فى الشام»[١٣١].

## الحياة الثقافية فى عهد آل عمار:

ازدهرت الحياة الثقافية فى عهد آل عمار، ازدهارا لا مثيل له.

و كانت طرابلس فى عهدهم قبلة الأدباء و العلماء.

و كان لآل عمار اليد الطولى فى ذلك، و ساعدوا العديد من الأدباء و الشعراء على إجادة شعرهم.

ذكر العماد الأصفهانى عن ابن الخياط قوله:

«و مضيت إلى بنى عمار و مدحتهم فأحسنوا إلىّ و ألجأونى إلى

ص: ٧٢

إجادة شعرى»[١٣٢].

و كان الشاعر ابن حيوس هو الذى نصحه بالذهاب إلى بنى عمار.

و قد بذل بنو عمار للعلماء و الأدباء العطاءات السخية، و وفروا لهم الجو الذى يساعدهم على العطاء و الإبداع.

و قد ازينت سماء الفكر فى طرابلس، بعدد من الأسماء جلهم من الشيعة، برزوا فى ميدانى الفقه و الأدب كان من أبرزهم:

---

[١٣٠] ( ١) المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٢١.

[١٣١] ( ٢) مجلة المجمع العلمى بدمشق المجلد الثانى ج ٩، ص ٢٧.

[١٣٢] ( ١) العماد الأصفهانى- خريدة القصر ج ٢، ص ٢٤٣.

❊ فی الفقه:

الحسین بن أحمد بن محمد بن القطان البغدادی، و القاضی سعد الدین أبی القاسم عبد العزیز بن نحریر بن عبد العزیز بن البراج، و الشیخ عز الدین عبد العزیز ابن أبی کامل تلمیذ القاضی ابن البراج، و أبی عبد اللّه محمد بن هبة اللّه بن جعفر الوراق، و غیرهم ....

❊ فی الأدب:

ابن منیر الطرابلسی أوحد عصره، و لسان دهره.

و هذه نبذة موجزة عن کل واحد من هؤلاء.

– الحسین بن أحمد بن محمد بن القطان البغدادی.

ذکره ابن أبی طی فی رجال الشیعة، و قال: امام عالم فاضل من فقهاء الإمامیة، قرأ علی الشریف المرتضی و علی الشیخ المفید.

قدم حلب سنة ۳۹۰ فأقرأ فی جامعها ثم توجه إلی طرابلس فأقام عند رئیسها أبی طالب محمد بن أحمد، و أقرأ أولاده.

ص: ۷۳

توفی بعد سنة ۴۲۰/ ه[۱۳۳].

عرفنا من مؤلفاته کتاب (الشامل)، تجاهله أغا بزرک فلم یذکره فی [الذریعة إلی تصانیف الشیعة].

– القاضی سعد الدین، و قیل عز الدین، أبی القاسم عبد العزیز بن نحریر بن عبد العزیز بن البراج قاضی طرابلس.

نعته الشیخ منتجب الدین بأنه کان وجه الأصحاب وفقیههم.

و کان من خواص تلامیذ علم الهدی ثم شیخ الطائفة الطوسی. و کان خلیفة الشیخ الطوسی فی البلاد الشامیة.

و کان ابن المرتضی یجری علیه فی کل شهر ثمانیة دنانیر.

قرأ علیه کثیرون منهم: الشیخ الإمام جد الإسلام الحسن بن الحسین ابن بابویه القمی، و الشیخ أبو محمد الحسن بن عبد العزیز بن المحسن الجبهانی، و الشیخ المفید عبد الجبار بن عبد اللّه بن علی المقرىء الرازی، و الشیخ موفق الدین أبو القاسم عبد اللّه بن الحسن بن الحسین ابن بابویه القمی[۱۳۴].

---

[۱۳۳] ( ۱) ابن حجر – لسان المیزان ج ۲، ص ۲۶۷.

[۱۳۴] ( ۲) یوسف البحرانی – لؤلؤة البحرین النجف ۱۹۶۶، ص ۳۳۲.

توفی لیلة الجمعة ۹ شعبان سنة ۴۸۱/ ه و خلف لنا عددا من المؤلفات الهامة هی:

* المعتمد فی الفقه.

* المقرب فی الفقه.

* الجواهر فی الفروع، فی تمام الفقه مرتب علی أبواب: باب مسائل الطهارة، باب مسائل الصلاة، و هکذا إلی الباب الأخیر باب مسائل المعمیات الفقهیة و ألغازها. و عناوین مطالب کل باب (مسألة کذا

ص: ۷۴

الجواب کذا) طبع ضمن مجموعة جوامع الفقه[۱۳۵].

* الروضة أو روضة النفس فی أحکام العبادات الخمس.

نهج فیه منهاج استاذه شیخ الطائفة فی کتاب جمل العقود الذی کتبه الشیخ بالتماس هذا التلمیذ فی أبواب العبادات و أقسامها[۱۳۶].

* المهذب فی الفقه.

یعبّر عنه فی مفتاح الکرامة بالمهذب القدیم فی مقابل المهذب البارع لابن مهند. و هو من أول الطهارة إلی آخر کتاب الصلاة[۱۳۷].

- الشیخ عز الدین عبد العزیز ابن أبی کامل الطرابلسی.

تلمیذ القاضی ابن البراج.

روی عن المرتضی و الشیخ الکراجکی. صرح بنسبته إلی السید ابن طاووس فی «فتح الأبواب» کما ذکره فی [الریاض].

قال عنه صاحب لؤلؤة البحرین: قاضی طرابلس، و هو- کما عرفت- یروی عن القاضی عبد العزیز بن البراج، فیکون تولیه القضاء بعد القاضی ابن البراج.

جاء فی کتاب [أمل الآمل] الشیخ عبد العزیز بن أبی کامل الطرابلسی القاضی کان فاضلا عالما فقیها عابدا[۱۳۸].

من مؤلفاته:

---

[۱۳۵] ( ۱) اغا بزرک- الذریعة إلی تصانیف الشیعة ج ۵، ص ۲۵۶.

[۱۳۶] ( ۲) المرجع السابق ج ۱۱، ص ۲۸۳.

[۱۳۷] ( ۳) المرجع السابق ج ۲۳، ص ۲۹۴.

[۱۳۸] ( ۴) یوسف البحرانی- لؤلؤة البحرین ص ۳۳۶.

❊ الموجز فی الفقه.

❊ الکامل فی الفقه.

ص: ۷۵

❊ الجواهر.

❊ الإشراق.

– أبو عبد اللّه محمد بن هبة بن جعفر الوراق.

تلمیذ شیخ الطائفة الطوسی.

قال ابن بابویه الرازی فی [فهرست أسماء علماء الشیعة و مصنفیهم] فقیه ثقة، قرأ علی الشیخ أبی جعفر الطوسی رحمهما اللّه کتبه و تصانیفه[۱۳۹].

من مؤلفاته:

❊ کتاب الزهد.

❊ الزهرة فی أحکام الحج و العمرة.

❊ النیات.

❊ کتاب الفرج الکبیر فی الغیبة.

و هو کتاب کبیر، و کان عند المیرلوجی الموسوی السبزواری المعاصر للمولی محمد باقر المجلسی. و المیرلوجی ینقل عنه فی أربعینه الموسوم [کفایة المهتدی فی أحوال المهدی][۱۴۰].

– ابن منیر الطرابلسی.

هو أحمد بن منیر بن أحمد بن مفلح، أبو الحسین، مهذب الدین الملقب بعین الزمان، المشهور بالرفاء.

ولد فی طرابلس سنة ۴۷۳/ ه ۱۰۸۱/ م– و کان أبوه ذا صوت جمیل، یغنی فی أسواق طرابلس القصائد فی مدح آل البیت علیهم السّلام

---

[۱۳۹] ( ۱) ابن بابویه الرازی– فهرست أسماء الشیعة و مصنفیهم دار الأضواء بیروت ۱۹۸۶، ط ۲، ص ۱۵۵.

[۱۴۰] ( ۲) اغا بزرک– الذریعة ج ۱۶، ص ۱۵۶.

و خاصة قصائد أبی محمد طلحة بن عبد اللّه بن أبی عون الغسانی العونی، الذی اشتهر بقصائده فی مدح آل البیت علیهم السّلام. نشأ أحمد و حفظ القرآن و تعلم اللغة و الادب، و قیل انه کان یحفظ الجمهرة لأبی بکر بن درید حفظا جیدا.

عاش فی طرابلس مدة من الزمن، ثم لما حاصرها الصلیبیون غادرها إلی دمشق، قبل سقوطها فی عام ۵۰۲/ ه.

اتصل فی دمشق بظهیر الدین أتابک طغتکین و مدحه.

و کان لطغتکین قریبا یدعی حسام الدین دلق بن آبق، و کان صبیا أمردا، فتغزل به ابن منیر بقوله:

من رکّب البدر فی صدر الردینی و موّه السحر فی حد الیمانی

و أنزل النیر الأعلی إلی فلک مداره فی القباء الخسروانی

طرف رنا، أم قراب سل صارمه و أغید ماس أم أعطاف ختنی

الخ .....

فغضب طغتکین و أراد قتله، فهر به الحاجب یوسف بن فیروز و أرکبه علی خیل البرید إلی بغداد و بعد وفاة طغتکین عاد إلی دمشق ثانیة، و مدح أمیرها بوری بن طغتکین بقصیدة رائعة ذکر متنزهات دمشق و قراها، و مطلعها:

«حی الدیار علی علیاء «جیرون مهوی الهوی و مغانی الخرد العین

مراد لهوی إذ کفی مصرفة أعنة اللهو فی تلک المیادین

ب «النیربین» ف «مقری» ف «السریر» ف «جمرایا» فجو الحواشی جسر «جسرین» ف «القصر» ف «المرج» ف «المیدان» ف «الشرف الأعلی» ف «سطرا» ف «جرمانا» ف «قلبین»

ف «الماطرون» ف «داریا» فجارتها «ف «آبل» فمفانی «دیر قانون

تلک المنازل، لا «وادی الاراک» و لا .«رمل المصلی» و لا أثلاث «یبرین»

الخ ...

و كان أعداء ابن منير فى دمشق كثر، و كان كثير الهجاء لهم، فأوغروا صدر بورى عليه، فسجنه مدة، و عزم على قطع لسانه، فاستوهبه يوسف بن فيروز الحاجب، فوهبه له و أمر بنفيه من دمشق و لما مات بورى، جلس ابنه إسماعيل مكانه على تخت الحكم، عاد ابن منير إلى دمشق، و قربه إسماعيل، ثم تغير عليه فطلبه و أراد صلبه فهرب و اختفى عند صديقه أبى إسحاق إبراهيم بن محمد القيسى فى مسجد الوزير، بظاهر دمشق.

و بعد مقتل إسماعيل سنة ۵۲۹/ ه عاد ابن منير إلى دمشق لكنه لم يلبث أن خرج منها خائفا من الوزير مؤيد الدولة ابن الصوفى.

فانتقل إلى شيزر و أقام مدة عند الأمير أبى العساكر سلطان بن منقذ.

و حضر إليه فى شيزر زين الدين ابن حليم يرغبه فى العودة إلى دمشق و خدمة مقدم جيشها معين الدين أنر لكنه رفض العودة إلى دمشق، و رحل إلى حلب.

و فى حلب عقد مجالس لتدريس اللغة و الأدب. و كان يغشى مجالسه جماعة من المتأدبين، من أهلها، للقراءة عليه، و كان يعنف بعضهم إذا أخطأوا فى القراءة. حكى أبو البقاء على بن هداب العلثى «كنت أغشى مجلس أبى الحسن ابن منير للقراءة عليه مع جماعة بحلب، فقرأ عليه انسان (كلينى لهم يا أميمة ناصب) فصحفه و قال (كلينى لهم يا أميمة باضت)، فقال له ابن منير: و يحك أما علمت أن كل سكاء تبيض، و كل ذات أذنين تحيض. فقال بعض من حضر:

و اللّه لقد انتفعنا بتصحيفه أكثر مما انتفعنا بصحيحه»[۱۴۱].

و أثناء وجوده فى حلب، مدح الاتابک عماد الدين زنكى بن



اقسنقر بمناسبة فتحه حصن بارين، ثم مدحه عند فتح الرها. و فى سنة ۵۴۱/ ه كان الاتابک عماد الدين يحاصر قلعة جعبر فسمع مغنيا يغنى:

و يلى من المعرض الغضبان إذ نقل ال — واشى إليه حديثا كله زور

سلمت فاز ورّيزوى قوس حاجبه — كأننى كأس خمر و هو مخمور

[۱۴۱] ( ۱) ابن المستوفى- تاريخ اربيل المعروف بنباهة البلد الخامل بمن ورده من الأماثل تحقيق سامى الصقار ۱۹۸۰، ص ۲۹۱.

فاستحسن عماد الدين هذين البيتين، و سأل عن صاحبهما فقيل له هما لابن منير، و هو بحلب، فكتب إليه والى حلب يسيره إليه، فسيره، و لكن عماد الدين قتل ليلة وصول ابن منير، فعاد ابن منير إلى حلب. و اتصل بنور الدين بن عماد الدين بن أقسنقر، الذى قربه و وصله. و له فى مدح نور الدين قصائد كثيرة، أرخ فيها فتوحات نور الدين و معاركه مع الصليبيين.

من ذلک قوله:

لقد أوطأت دين الله عزا أديم الشعر بين له رغام

دعاک و قد تناوشت الرزايا له أهبا يوزعها العذام

فقمت بنصره و الناس فوضى قيام ذم ما افترقت فئام

جذبت بضبعه من قعريم له من فوق مقسمه التطام

صببت على الصليب صليب بأس قواه تحت كلكله خطام

و ملت على معاقلها فخرت ولاء مثل ما انتفض النظام

«ب «صرخد» و «الحطيم» و فى «عزاز وقائع هز مشهدها الأنام

و لو لم تعترف و تشم لأمسى «و أصبح لا «عراق» و لا «شام

و يوم ب «العريمة» كاحتفا على الا شراک أمقره العرام

لقوک كأن ما سلّوه سيح و ما اعتقلوه من خور ثمام

«و «هاب» و «قورس» و ب «كفر لاثا ذممت و أنت للجلّى ذمام

صدمتهم بأرعن مرجحن كأن مطار أنسره غمام

و اشتهر ابن منير بهجائه لمعاصره و منافسة القيسرانى. و كان بينهما



مكاتبات و أجوبة و مهاجاة. لم يصلنا منها أى شىء. قال ياقوت الحموى:

«كان ابن القيسرانى و ابن منير يشبهان بجرير و الفرزدق للمناقضات و الوقائع التى جرت بينهما»[۱۴۲].

توفى ابن منير فى حلب يوم الأربعاء العشرين من جمادى الأولى سنة ثمان و أربعين و خمسمائة. و سبب موته أنه أكل تينا أخضر و جلس فى الشمس، ففصد فى الحال، و ورم وجهه.

صلى عليه الشيخ شرف الدين ابن أبى عصرون، و دفن بسفح جبل جوشن. و قيل دفن بظاهر باب قنسرين، بالقرب من تربة مشرق.

و أوصى حين احتضر، أن يكتب على قبره:

من زار قبرى فليكن موقنا أنّ الذى ألقاه يلقاه

فيرحم الله امرءا زارنى و قال لى: يرحمک الله

كانت شاعرية ابن منير محط تقدير الدارسين و الأدباء الذى أشادوا بها أيما اشادة.

* قال ابن القلانسى: «كان أديبا شاعرا عارفا بفنون اللغة و أوزان العروض».

* و قال أسامة بن منقذ: «شرف الأدباء ... أوحد عصره و لسان دهره، تأخر زمانه و تقدم فضله و بيانه، فهو زهير الفصاحة، و ابن حجاج الملح و الطرافة، فى أشعاره لطافة تستخف القلب و تملک السمع، و كل من فنون الشعر يقصده يستولى على محاسنه و فنونه، و يحرز أبكار معانيه و عونه».

* و قال الملک المنصور الأيوبى: «كان شاعرا فحلا من فحول



الشعراء المشهورين المكثرين المجيدين. و كان ظريفا مطبوعا، فريد زمانه، و أوحد أوانه».

* و قال ابن فضل اللّه العمرى: «لو نازع البحر غصبه مغاصه، و لو نازل الفلک لأراک اعتياصه، هذا يسقل دره، و هذا يسلب زهره ..

و كلاهما دون فيه يقف، و من صوب خاطره يكف، له قصائد موشحة بالسحب، ذات بيوت تقصر على مطاولتها الشهب، و لا تسكنها إلا الكواعب الأتراب، و الخرد العراب».

و فى المقابل شنع عليه بكونه «رافضيا خبيثا يعتقد مذهب الإمامية»[۱۴۳].

---

[۱۴۲] ( ۱) ياقوت الحموى- معجم الأدباء ج ۱۹، ص ۴۶.

و ديوان شعره مفقود.

و قد قام الدكتور عمر عبد السلام تدمرى بجمع أشعار ابن منير و رتبها و نشرها بعنوان [ديوان ابن منير الطرابلسى] و صدّر الديوان بدراسة مستفيضة شاملة[۱۴۴]. و كانت هذه الدراسة أهم مرجع لنا عن ابن منير.

ص: ۸۱

۱۴۵

## الدولة الاسماعيلية فى مصياف ۵۳۵/ ه- ۶۷۰/ ه ۱۱۴۱/ م- ۱۲۷۲/ م

طائفة الإسماعيلية فرقة من فرق الشيعة، أخذت أصولها المذهبية عن الأصول الشيعية التى وجدت قبل ظهور الإسماعيلية. تلك الأصول التى لم تكن فى أول الأمر تختلف عما ذهب إليه غيرهم من المسلمين فى شىء. و كان الخلاف ينحصر فى نقطة واحدة هى الإمامة. لأن الشيعة جعلوا الإمامة حقا شرعيا للإمام على بن أبى طالب عليه السّلام و لأبنائه من بعده.

و بعد وفاة جعفر الصادق عليه السّلام حوالى سنة ۱۴۷/ ه انقسمت الشيعة بسبب الإمامة إلى فرقتين: لأن الأكثرية العظمى من أتباع المذهب الجعفرى نادوا بإمامة موسى الكاظم ابن جعفر الصادق، و سلسلوا الإمامة فى الأكبر سنا من عقبه، إلى الإمام الثانى عشر محمد بن الحسن العسكرى المهدى المنتظر (عج). و سميت هذه الفرقة بالإمامية الإثنى عشرية نسبة إلى عدد الأئمة.

أما الفرقة الثانية التى تفرعت عن المذهب الجعفرى، فهى فرقة الإسماعيلية الذين قالوا بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق، فنسبت إليه الفرقة[۱۴۶].

ص: ۸۲

و لا توجد لدينا معلومات دقيقة عن تاريخ الدعوة الإسماعيلية فى سورية.

و نستطيع القول بالإستناد إلى ما بين أيدينا من مصادر، إن الدعوة انتشرت فى حلب أولا. و كان القائم بها الحكيم المنجم، و لما مات الحكيم سنة ۴۹۶/ ه قام بالأمر من بعده رفيقه أبو طاهر الصائغ العجمى[۱۴۷].

---

[۱۴۳] ( ۱) تهذيب تاريخ دمشق ج ۲، ص ۹۷.

[۱۴۴] ( ۲) الدكتور عمر عبد السلام التدمرى- دار الجيل- مكتبة السائح طرابلس ۱۹۸۶، ط ۱.

[۱۴۵] عثمان، هاشم، تاريخ التشيع فى ساحل بلاد الشمالى، ۱جلد، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات - بيروت، چاپ: اول، ۱۴۱۴ ه.ق.

[۱۴۶] ( ۱) الدكتور محمد كامل حسين- طائفة الإسماعيلية مكتبة النهضة المصرية ۱۹۵۹، ص ۱۱.

[۱۴۷] ( ۱) ابن العديم- زبدة الحلب ج ۲، ص ۱۴۷.

و بلغت الدعوة ذروتها زمن رضوان بن تتش، ملک حلب، الذی مال إلی الإسماعیلیة جدا، و شایعهم، و حفظ جانبهم، و صار لهم، فی حلب، بفضله جاها عظیما و قدرة زائدة. مما جعل الناس یتبعون مذهب الإسماعیلیة طلبا لجاههم. و کان هذا سببا فی انتشار مذهب الإسماعیلیة فی حلب و مناطقها کسرمین و الجوز و جبل السماق و بنی علیم و بزاعة و الباب و اعزاز و افامیة ....

و قد أثار تصرف رضوان، الملوک فکتبوا إلیه فی هذا الأمر فلم یلتفت إلیهم[۱۴۸].

لکن وجود الإسماعیلیین فی حلب سرعان ما تعرض لنکبة قاسیة، سنة ۵۰۵/ ه عندما تألبت علیهم الطوائف المجاورة و قتلوا منهم الآلاف.

و ازداد الأمر سوءا بعد وفاة رضوان بن تتش سنة ۵۰۷/ ه و قیام ابنه ألب أرسلان مکانه، لأن أهل حلب أوغروا صدره ضد الإسماعیلیة، کما أن السلطان محمد بن ملکشاه کتب إلیه یقول: «کان والدک یخالفنی فی الباطنیة و أنت ولدی فأحب أن تقتلهم»[۱۴۹].

ص: ۸۳

و استجاب ألب أرسلان لکتاب السلطان، فقبض علی أبی طاهر الصائغ و قتله، و قتل إسماعیل الداعی و أخا الحکیم المنجم و الأعیان من أهل الإسماعیلیة بحلب و قبض علی زهاء مائتی نفس منهم. و حبس بعضهم و استصفی أموالهم، و شفع فی بعضهم، فمنهم من أطلق سراحه و منهم من رمی من أعلی القلعة و منهم من قتل، و أفلت جماعة منهم فتفرقوا فی البلاد[۱۵۰].

بعد ۱۱ سنة علی هذه النکبة، نزلت بالإسماعیلیة نکبة مماثلة علی ید بلک بن بهرام بن أرتق و ذلک فی عام ۵۱۸/ ه حیث قبض بلک علی نائب بهرام داعی الإسماعیلیة بحلب، و أمر بإخراجهم من حلب فباعوا أموالهم و رحالهم، و خرجوا منها[۱۵۱].

و نفس المصیر لاقاه الإسماعیلیون فی دمشق سنة ۵۲۴/ ه، و قیل سنة ۵۲۳/ ه، علی ید تاج الملوک بوری صاحب دمشق الذی أمر بقتلهم.

و سبب ذلک أن أبا الوفاء قاضی دمشق کاتب الفرنج لیسلم إلیهم دمشق و یسلموا إلیه مدینة صور، و اتفقوا علی ذلک و أن یکون قدوم الفرنج إلی دمشق یوم الجمعة لیجعل أبو الوفاء أصحابه علی أبواب جامع دمشق. و علم تاج الملوک بوری

---

[۱۴۸] ( ۲) المرجع السابق ص ۱۶۸.

[۱۴۹] ( ۳) المرجع السابق.

[۱۵۰] ( ۱) ابن القلانسی- ذیل تاریخ دمشق ص ۱۹۰.

[۱۵۱] ( ۲) ابن العدیم- زبدة الحلب ج ۲، ص ۲۱۶.

بهذه المؤامرة، فاستدعى وزيره المزدغانى، و كان إسماعيليا و قتله، و أمر بقتل الإسماعيلية الذين بدمشق، فثار أهل دمشق و قتلوا منهم ستة آلاف شخص[١٥٢].

هذه الضربات المتلاحقة التى نزلت بالإسماعيلية جعلت عيونهم تتطلع إلى أماكن أكثر أمنا تستطيع بحكم طبيعتها الجغرافية أن تحقق لهم الحماية الكافية، فكان ان اختاروا مصياف و ما جاورها من قلاع

ص: ٨۴

و حصون، كمكان منشود، و جاء هذا الإختيار لجملة من الأسباب:

أولا: إن منطقة مصياف عامرة بالقلاع و الحصون، حافلة بالخيرات، حصينة و منعزلة.

ثانيا: وجود عدد كبير من أنصار الدعوة فيها، و فى ما جاورها من قرى.

ثالثا: قربها من سلمية، المقر الروحى للإسماعيلية بالشام.

فكان أو توجهت إليها جموع الإسماعيليين من حلب و دمشق، و فارس، بعد استيلاء السلطان مسعود على قلعة ألموت.

و لكى يكون لهم موطىء قدم ثابتة، اشتروا فى عام ۵۲۵/ ه حصن القدموس من صاحبه سيف الملك بن عمرون.

ثم بدأوا شيئا فشيئا بالإستيلاء على الحصون و القلاع المجاورة، فاحتلوا الخوابى و الكهف سنة ۵۳۲/ ه و استخلصوا مصياف من أيدى بنى منقذ سنة ۵۳۵/ ه. ثم احتلوا المينقة سنة ۵۴۶/ ه، و هكذا حتى بلغ مجموع ما صار بأيديهم من قلاع ١١ قلعة و حصنا أطلقوا عليها اسم قلاع الدعوة و هى: الخوابى، الكهف، القدموس، العليقة، المينقة، الرصافة، أبى قبيس، مصياف، بلاطنس، المرقب، صهيون[١٥٣].

و جميع هذه الحصون و القلاع، كان الصليبيون بنوها لتسيطر على الممرات التى امتدت بين الأقاليم الإسلامية الداخلية و المناطق الإفرنجية الساحلية[١٥۴].

ص: ٨۵

من هذه القلاع و الحصون تشكلت الدولة الإسماعيلية الجديدة، التى وصلت إلى أوج ازدهارها فى عهد شيخ الجبل سنان راشد الدين.

---

[١٥٢] ( ٣) أبو الفداء- المختصر فى أخبار البشر ج ٣، ص ٣ و ابن الوردى- تتمة المختصر ج ٢، ص ۵۵.

[١٥٣] ( ١) شيخ الربوة( شمس الدين الدمشقى)- نخبة الدهر فى عجائب البر و البحر ص ٢٠٨ و يقول البطريرک الدويهى فى تاريخ الأزمنة ص ۴۶ انهم احتلوا مصياف و جبلة و حدد تاريخا لذلک سنة ۵۳۴/ ه.

[١٥۴] ( ٢) فيليب حتّى- تاريخ سورية و لبنان و فلسطين ج ٢، ص ٢۴۵.

ولد سنان و اسمه الحقيقى سنان بن سليمان بن محمد و كنيته أبو الحسن، فى قرية صغيرة من قرى البصرة، و قيل فى آلموت، سنة ۵۲۸/ ه[۱۵۵] و كانت أسرته على مذهب الشيعة الإثنى عشرية، و لما شب تحول هو إلى مذهب الإسماعيلية على يد داعى دعاة العراق، الذى لمس فيه مخيل النجابة و الذكاء فحبب إليه الرحيل إلى آلموت ليتلقى هناك علوم الدعوة الإسماعيلية. و كان صاحب آلموت إذ ذاك محمد بن كيا بزرک أميد الذى أحسن استقبال سنان و جعله مع ولديه فى طلب العلم، فتوطدت صلة سنان بولى العهد الحسن بن محمد، فلما تولى الحسن أمور الطائفة بألموت أمر سنانا بالرحيل إلى الشام ليشرف بنفسه على شؤون الطائفة[۱۵۶].

توجه سنان فى بادىء الأمر إلى حلب حيث رتب أوضاع الإسماعيليين هناک بعد الضربات التى نزلت بهم، و الإنقسامات و النزاعات التى استفحلت بينهم. ثم نقل مقره إلى مصياف، فوصلها متخفيا بزى الصوفية الدراويش، و أقام فى قرية بسطريون يعلم الصبيان القراءة و الكتابة، و يعالج المرضى من الأهالى، و يقدم إليهم الأدوية التى كان يركبها بنفسه من الأعشاب، فذاع صيته، و انتشر خبره. و لما وصلت أعماله إلى مسامع أبى محمد كبير دعاة الإسماعيلية و قتذاک، و الذى كان يقيم فى قلعة الكهف، توجه إليه و اجتمع به، و عرض عليه الإقامة عنده، و هكذا انتقل سنان إلى قلعة الكهف، و أخذ يساعد الشيخ أبى محمد فى شؤون الدعوة، من دون أن يكشف له عن شخصيته، أو طبيعة المهمة الموكولة إليه. و عندما مرض أبو محمد،

ص: ۸۶

مرض موته، خلا به سنان و أطلعه على شخصيته و عرض عليه أمر تعيينه مكانه قبل موته. فأعلن أبو محمد لأتباعه و لمجلس دعاته أنّ الإمام فى الموت عين سنان راشد الدين خلفا له و احتفل بهذه المناسبة فى جميع القلاع و الحصون، و تسلم سنان قيادة الدعوة، و نقل مقره إلى مصياف[۱۵۷] و جعلها عاصمة دولته.

كان سنان راشد الدين رجلا فذا اشتهر بالحزم وسعة الأفق العلمى و الدهاء السياسى.

كون جيشا من الفدائيين، مدربا أحسن تدريب، و كان يستخدمهم فى الدفاع عن أبناء طائفته، و قتل كل من يحاول أن يمسهم بسوء. سواء أكان من الحكام المسلمين أم من الفرنج. و كان جرأة و شجاعة الفدائيين الإسماعيليين مضرب المثل.

و نستطيع أن نأتى بمثال صغير على أعمال فدائيى سنان و دفاعهم عن اخوانهم، هو ما قاموا به فى حلب سنة ۵۷۵/ ه ففى هذه السنة قبض الملک الصالح قرية للإسماعيلية تعرف بحجيرا من ضياع نقرة بنى أسد، فكتب سنان إليه كتبا عدة فى إطلاقها، فلم يطلقها، فأرسل جماعة من الرجال معهم النفط و النار فعمدوا إلى الدكان التى فى رأس سوق الزجاجين من الشرق فى القرنة فألقوا فيها النار فنهض نائب رئيس البلد بمن معه فى المربعة و حراس الأسواق و أخذوا السقائين لاطفاء الحريق فأتى الإسماعيلية من أسطحة الأسواق و ألقوا النار و النفط فى الأسواق فاحترق سوق البز الكبير و سوق العطارين و سوق مجد الدين و المعد للبز و سوق الخليع و سوق الشراشين و سوق السراجين و السوق الذى فى غربى الجامع جميعه إلى أن انتهى الحريق إلى المدرسة

---

[۱۵۵] ( ۱) الدكتور محمد كامل حسين- طائفة الإسماعيلية ص ۲۹۷.

[۱۵۶] ( ۲) المرجع السابق ص ۱۰۰.

[۱۵۷] ( ۱) مصطفى غالب- أعلام الإسماعيلية ص ۲۹۷.

الحلاوية، و احترق للتجار و السوقية من القماش و الآلات شيء كثير و افتق كثير منهم بسب ذلک، و لم يظفوا من الإسماعيلية بأحد[۱۵۸].

و كثيرا ما كان الأمراء و الملوک، يستعينون بسنان راشد الدين و فدائيته لتحقيق مآربهم السياسية، و القضاء على خصومهم. جاء فى الأخبار أن كمشتكين[۱۵۹] أرسل إلى سنان أموالا عظيمة لقتل الملک الناصر عندما هاجم حلب و حاصرها سنة ۵۷۰/ ه، فأرسل سنان جماعة لقتله لكن المحاولة فشلت لأن صاحب حصن أبى قبيس تعرف إلى الإسماعيلية الذين جاؤوا لقتل الملک الناصر، و سبق إلى السلطان، فأدركوه على باب الخيمة، فقتل خمارتكين- أمير جاندار- واحدا منهم و اجتمع الغلمان فقتلوا الباقين[۱۶۰] و هذا ما جعل العلاقات تسوء بين صلاح الدين و الإسماعيلية، و خاصة بعد محاولتهم اغتياله للمرة الثانية، عند حصاره اعزاز سنة ۵۷۱/ ه و كان صلاح الدين سار إلى اعزاز و نازلها فى الثالث من ذى القعدة و تسلمها حادى عشر ذى الحجة، و قيل بل أقام عليها ثمانية و عشرين يوما. و قد نجا صلاح الدين من القتل بأعجوبة. و قد أثرت هذه الحادثة بنفسه تأثيرا كبيرا، لذلک عقد العزم على محاربة الإسماعيلية فتوجه فى محرم سنة ۵۷۲/ ه إلى بلدهم فنهبه و خربه و أحرقه و حاصر قلعة مصياف و نصب عليها المنجنيقات و ضيق على من بها، و أرسل إلى سنان يتهدده و يتوعده فرد عليه سنان بقوله:

يا للرجال من أمر هال مفظعه ما مرّ قط على سمعى توقعه



يا ذا الذى بقراع السيف هددنا لا قام مصرع جنبى حين تصرعه

قام الحمام إلى البازى يهدده و استيقظت لأسود البر أضبعه

أضحى يسدفم الأفعى باصبعه يكفيه ما قد تلاقى منه اصبعه

إنّا منحناک ثوبا للحياة فان كنت الشكور و إلا سوف نخلعه

---

[۱۵۸] ( ۱) ابن العديم- زبدة الحلب ج ۳، ص ۳۸.

[۱۵۹] ( ۲) كمشتكين هو سعد الدين كمشتكين الخادم، مولى بنت الأتابک عماد الدين كان مقدم العساكر و متولى أقطاعهم فى حلب زمن الملک الصالح، جعله نور الدين واليا من قبله بالموصل.

[۱۶۰] ( ۳) أحمد بن إبراهيم ابن الحنبلى- شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب تحقيق ناظم رشيد بغداد ۱۹۷۸، ص ۸۶.

وقفنا على تفاصيله و جمله، و علمنا ما هددنا به من قوله و عمله، فيا للعجب من ذبابة تطن فى أذن فيل، و بعوضة تعض فى التماثيل، و لقد قالها من قبلك قوم آخرون (فدمرناها عليهم و ما كان لهم من ناصرين) أو للحق تدحضون و للباطل تنصرون، وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَىَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ.

و أما ما صدر من قولك فى قطع رأسى، و قلعك لقلاعى من الجبال الرواسى، فتلك أمانى كاذبة و خيالات غير صائبة، فان الجواهر لا تزول بالأعراض كما أن الأرواح لا تضمحل بالأمراض، كم بين قوى و ضعيف و دنىء و شريف و إن عدنا إلى الظواهر و المحسوسات و عدلنا عن البواطن و المعقولات فلنا أسوة برسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم فى قوله «ما أوذى نبى ما أوذيت» و لقد علمتم ما جرى على عترته و أهل بيته و شيعته، و الحال ما حال و الأمر ما زال، و للّه الحمد فى الأولى و الآخرة، إذ نحن مظلومون لا ظالمون، و مغصوبون لا غاصبون، و إذا جاء الحق زهق الباطل إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً و لقد علمتم ظاهر حالنا و كيفية رجالنا و ما يتمنونه من الفوت و يتقربون به إلى حياض الموت قل فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ*، وَ لا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ، و فى أمثال العامة السائرة (أو للبط تهددون بالشّط) فهىء للبلايا جلبابا و تدرع للرزايا أثوابا، فلأظهرن عليك منك، و لأفنينهم فيك عنك، فتكون كالباحث عن حتفه بظلفه و الجادع أنفه بكفه، و ما ذلك على اللّه بعزيز. فإذا وقفت على كتابنا هذا فكن لأمرنا بالمرصاد، و من حالك



على اقتصاد، و اقرأ أول النحل و آخر صاد»[١٦١].

ثم كتب إليه ثانية[١٦٢].

بنا نلت هذا الملك حتى تأثلت — بيوتک فيها و اشمخر عمودها

فأصبحت ترمينا بنبل بنا استوى — مغارسها منا و فينا حديدها

و تذكر المصادر التاريخية ان سنانا أرسل إلى شهاب الدين الحارمى صاحب حماة، و هو خال صلاح الدين يسأله أن يدخل بينهم و يصلح الحال و يشفع فيهم، و يقول له: إن لم تفعل قتلناک و جميع أهل صلاح الدين، فشفع فيهم و سأل صلاح الدين الصفح عن الإسماعيليين فأجابه إلى ذلک و صالحهم و رحل عنهم[١٦٣].

---

[١٦١] ( ١) الدكتور محمد كامل حسين- طائفة الإسماعيلية ص ١٠٢.

[١٦٢] ( ٢) مصطفى غالب- أعلام الإسماعيلية ص ٣٠١.

[١٦٣] ( ٣) ابن الأثير- الكامل ج ٩، ص ١٣٩ أحداث سنة ٥٧٢/ ه و أيضا أبو الفداء المختصر فى أخبار البشر ج ٣، ص ٥٨ و تاريخ ابن الوردى ج ٢، ص ١٣٣.

لكن المصادر الإسماعيلية تروى حادثة حصار صلاح الدين لمصياف ثم رحيله عنها بشكل مغاير. فهى تقول انه لما قصد صلاح الدين معقل سنان راشد الدين فى مدينة مصياف و نصب عليها المنجنيقات و عسكر بضواحيها، أخذ سنان يتجول فى القرى يتفقد أمرها، و يعدها لليوم الفاصل و للمعركة الحاسمة، و صعد إلى قمة جبل مشهد ليرقب الجيش، و يستقبل الوفد الذى سيره إليه صلاح الدين لمفاوضته على التسليم برئاسة محمد الكردى ... و لما شعر سنان أن الرسائل لا تجدى نفعا، أرسل أحد الفدائية ليلا فدخل خيمة صلاح الدين برغم حيطته فى فرض الحراسة المشددة، فبدل موضع المصابيح التى كانت تنير الخيمة و وضع خنجرا مسموما غرسه فى رغيف حار قرب رأس صلاح الدين و بجانبه قطعة من الورق كتب عليها:

إنا منحناك ثوبا للحياة فإن كنت الشكور و إلا سوف نخلعه

ص: ٩٠

قد قام قف إلى قاف يزعزعه كضفدع تحت صخر رام يقلعه

ما يستحى ثعلب من صغر همته يرسل إلى أسد الغابات يفزعه

و عندما استيقظ صلاح الدين من نومه، و رأى الخنجر و الكتاب تيقن أن سنانا من أشرف الرجال، لأنه لو أراد قتله لفعل، و على الفور استدعى خاله أمير حماة شهاب الدين الحارمى و كان صديقا لسنان، و طلب إليه أن يتوسط بينه و بين سنان شريطة أن تشارك فدائية الإسماعيلية فى الحروب الصليبية[١٦٤] و قد نفذ سنان شروط الإتفاقية، و أرسل فدائيين قتلا أمير صور الصليبى كونراد مونفراتى، و قدما رأسه لصلاح الدين الذى كافأهما و أعطى سنانا عشر قرى ألحقها بمصياف[١٦٥].

توفى سنان راشد الدين سنة ٥٨٨/ ه.

و كان رجل دولة من طراز فريد. يقضى أيام الاسبوع متنقلا بين القلاع و الحصون، و خصص يومين للإقامة بجبل مشهد حيث ينقطع للتأليف، و رصد النجوم، و العبادة و التأمل. و كان يسير بين القلاع فى طرق و معابر سرية مشيا على الأقدام حتى لا يعرفه أحد. و يكثر من الذهاب إلى شيزر و حماة و حمص و الشام متخفيا[١٦٦].

بعد وفاة سنان، تولى الأمر من بعده شخص لا نعلم عنه شيئا إلا أن اسمه أسد الدين[١٦٧].

---

[١٦٤] ( ١) مصطفى غالب- أعلام الإسماعيلية ص ٣٠١ نقلا عن مخطوطات إسماعيلية. و كذلك عارف تامر- سنان و صلاح الدين ص ٩٠.

[١٦٥] ( ٢) مصطفى غالب- أعلام الإسماعيلية ص ٣٠٣.

[١٦٦] ( ٣) عارف تامر- سنان و صلاح الدين ص ٣٣ نقلا عن كتاب فصول و أخبار و كذلك مصطفى غالب- أعلام الإسماعيلية ص ٢٩٨.

و فی عهده، قتل الإسماعیلیة ابن البرنس بکنیسة طرطوس، فجمع والده الفرنج و نزل علی حصون الإسماعیلیة و قتل و سبی ثأرا لولده و حصر حصن الخوابی فکتبوا إلی السلطان یستغیثون به و یستنجدونه فاستخدم السلطان مائتی راجل و سیر جماعة من عسکر حلب یحفظونه، لیدخلوا إلی حصن الخوابی، و یمنعوا الفرنج من الإستیلاء علیه[۱۶۸].

توفی أسد الدین سنة ۶۱۹/ ه، فولی الأمر أخوه صلاح الدین الذی بقی مدة ثم مات، فولیها أخوهما تاج الدین فبقی مدة ثم جاء الأمر من ألموت بعزله و استدعائه إلیهم و ولوا مکانه محیی الدین اعجمی[۱۶۹].

و کما کان الحال فی زمن سنان، بقیت الدولة الإسماعیلیة فی مصیاف، فی زمن محیی الدین أو مجد الدین کما ورد اسمه فی بعض الروایات، تلعب دورا مؤثرا فی سیاسة بلاد الشام، و کان الملوک و الأمراء من مسلمین و افرنج یخطبون ودها و یتقربون من متولیها بالهدایا لتحقیق مصالحهم، و مآربهم.

و نکتفی هنا بعرض بعض ما وصلنا من أخبار عن ذلک.

* فی سنة ۶۲۴/ ه سیر مجد الدین متولی حصون الإسماعیلیة بالشام إلی ملک الروم، علم الدین کیقباذ یطلب منه المقرر لهم علیه، و هو ألف دینار التی کانت جرت العادة بحملها إلی ألموت، فأبوا ذلک و سیر الرومی إلی جلال الدین بألموت فی ذلک، فقال له: تحملها إلیهم بالشام فقد عیناها لهم ذخیرة[۱۷۰].



* فی سنة ۶۳۰/ ه سیر الملک المجاهد شیرکوه بن محمد بن شیرکوه الأیوبی هدیة للفرنج و للإسماعیلیة[۱۷۱].

* و فی سنة ۶۳۶/ ه اتفق الملک الجواد و صاحب حمص و وافقهما الأمیر عماد الدین بن قلج نائب الملک الجواد بدمشق فرأوا أن أمرهم لا یتم إلا بقتل عماد الدین بن عمر ابن شیخ الشیوخ فبعثوا إلی نواب الإسماعیلیة فی ذلک و دفعوا إلیهم مالا و قریة فسیروا فدائیین قتلاه علی باب الجامع فی سادس عشری جمادی الأولی[۱۷۲].

* فی سنة ۲۳۸/ ه عندما بلغ القاضی بدر الدین سنجار أن الملک الصالح نجم الدین ملک مصر یطلبه، مضی إلی مصیاف و أخذ یتحیل فی الوصول إلی مصر، فبلغ ذلک الملک الصالح إسماعیل، فأرسل إلیه لیحضر، فامتنع من الحضور، و استجار بالإسماعیلیة فأجاروه و منعوا الصالح منه، و أوصلوه إلی حماه[۱۷۳].

---

[۱۶۷] ( ۴) محمد بن علی بن نظیف الحموی- تاریخ المنصوری تحقیق الدکتور أبی العید دودو مجمع اللغة العربیة بدمشق ۱۹۸۲، ص ۹۶.

[۱۶۸] ( ۱) ابن واصل- مفرج الکروب فی أخبار بنی أیوب تحقیق الشیال القاهرة ۱۹۵۳- ۱۹۵۸، ج ۲، ص ۲۲۴.

[۱۶۹] ( ۲) محمد بن نظیف الحموی- تاریخ المنصوری ص ۹۶.

[۱۷۰] ( ۳) المرجع السابق ص ۱۴۵.

[۱۷۱] ( ۱) محمد من نظیف الحموی- تاریخ المنصوری ص ۲۵۹.

[۱۷۲] ( ۲) المقریزی- کتاب السلوک لمعرفة دول الملوک ج ۱، ص ۲۷۶.

لكن هذا العز لم يطل أمده، و سرعان ما وجدت الدولة الإسماعيلية نفسها وجها لوجه أمام الكارثة. و ذلک عندما اقتحمت جحافل التتار قلاعها و حصونها فی سنة ۶۵۸/ ه و استولوا علی مصیاف و الکهف و القدموس و الخوابی.

و عندما سار الملک المظفر سیف الدین قطز، من مصر إلی الشام لملاقاة التتار و منازلتهم، انضم الإسماعیلیون إلیه و قاتلوا معه فی عین جالوت.

و لما انهزم جیش التتار فی هذه المعرکة، انتهز الداعی أبو المعالی هذه الفرصة و جمع رجاله، و استرد بهم القلاع التی کان التتار استولوا علیها[۱۷۴].

و لئن کانت القلاع عادت إلی الإسماعیلیة، إلا أن الدولة



الإسماعیلیة التی کانت تتشکل من هذه القلاع، لم تعد إلی ما کانت علیه من التألق و الازدهار و القوة. و لم تعش بعد ذلک أکثر من اثنتی عشرة سنة ثم انتهت. و کانت نهایتها علی ید الملک الظاهر بیبرس.

و تتضارب الأقوال عن کیفیة انتهائها، و تتباعد بحیث لا یمکننا رسم فکرة واضحة عن نهایتها.

و یستفاد مما ذکره أبو الفداء و ابن الوردی فی تاریخیهما أنّ الظاهر بیبرس تسلم قلاع و حصون الإسماعیلیة علی مراحل.

فی سنة ۶۶۷/ ه تسلم حصن بلاطنس من عز الدین عثمان صاحب صهیون.

و فی سنة ۶۶۸/ ه تسلم مصیاف.

و فی سنة ۶۶۹/ ه تسلم قلعة العلیقة و بلادها.

و فی سنة ۶۷۰/ ه تسلم نوابه ما تأخر من الحصون و هی الکهف و المینقة و قدموس[۱۷۵].

بینما یفهم مما کتبه المقریزی أنه فی ۶۶۸/ ه عندما حضر الملک الظاهر إلی حماه، حضر إلی خدمته کثیر من أصحاب البلاد المجاورة، و لم یمتنع عن الحضور إلّا نجم الدین حسن بن الشعرانی صاحب قلاع الإسماعیلیة، الذی بعث یطلب تنقیص القطیعة التی حملوها لبیت المال بدلا مما کانوا یحملونه إلی الفرنج.

و کان الملک الظاهر تغیر علی صاحب العلیقة صارم الدین مبارک بن الرضی، فدخل صاحب صهیون بینه و بین الملک فی الصلح و أحضره إلی الخدمة. فقلده السلطان بلاد الدعوة استقلالا و عزل نجم الدین حسن بن الشعرانی و ولده من نیابة الدعوة و توجه صارم الدین إلی مصیاف فی سابع عشری جمادی الآخرة و صحبته جماعة لتقریر أمره[۱۷۶].

---

[۱۷۳] ( ۳) المرجع السابق ص ۳۰۲.

[۱۷۴] ( ۴) الدکتور محمد کامل حسین– طائفة الإسماعیلیة ص ۱۰۷.

[۱۷۵] ( ۱) أبو الفداء– المختصر فی أخبار البشر ج ۴، ص ۶ و ۷ و تاریخ ابن الوردی ج ۲، ص ۳۱۴.

ص: ۹۴

و ذكر المقريزى فى أخبار سنة ۶۷۰/ ه ما نصه:

فى سادس عشريه- أى شهر صفر- قدم شمس الدين بن نجم الدين صاحب الدعوة الإسماعيلية فقبض عليه و على أصحابه و سيروا إلى مصر و استمرت مضايقة حصونهم حتى تسلم نواب السلطان حصن الخوابى و حصن العليقة[۱۷۷]

و ذكر أيضا: فى ثانى عشر ذى الحجة- سنة إحدى و سبعين و ستمائة- استولى السلطان على بقية حصون الدعوة الإسماعيلية و هى:

المينقة و القدموس و الكهف، و أقيمت هناك الجمعة و ترضى عن الصحابة بها، و عفيت المنكرات منها و أظهرت شرائع الإسلام و شعائره[۱۷۸].

و من جهة أخرى جاء فى كتاب [الإعلام و التبيين فى خروج الفرنج الملاعين على بلاد المسلمين] ما نصه:

«و فى سنة ثمان و ستين فتح الملك الظاهر الحصون الإسماعيلية و أمر على الحصون الإسماعيلية نجم الدين حسن بن المشغرانى، و قرر عليه أن يحمل فى كل عام مائة ألف درهم. و المشغرانى نسبة إلى مشغرة و هى قرية كبيرة نرهة كثيرة المياه، و هى بسفح لبنان الشرقى بين صيدا و دمشق»[۱۷۹].

و أيّا ما كان الأمر، فإن الدولة الإسماعيلية انتهت باجماع المصادر سنة ۶۷۰/ ه- ۱۲۷۲/ م بعد أن عاشت ۱۳۵ سنة. منها ۵۳ سنة بعهد سنان راشد الدين و ۸۲ سنة بعده. فكانت أطول الحكومات الشيعية عمرا فى ساحل بلاد الشام، و آخرها.

ص: ۹۵

## الحياة الثقافية فى عهد الدولة الاسماعيلية:

إن أى تجمع سكانى مستقر، لا بد و أن ينتج أدبا. و هذا الأدب يتلون بلون البيئة التى نشأ فيها و يتأثر بالظروف السياسية و الإجتماعية و العقائدية السائدة.

و قد كان التراث الأدبى و الفكرى الذى خلفته لنا الدولة الإسماعيلية فى مصياف، خلال فترة حياتها، على درجة كبيرة من الغنى و التنوع. و حمل راية هذا التراث مفكرون أعلام لا ينكر فضلهم.

لكن مما يؤسف له، أن هذا التراث الغنى و الضخم، لا يزال بعيدا عن متناول اليد، بالرغم من الجهود المشكورة التى قام بها كل من الدكتورين الفاضلين عارف تامر و مصطفى غالب، فى تعريفنا بهذا التراث.

---

[۱۷۶] ( ۲) المقريزى- كتاب السلوك ج ۱، ص ۵۸۶.

[۱۷۷] ( ۱) المقريزى- كتاب السلوك ج ۱، ص ۵۹۹.

[۱۷۸] ( ۲) المرجع السابق ص ۶۰۸.

[۱۷۹] ( ۳) أحمد بن على الحريرى- الاعلام و التبيين فى خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين تحقيق الدكتور سهيل زكار دمشق ۱۹۸۱، ص ۱۰۲.

و كم نتمنى أن تسمح الظروف بنشر هذا التراث كاملا، لأنه من غير المقبول اليوم، أن تبقى كنوزنا مخبأة، مضنون بها إلا على الخاصة.

و هذه نظرة سريعة موجزة، على بعض أعلام الفكر و الأدب فى الدولة الإسماعيلية:

- الأمير مزيد الحلى الأسدى.

هو مزيد بن صفوان بن الحسن بن منصور بن دبيس بن على بن مزيد الأسدى. ولد فى حلة بنى مزيد بالعراق، و لأسباب غير معروفة ترك بلده و مسقط رأسه و اتجه إلى مصياف و أقام فيها، و اتخذها موطنا، و بقى فيها طوال حياته إلى أن توفى سنة ٥٨٤/ ه فدفن إلى جوار سنان راشد الدين.

وصف مزيد بأنه كان «شاعرا مبدعا مرهف الحس، رقيق

ص: ٩۶

الشعور، صادق العاطفة»[١٨٠].

فى شعره ألم دفين، و حزن لا عج لعل مبعثه شعوره بالغربة و حنينه إلى أهله و دياره.

يعود الفضل إلى كل من الدكتورين عارف تامر و مصطفى غالب فى تعريفنا بشعره (٢)

من شعره:

طيف لحسناء من بعد الكرى طرقا ليلا فهاج بى الأحزان و القلقا

عجبت و هى إلى جنبى تعاتبنى ما كان أحسن هذا العتب لو صدقا

هل لى برجعة عيش كنت أعهدها للجامعين و برق البين ما برقا

أيام أخطر فى روض الصبا مرحا و لمتى جثلة تزهو لمن رمقا

و قال أيضا:

أما و الهوى لو عندها بعض ما عندى لما هجرت لكنما وجدها و جدى

[١٨٠] ( ١) مصطفى غالب- أعلام الإسماعيلية، ص ٥١٠.

و حق الهوى لم أستطع إذا مشت لا بسط ذلا تحت أقدامها خدى

و من قصيدة له يحن فيها إلى أهله، يقول:

ألا كم ألوم النفس عند اذكار كم و حتام أخفى ما ألاقى و أكتم

و فى كبدى للبين ناب و مخلب و حولى ذئاب للحوادث حوّم

و كم ليلة قضيت فيها مآربى أعانق ربات الخدور و ألثم

فيا دهر هل بعد التغير رجعة و هل يشتفى من لاعج الشوق مغرم

و منها:

و كنت أناجيه، و قد غلب الهوى ألا فاسقنى خمرا من الدن تهدم

و درها لنا لا عيش إلا بشربها إذا لاح ضوء الصبح أو هب أنسم

ص: ٩٧

مشعشعة جلت على كل عاشق لبيب و إن كانت على المرء تحرم

تراءت فلا تدرى مصابيح راهب تلوح أو انقضّت من الأفق أنجم

و يرفعها الساقى فلست بعارف أيلزمها بالكف أم ليس يلزم

هى الشمس فى الدوران و الدين برجها و مشرقها كأس و مغربها فم

و فى قصيدة زاخرة بالمصطلحات العرفانية قال:

يا ليت قومی بعد شط النوی — بما حبانی ذو العلی یعلمون

بحب أتراب کمثل الدمی — یرشقن قلبی بسهام العیون

یخفقن شبه الشمس یحجبنها — بل أنتم من نورها تحجبون

نور مضیء لم یزل ساطعا — لکنکم عن ضوئه تعمهون

أسماء ذاک النور مسطورة — فی کتب الله التی تقرأون

تأملوا الذکر و آیاته — فإنکم قوم به تجهلون

ما وجه رب العرش باق إذا — أدرک هذا الخلق ریب المنون

ما الاذن، ما العین، و ما نفسه — و الجنب و النور الذی تنظرون

ما الوارثون الأرض، ما ارثهم — بل ما أولی العلم و ما الشاهدون

ما المنفقون السر، ما معلن — ما الصوم، ما الصائم ما المؤثرون

ما الکلم الطیب، ما ضده — ما الطیبات الخلق، ما الطیبون

ما مرج البحرین، ما برزخ — بینهما لو کنتم تعلمون

ما حجة الله علی خلقه — ما الأمر بالمعروف، ما الآمرون

ما النور، ما المشکاة، ما ذلک — الکوکب، ما المصباح لو تسألون

نور علی نور لیشقی به — قوم و یحظی بالهدی آخرون

فاصغوا إلی الداعی فهل أنتم — صم عن الداعی فلا تسمعون

لاح صباح الحق لکنکم — فی ظلمة الباطل لا تبصرون

و قال یمدح آل البیت علیهم الصلاة و السلام:

و تمسکی بحبال آل محمد — ما عشت لا بحبائل الشیطان

فهم الحیاة لکل قلب میت — و هم الممات إذا التقی الجمعان

و هم الطريق لمن تبصر بالهدى و البارد السلسال للظمآن

ص: ۹۸

و هم الأدلة للذين بحبهم و الواصلين بهم إلى الرحمن

– سنان راشد الدين:

فی الصفحات السابقة، تكلمنا بشیء من الإیجاز عن سیرة سنان راشد الدین، و ذلک من خلال حدیثنا عن الدولة الإسماعیلیة. و قلنا إنه كان رجل دولة من طراز فرید، و هذا جانب من جوانب شخصیته الفذة.

أما الجانب الآخر، فهو كونه أدیبا كبیرا، و عالما نحریرا، و فیلسوفا عبقریا. و له شعر حسن یدل على أن سنان یضم بین جانحیه شخصیة شاعر ملهم، یسیر فی طلیعة الشعراء لكن شعره ما زال متفرقا هنا و هناک. و قد أتى على ذكر شیء منه الدكتور عارف تامر فی كتابه [سنان و صلاح الدین].

من شعر سنان قوله:

ما أكثر الناس و ما أقلهم و ما أقل فی القلیل النجبا

لیتهم إذ لم یكونوا خلقوا مهذبین صحبوا مهذبا

و قوله أیضا:

ألجأنی الدهر إلى معشر ما فیهم للخیر مستمع

إن حدثوا لم یفهموا سامعا أو حدثوا مجوا و لم یسمعوا

... تقدمی أخرنی فیهم من ذنبه الإحسان ما یصنع

و من جميل شعره قوله:

لو كنت تعلم كل ما علم الورى طرّا لكنت صديق كل العالم

لكن جهلت فصرت تحسب أن من يهوى خلاف هواک ليس بعالم

فاستحى أن الحق أصبح ظاهرا عما تقول و أنت شبه النائم

و من قصيدة أرسلها إلى سابق الدين عمار بن الداية صاحب شيزر يعزيه بأخيه شمس الدين صاحب قلعة جعبر، نختار هذه الأبيات:

ص: ۹۹

إن المنايا لا يطأن بمنسم إلّا على أكتاف أهل السؤدد

فلئن صبرت فأنت سيد معشر صبروا و إن تجزع فغير مفند

هذا التناصر باللسان و لو أتى غير الحمام أتاک نصرى باليد

- شمس الدين الطيبى:

هو شمس الدين بن أحمد بن يعقوب الطيبى، و الأقوال حوله متضاربة. فعلى حين يذكر الدكتور عارف تامر أنه لم يعثر له فى مصادر الدعوة الإسماعيلية على أى أثر ينيرنا إلى معرفة تاريخ حياته و موطنه و مؤلفاته ما قام به من أعمال[۱۸۱]. نجد مصطفى غالب فى كتابه [أعلام الإسماعيلية]، قد تحدث عن سيرة حياته و عرض نماذج من شعره.

و يستفاد مما كتبه مصطفى غالب، أنّ شمس الدين ولد فى قرية (بزاعة) من أعمال حلب سنة ۵۹۲/ ه. كان أبوه، الشيخ أحمد الطيبى، من كبار دعاة المذهب الإسماعيلى فى جهات حلب، و قد اهتم بتنشئة ولده و تربيته تربية صالحة، و لقنه كافة العلوم الإسماعيلية و هو فى سن مبكرة، و أخذ ينظم الشعر الفلسفى.

و ما كاد يبلغ أشده حتى وصلت أخباره إلى مركز الدعوة الإسماعيلية النزارية فى ألموت فاستدعاه الإمام علاء الدين محمد حيث جعله شاعره الخاص، و أخذ هو بدوره يتلقى علومه العالية على أيدى كبار دعاة و علماء ألموت، و تتلمذ فترة

[۱۸۱] ( ۱) المرجع السابق ص ۵۱۰ و ايضا عارف تامر- سنان و صلاح الدين ص ۹۷.

من الزمن على الفيلسوف الكبير نصير الدين الطوسى. ثم قرر مجلس الدعاة إرساله ليتولى أمور الدعوة فى بلاد الشام، على أن يكون داعيا متجولا فى كافة البلاد و ظل



يتنقّل بين قلاع الدعوة إلى أن توفى بمصياف سنة ٦٥٢/ ه و دفن فيها[١٨٢].

كان شمس الدين غزير المادة ترك من المؤلفات:

* رسالة [الدستور و دعوة المؤمنين إلى الحضور] المعروفة بدستور المولى علاء الدين.

* قصائد كثيرة موزعة فى أغلب المخطوطات الإسماعيلية السورية.

من شعره قصيدة فى مدح آل البيت عليهم السّلام يقول فيها[١٨٣]:

ولديه يكون عدل و ظلم — و عليه يدور عرف و نكر

كانت الكائنات كالليل حتى — لاح من نوره فأشرق فجر

فإذا ما ارتقى يقصر و هم — عن مدى فهمه و يعجز فكر

و منها فى الحكميات:

إنما النفس للخليقة لبّ — و كذا الجسم فى الحقيقة قشر

فاطلب اللب و اترک القشر يشر — ح لک صدر ثم يوضع وزر

و اتبع الحق لا تمل عن هداه — باعتقاد يراه زيد و عمر

أكثر الخلق فى عمى و ضلال — ليس ينهيهم عن الجهل زجر

من دعاهم لباطل تبعوه — و إذا ما دعوا إلى الحق فروا

فهم الجاحدون لما أتاهم — ببيان الهدى من اللّه ذكر

---

[١٨٢] ( ١) عارف تامر- أربع رسائل إسماعيلية دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٧٨، ط ٢، ص ٤٩.

[١٨٣] ( ٢) مصطفى غالب- أعلام الإسماعيلية ص ٣٠٦.

و منها:

سقط اليوم حيث خس فأضحى فوق أيدى الملوک باز و صقر

نحن أطفال غادة و علينا لولى الأمور نهى و زجر

و الفتى فى يد الطبيعة عد فإذا حلّ قيده فهو حر

نحن كالماء يدفع البعض بعض ليتم المسير و الدهر نهر

ص: ١٠١

و منها فى الأخلاق:

لا تكن كالصبى يلهيک عما فيه نيل الكمال بيض و صفر

لا تكن واثقا بخل جهول ليس بالجاهلية يشتد أزر

لا تكن حاسدا فرب حسود مات غيظا و فى الحشا منه جمر

و إذا ضاق موضع بک فارحل فالفضا واسع و ما ضاق بر

و إذا ما عشقت فاخضع بذل ذلة العاشقين فى الحب مهر

أتظن الوصال يدرک سهلا دون درک الوصال بيض و سمر

و منها فى مدح السادة الأطهار:

طاب شعر الطيبى، لم لا و فيه من ثناء الأئمة الطهر عطر

أولياء الهدى أئمة صدق سادة قادة الميامين غر

قرشيون هاشميون عرب شأنهم حكمة تقوى و بر

دوحة أصلها النبوة و العلم | من الفرع و الإمامة زهر
شمل الكون ظلها و حباها | مثل طوبى و ما خلا منها قطر

و منها:

هم هداة الأنام إن ضل قصد | و سقاه الغمام إن عزّ قطر
و هم القصد فى الصلاة و لو لا | ذكرهم لم يكن عشاء و ظهر
قبلة العالمين فى كل دور | و لهم فى الورى ظهور و ستر
و بهم شرفت حجاز و نجد | و بهم شرفت عراق و مصر
و كفى المدح أن يقال نبى | و وحى له و سبط و صهر
و عليهم نزول إنّا فتحنا | و لهم بشرت إذا جاء نصر

هذا كل ما وصلنا من شعر الطيبى ...

أما فى النثر، فقد وصلتنا رسالته التى حققها و نشرها الدكتور عارف تامر ضمن كتاب [أربع رسائل إسماعيلية].

و هذه وقفة قصيرة عند هذه الرسالة:

ص: ١٠٢

عنوان الرسالة:

يقول مصطفى غالب: إن شمس الدين الطيبى ترك عدة كتب تبحث فى الفلسفة الإسماعيلية و أصول المذهب، فقدت كما فقد غيرها من مؤلفات الدعاة الإسماعيلية، و لم يبق إلا كتاب واحد فقط، هو دستور المولى علاء الدين.

و نعتقد أنّ مصطفى غالب استوحى هذا العنوان مما جاء فى خاتمة الرسالة و نصه: «سمعه شمس الدين أحمد بن يعقوب الطيبى، من الداعى الجليل نصير الدين الطوسى، سمعه من الإمام علاء الدين محمد علينا منه السّلام».

أما الدكتور عارف تامر فقد ذكر عنوان الرسالة كما يلى [الدستور و دعوة المؤمنين للحضور]، و هذا العنوان، على ما نرى، إختصار لعنوان الرسالة الأصلى الذى جاء فى مقدمتها و هو: هذه رسالة الدستور، و دعوة المؤمنين للحضور، و لمن أراد الدخول فى الدعوة الإسماعيلية، و الحضور إلى الجنة مع الولدان و الحور، تحت أكناف الستور، إنه رحيم غفور. و السلام على من اتبع الهدى، و خشى عواقب الردى، و أطاع الملک العلى الأعلى، و أقر بنبوءة محمد المصطفى، و بولاية على المرتضى، و اللعنة على من كذب و تولى.

تقع هذه الرسالة فى «٢٣» صفحة من القطع العادى، و تتضمن:

* الشروط التى يتوجب توفرها فى المستجيب.

* صفة المرشد.

* العلوم التى تلقن للمستجيب، و طريقة تلقينه هذه العلوم.

الشروط التى يجب توافرها فى المستجيب هى أن يكون بالغا عاقلا رشيدا، كبر و بلغ فى السن، جميل الصورة، سليما من الآفات و العاهات الجسدية و الخلقية، و أن يكون إلى جانب ذلک حسن



الأخلاق، متمسكا بأوامر الدين و الشريعة، معظما للنواميس الإلهية، مصاحبا لأهل الصلاح و الدين و يخضع للتجربة و الإمتحان، كما يجرى السؤال عن أقواله و أفعاله و أحواله جميعها الظاهرة منها و الباطنة. فإذا عرف منه السداد و الرشاد، يجرب بترک المعاصى و يمتحن بترک المطلوبات الجسمانية و المجاهدة بالنفس و المال فى سبيل العقيدة و أداء أحكامها.

فإذا ظهر بعد كل ذلک، انه كان محقا فى الطلب، مجدا فى الرغبة، مطيعا، مستسلما، تبدأ المرحلة الثانية، مرحلة تلقينه أسس الدعوة، فى طقوس خاصة. حيث يفاتح بأسس الدعوة بحضور جماعة من المؤمنين يجب ألا يقل عددهم عن نقيب و شاهدين. فيقول النقيب بحضور الجماعة:

«بسم اللّه الرحمن الرحيم. الحمد للّه الذى جعل بعضنا لبعض دليلا، و بعث منا رسولا، و أوضح لنا السبيل، و فتح علينا من كشف الأسرار ما هو أشد وطأ و أقوم قيلا ...

جماعة المؤمنين ... هذا فلان .... قد عرفتم ظاهره و باطنه و كشفتم سرائره و قد قصدكم طالبا، و لأنواركم راغبا ... فصلوا حبل معناكم بحبله، و أجيبوه بما علّمكم اللّه من فضله و أحيوه من موت جهله، و عرّفوه حقائق الدين القويم و أرشدوه إلى الصراط المستقيم» ...

و قبل أن يلقن المستجيب أسس العقيدة، عليه أن يقسم قسما معظّما باللّه، و بجميع أسمائه الحسنى و صفاته العليا، و يشهد الملائكة المقربين و أرواح الأنبياء المرسلين، و نفوس الصادقين و الصالحين من عباده العارفين انه راغب فى المذهب الإسماعيلى، و انه يكتم و يخفى كل سر تعلمه عن كل من لا يعتقد بمعتقده. و بعد القسم، يعطى البسلمة، و التشويق، و الشهادة الإلهية ضمن طقوس يتخللها سجود

ص: ۱۰۴

و یشرب المستجیب خلالها مرة الماء، سرورا و حبورا و تذکارا لصفی اللّه آدم و وصیه شیث. و مرة لبنا، تذکارا لنجی اللّه نوح و وصیه سام. و مرة ثالثة عسلا، ممزوجا بالماء تذکارا لخلیل اللّه إبراهیم و وصیه إسماعیل.

و مرة رابعة، شعاع العقل و برق الوصول سرورا و حبورا و طربا لروح اللّه عیسی و وصیه شمعون ... و فی آخر الأمر یشرب ذکری للناطق المؤید رسول اللّه محمد صلّی اللّه علیه و اله و سلّم و وصیه علی علیه السّلام و بعدئذ یشیر النقیب إلی أحسن الجماعة صوتا فیقوم فیؤذن بهذا الاذان الإلهی:

اللّه أکبر عن إدراک الأوهام و اللاهوتیة، اللّه أکبر عن اماطة العقول بمعنویته، اللّه أکبر عن صفات العقول و النفوس. اللّه أکبر عن التحدید بالمعقول و المحسوس. و أشهد أن لا إله إلا اللّه الأول الأزل السابق، و أشهد أن لا إله إلا اللّه العالم القادر الخالق، و أشهد أن محمدا رسول اللّه الناطق بالتنزیل، و الدلیل إلی أوضح السبیل، و أشهد أن علیّا ولی اللّه، و وصیه الناطق بحقائق التأویل، رالقائم من بعده بالحق المبین، و نور اللّه المدل إلی سواء السبیل، حی علی الصلاة، صلاة المتصلین علوم الأصول و الفروع، حی علی الصّلاة، صلاة القائمین بأعمال المعقول و المشروع، حی علی الفلاح بالاستفادة من جواهر أنوار التالی، حی علی الفلاح بالتوجه إلی أرکان أساس البیت المعمور، حی علی خیر العمل بإجابة الدعاة و إطاعة الحدود. قد قامت الصلاة فی قلوب المؤمنین بالتقدیس و التمجید. قد قامت الصلاة فی أسرار العارفین بالتأویل و التوحید، و حقت کلمة العذاب علی المنکرین بالتقلید. اللّه أکبر عما یتوهم الظالمون. اللّه أکبر عما یتوهم الجاحدون، لا إله إلا اللّه العلی المتعالی عن الأوهام و الظنون.»

و بعد هذا الأذان یقوم أعلمهم و أکبرهم فیصلی فیهم رکعتین، ثم تبدأ مرحلة تعلیم المستجیب، معرفة الموجودات و کیفیة الإعتقادات و تأویل المعتقد، و معرفة مرتبة الإمام، و تحقیق التوحید.

ص: ۱۰۵

من ذلک مثلا:

النبوءة و الرسالة هی ظهور الکلمة بالحجاب، و تنصیب الدلیل و المرشد و الباب، إلی منهج الحق، و طریق الصواب، و النبی هو المخبر عن الأصول، و الداعی إلی ما یدعو إلیه الرسول، و هو الناطق الداعی إلی الأصلین السابقین و التالی. و الفروع الثلاثة و الخمسة العلویة الحاملة للکمال، و أما الصحیفة و الکتاب، و تبیان جزیل الخطاب، فهو اتصال التأیید من السابق إلی الناطق و هدایته إلی التألیف، و إعانته علی التصنیف، و أما الملائکة المقربون، فهم القوی العالمة فی العوالم العالیة و السافلة ... و الکروبیون هم القوی الممدة للنطقاء فی تألیف التنزیل، و الأدیان، و الشرائع هی موضوعات العقول الإلهیة لإصلاح الأجسام الأرضیة ... و القبر هو الصورة الجسمانیة، و الهیاکل الجرمانیة، و عذاب القبر هو تأثیر النفس بسبب ما یظهر علیها من الصور الهیولانیة المخالفة للطبائع، و ذلک علی سبیل التغییر، و إتیان منکر و نکیر، هو استیلاء القوة الشهوانیة و الغضبیة الداعیتین إلی الهلاک، و الحشر هو انحطاط النفوس فی سلک انقیادها و انجبارها إلی ما فیه ذاتها و حقیقتها ..... .....

و الميزان هو الآلة التى يستعملها العقل الدّراک المحيط المميز المركب من البسيط، و الصراط هو البرزخ، و معبر النفس إلى العالم الأعلى من الأدنى، و معنى الجنة العوالم الثمانية:

أولها: جنة الميراث و هى رتبة الإنسانية.

و الثانية: جنة عدن و هى الرتبة الملكية.

و ثالثها: جنة الخلد و هى العوالم الفلكية.

و رابعها: الجنة العالية و هى العوالم الروحانية المجردة من العوالم الجرمانية.

ص: ۱۰۶

و خامسها: جنة الفردوس و هى النفسانية.

و سادسها: جنة النعيم و هى عالم العلم.

و سابعها: جنة رضوان و هى عالم العقل.

و ثامنها: جنة المأوى و هى عالم الامر الذى منه بدت العوالم و إليه معادها ..... .....

المصير و الرجوع إلى اللّه تعالى هو انتهاء جميع النسب و الإضافات التى بين البسائط و المركبات من العوالم الروحانية و الجسمانية و اللطائف و الكثائف إلى الأربعة الحاملة إشارة الكلمة إلى المرتبة المشار إليها بحروف اللّه المتصل بالأمر الذى هو معنى رجوع المركبات العددية، أو معرفة مرتبة الإمام، و مشاهدة أنواره المحيطة بالخاص و العام، و مطالعة آثار البسيط على المعانى و الأجسام، و الحلال الواجب إظهاره و إعلانه و الحرام الواجب ستره و كتمانه هو الطاعة و الدخول فى عهد إمام الزمان، و الثانى المعصية و الميل لأئمة الضلال و العدوان، و أما الصلاة فهى صلة الداعى إلى دار السلام بصلة الأبوة فى الأديان إلى الإمام، و الزكاة إيصال الحكمة إلى المستحق و إرشاد الطالب لمنهج الحق، و الصوم الإمساک عن كشف الحقائق و النواميس الشرعية لغير أهلها فى دور الكشف و الستر هو استتار الإمام بحججه و اختفاؤه بدعاته، و النهار دليل على دور الكشف، و الإفطار ظهور الإمام من وراء حجابه، و إظهار المعانى الإلهية، و عرفان حقيقة الأحوال المعادية ..... و الحج هو القصد إلى صحبة السادة الأئمة من أهل البيت ... و الإحرام الخروج من مذهب الأضداد، و تحصيل القابلة الإستعداد للوقوف فى عرفات، و المزدلفة الوقوف على قوانين الحكمة و المعرفة .....

و العدل ترک الناقص مع وجود الكامل، و الإحسان إحاطة العلم بالإمام، و قدرته على ما بطن و ظهر و تجلى و استتر، و إيتاء ذى القربى

ص: ۱۰۷

محبة الرسول، و ولاية أولاد البتول، و تفضيل الهاشميين، و القول بإمامة الفاطميين، و الظلم وضع الإمامة فى غير آل محمد ...

### - حسن بن احمد بن على المعدل:

قال عنه مصطفى غالب إنه من كبار دعاة الإسماعيلية فى بلاد الشام، و لا يوجد أى أثر تاريخى يؤكد بالضبط تاريخ ولادته و نشأته.

ولد فى قرية تعنيتة التى تبعد ٣٨ كم عن القدموس، و تأدب و تلقى العلوم الإسماعيلية فى مدارس قلاع الدعوة. عاش ما بين ٥٨٨/ ه. حتى سنة ٦٥٨/ ه. فهو و الحالة هذه عاصر أربعة أئمة هم: جلال الدين حسن، و علاء الدين محمد، و ركن الدين خيرو شاه، و شمس الدين محمد[١٨٤]. تدرج فى رتب الدعوة حتى أصبح مقدما، و قد أشار إلى ذلك بقوله:

حسن أنا لى رتبة معروفة — بين الحدود مقدم و ملاوم

و أنا المعدل لا أزال معدلا — نفسى و إخوانى فهن عزائم

توفى و دفن فى قرية تعنيتة، و يبدو انه لم يغادرها فى حياته.

من آثاره: قصيدته المشهورة [ألفية المعدل]. أما فى النثر فقد ترك رسالتين الأولى بعنوان [الرسالة الناطقة ذات العلوم الغامقة] و الثانية بعنوان [رسالة المبدأ و المعاد].

حقق الرسالتين و نشر هما الدكتور مصطفى غالب تحت عنوان [رسالتان إسماعيليتان] لكنه لم يتسن لنا الإطلاع عليهما .....



### دور الافول و النكبات المتلاحقة

حياة الدول كحياة الأفراد، و تمر بالأدوار ذاتها. دور الولادة و النشأة، ثم دور القوة و الإزدهار فدور الإنحدار و الفناء.

لذلك كان من الطبيعى جدا، أن يعقب عهد الإزدهار الذى بلغته الشيعة فى بلاد الشام و سواحلها الغربية عهد الأفول و الإنفلاش.

---

[١٨٤] ( ١) المرجع السابق ص ٣٠٧ و أيضا: عارف تامر أربع رسائل إسماعيلية ص ٤٩.

و قد بدأ عهد الأفول فی سنة ۵۰۲/ ه، ۱۱۰۹/ م، بانتهاء حکم آل عمار فی طرابلس و جبلة. و انتهی فی عام ۶۷۰ ه، ۱۲۷۲/ م، بغروب شمس الدولة الإسماعیلیة فی مصیاف.

أی ان عهد الافول استغرق ۱۶۳ سنة.

لکن ما ینبغی قوله، إن أفول نجم الشیعة کحکومات مستقلة، لم ینه وجودها کمذهب فی تلک الأماکن کل ما فی الأمر أنّ عددهم تضاءل کثیرا بسبب الضغوط التی تعرضوا لها، و حملات التصفیة التی طالتهم فی کل بلاد الشام.

فکما هو معلوم، إن جمیع الحکومات التی تعاقبت علی بلاد الشام بعد انحسار ظل الدولة العباسیة- سلاجقة، زنکیون، أیوبیون، ممالیک، عثمانیون- کانت سنیة، شدیدة العداء للشیعة. و قد عملت



هذه الحکومات علی القضاء علی کل أثر للشیعة فی بلاد الشام بعد أن تم القضاء علیهم فی مصر.

و قد بدأ العداء للشیعة یظهر إلی العلن فی بلاد الشام، فی عهد نور الدین زنکی الذی غیر الأذان بحلب سنة ۵۴۳/ ه و منع المؤذنین من قولهم «حی علی خیر العمل» و قال للفقهاء من لم یؤذن الاذان المشروع ألقوه من المنارة علی رأسه[۱۸۵].

و قد عظم هذا الأمر علی الإسماعیلیة و أهل التشیع، و ضاقت له صدورهم و هاجوا و ماجوا ثم سکنوا خوفا من القتل[۱۸۶].

و لما جاء صلاح الدین الأیوبی، و خلفاؤه من بعده، ثم الممالیک فی أعقابهم، غالوا فی القضاء علی کل أثر للشیعة.

و کان الممالیک أکثر تشددا، من غیرهم، فی محاربة المذاهب الإسلامیة غیر السنیة. فقد أمر الظاهر بیبرس سنة ۶۶۵/ ه، ۱۲۶۷/ م باتباع المذاهب السنیة الأربعة و تحریم ما عداها. و لم یکتف بذلک، بل أمر بأن لا یولی قاض و لا تقبل شهادة أحد و لا یرشح لإحدی وظائف الخطابة أو الإمامة أو التدریس ما لم یکن مقلدا لأحد هذه المذاهب[۱۸۷].

و کان الناس إذا أرادوا أن یکیدوا لشخص دسوا علیه من رماه بالتشیع، فتصادر أملاکه و تنهال علیه العقوبات و الإهانات حتی یظهر التوبة من الرفض[۱۸۸].

و تعتبر الفترة من ۵۴۳/ ه إلی ۹۲۲/ ه فترة نکبات متلاحقة



للشیعة، أهدر فیها دماء الکثیرین منهم ظلما و عدوانا بفتاوی قامت علی الجهل و التعصب.

---

[۱۸۵] ( ۱) مصطفی غالب- أعلام الإسماعیلیة ص ۲۰۷.

[۱۸۶] ( ۲) ابن العدیم- زبدة الحلب ج ۲، ص ۲۹۳.

[۱۸۷] ( ۳) ابن القلانسی- ذیل تاریخ دمشق ص ۱۹۰.

[۱۸۸] ( ۴) المقریزی- المواعظ و الإعتبار ج ۴، ص ۱۶۱ و راجع أیضا: محمد علی مکی- لبنان من الفتح العربی إلی الفتح العثمانی دار النهار بیروت ص ۲۱۷.

ففی سنة ۷۰۵/ ه، ۱۳۳۵/ م، أفتی الفقیه ذی اللوثة، ابن تیمیة، بقتل الشیعة و سائر الطوائف الشیعیة. و قال فی فتواه:

«إن جهاد هؤلاء و إقامة الحدود علیهم من أعظم الطاعات، و أکثر الواجبات، و هو أفضل من جهاد من یقاتل المسلمین من المشرکین و أهل الکتاب، فإن جهاد هؤلاء حفظ لما فتح من بلاد الإسلام»[۱۸۹] و کانت فتوی ابن تیمیة المشؤومة، وراء المذبحة التی قام بها جمال الدین أقوش الأفرم فی حملته علی جبال الظنبیین، و هی الجبال المطلة علی طرابلس من جهة الشرق، تلک الحملة المعروفة بالتاریخ بالحملة الکسروانیة التی جرت بین ۲ محرم- ۱۴ صفر سنة ۷۰۵ ه. و التی قال عنها ابن الوردی فی تاریخه:

«و فیها أحاطت عساکر الشام بجبال الظنبیین المنیعة و ترجلوا عن الخیل و صعدوا فی تلک الجبال من کل جانب و قتلوا و أسروا جمیع من بها من النصیریة و الظنبیین و کان الذی أفتی بذلک ابن تیمیة و توجه مع العسکر»[۱۹۰].

و قبل هذه الحملة حاول المسؤولون عن نیابة دمشق، الإتفاق مع الجبلیة، و هم «الجردیین و الکسروانیین .. فأرسلوا إلیهم الشیخ تقی الدین ابن تیمیة و الأمیر بهاء الدین قراقوش فی ذی الحجة من عام ۷۰۴/ ه، لدعوتهم إلی الطاعة. و قد جاءت هذه البعثة بعد مهمة الشریف زین الدین بن عدنان و التی باءت بالفشل مما أدی إلی بدء الحملة العسکریة. و قد بدأ خروج العسکر إلی جبال کسروان، کما

ص: ۱۱۱

ذکر الیونینی، طائفة بعد طائفة، و تقدمة بعد تقدمة، فرسانا و رجالة، و ذلک منذ الثانی من المحرم ۷۰۵/ ه، ثم تبعهم نائب السلطنة الأمیر جمال الدین أقوش الأفرم، و معه عصب الحملة، من زردخاناه و حجارین و نقابین و قدر عدد رجال الحملة بخمسین ألفا، و قد حرص النائب علی عدم تخلف أحد ممن یمکنه المشارکة فی القتال، عنها فأعلن أنّ الشنق عقاب المتخلفین، و بعد حوالی شهر و نصف من بدء الحملة ۱۴ صفر ۷۰۵/ ه، غادر النائب و العساکر جبال کسروان إلی دمشق منصورین، بعد ما احتلوا الجبال و خربوا أبنیتها و قطعوا کرومها[۱۹۱]. و لبشاعة هذه المذبحة، طلب الناصر بن قلاوون تبریرا لها، فکتب ابن تیمیة مبررا:

«لما قدم التتار إلی البلاد، و فعلوا بالمسلمین ما لا یحصی من الفساد، و أرسلوا إلی أهل قبرص فملکوا بعض السواحل، و حملوا رایة الصلیب، و حملوا إلی قبرص من خیل المسلمین و سلاحهم و أسراهم ما لا یحصی عدده إلا اللّه، و أقام سوقهم بالساحل عشرین یوما یبیعون فیه المسلمین و الخیل و السلاح علی أهل قبرص، و فرحوا بمجیء التتار ..

و لما خرجت العساکر الإسلامیة من الدیار المصریة، ظهر فیهم الخزی و النکال ما عرفه الناس منهم و لما نصر اللّه الإسلام النصرة العظمی عند قدوم السلطان کان بینهم شبیه بالعزاء ...

---

[۱۸۹] ( ۱) ابن تیمیة- کتاب مجموع الفتاوی ۴۰۹ مسألة.

[۱۹۰] ( ۲) تاریخ ابن الوردی المعروف بتتمة المختصر فی أخبار البشر ج ۲، ص ۳۶۳.

[۱۹۱] ( ۱) الدکتور محمد عیسی حمادة- مجلة الباحث- العدد ۸ تموز/ آب ۱۹۸۱، ص ۴۲.

و كل هذا و أعظم منه عند هذه الطائفة، كان من أسباب خروج جنكيز خان إلى بلاد الإسلام، و فى استيلاء هولاكو على بغداد، و فى قدومه إلى حلب، و فى نهب الصالحية، و غير ذلک من أنواع العداوة للإسلام و أهله. و لقد كان جيرانهم من أهل البقاع و غيرها منهم، فى أمر لا يضبط شره، كل ليلة تنزل منهم طائفة، و يفعلون من الفساد ما لا

ص: ١١٢

يحصيه إلا رب العباد: كانوا فى قطع الطرقات و إضامة سكان البيوتات على أقبح سيرة، و يقعون بالرجل الصالح من المسلمين، فإما أن يقتلوه، و إما أن يسلبوه، و قليل منهم من يفلت بالحيلة ... و قد اتفق العلماء على قطع الشجر و تخريب العامر عند الحاجة إليه، فليس ذلک بأولى من قتل النفوس، و إن القوم لم يحضروا كلهم من الأماكن التى اختفوا فيها، و ما أيسوا من المقام فى الجبل إلا حين قطعت الأشجار و إلا كانوا يختفون حيث لا يمكن العلم بهم»[١٩٢].

و مثلما قتل جمال الدين أقوش الأفرم شيعة جبل الضنية، بناء على فتوى ابن تيمية، قتل السلطان سليم العثمانى شيعة جبال اللاذقية و غيرهم سنة ٩٢٢/ ه، ١٥١۶/ م، بناء على فتوى مماثلة أصدرها الشيخ نوح الدمشقى، جاء فيها:

«اعلم أسعدک اللّه أنّ هؤلاء الكفرة، و البغى الفجرة، جمعوا بين أصناف الكفر و البغى و الفساد، و أنواع الفسق و الزندقة و الإلحاد، و من توقف فى كفرهم و الحادهم و وجوب قتالهم و جواز قتلهم فهو كافر مثلهم .....

و سبب وجوب قتالهم و جواز قتلهم: البغى و الكفر معا، أما البغى فإنهم خرجوا عن طاعة الإمام خلد اللّه تعالى ملكه إلى يوم القيامة ..... و أما الكفر فمن وجوه. منها انهم يستخفون بالدين، و يستهزئون بالشرع المبين ..... و يهينون العلم و الأدباء ..... و يستحلون الحرمات .... و ينكرون خلافة الشيخين ... فيجب قتل هؤلاء الأشرار تابوا أم لم يتوبوا[١٩٣] ...»

ص: ١١٣

هذه المذابح التى وصلت إلى حد الإبادة الجماعية مزقت الشيعة شذر مزر، و دفعت الكثيرين منهم إلى اعتناق مذاهب أهل السنة صونا لدمائهم، و قد اعتبر هذا التصرف تخاذلا. و وصفت الشيعة المتخاذلة فى السواحل بلقب «أهل السواحل المتسننين»[١٩۴].

أما من بقى على مذهبه فقد حرمت عليه إقامة شعائره الدينية، و تفرقوا فى البلاد هنا و هناک ...

و بعد أن قضى على المذهب الشيعى فى بلاد الشام، ظهر التشيع من جديد فى حلب، على يد الإمام الكبير الشريف أبى إبراهيم محمد الممدوح، من أولاد إسحاق المؤتمن. كما أخبرنا ابن الحنبلى الذى عاش خلال الفترة ما بين ٩٠٨/ ه و ٩٧١/ ه، قال:

---

[١٩٢] ( ١) محمد أبو زهرة- ابن تيمية ص ۴۵ و راجع أيضا. محمد على مكى لبنان من الفتح العربى إلى الفتح العثمانى ص ٢٣٠.

[١٩٣] ( ٢) الشيخ إبراهيم نصر اللّه- حلب و التشيع ص ١۵۵ و راجع أيضا: عبد الحسين شرف الدين الموسوى- الفصول المهمة ص ١۴٣.

[١٩۴] ( ١) الخونسارى- روضات الجنات- إيران ص ۵٩٠ و أيضا: محمد على مكى لبنان من الفتح العربى إلى الفتح العثمانى ص ٢۵۴.

«قال لی والدی کان أهل حلب کلهم أهل سنة و کلهم حنفیون، لا یعرفون غیر ذلک، حتی قدم شخص من العراق فظهر فیهم التشیع و ظهر مذهب الشافعی، لأنهم کانوا یستترون بمذهبه، و هذا الشخص هو الإمام الکبیر الشریف أبو إبراهیم محمد الممدوح من أولاد إسحاق المؤتمن»[۱۹۵].

و إذا کان مذهب الشیعة، قد ظهر من جدید، بعد القضاء علیه، فإنه لم تعد له تلک القوة التی کان علیها فی الأزمنة الماضیة، و لم یعد له تألقه السابق.

ص: ۱۱۴

## دور الانبعاث

طرأت علی بلاد الشام من عام ۱۸۶۴/ م إلی ۱۹۴۲/ م تغییرات جذریة، کبیرة و هامة. تناولت کیان البلاد کوحدة مستقلة، و حدود سواحلها أیضا.

و لهذه التغیرات ارتباط وثیق بموضوع دراستنا.

فمن المعلوم، ان بلاد الشام قسمت أوائل الفتح العثمانی إلی أربع ایالات کبری هی: ایالة دمشق و تحتوی علی ألویة دمشق و القدس و غزة و صفد و نابلس و عجلون و اللجون و البقاع و عکا و تدمر و صیدا و بیروت و الکرک و الشوبک. و ایالة طرابلس تحتوی علی ألویة طرابلس و حماه و حمص و سلمیة و جبلة[۱۹۶]. و ایالة حلب و تدخل فیها حلب و اذنه و اکراد کلیس و البیرة (بیره جک) و عزیز و المعرة و ترکمان حلب.

ثم جعلت هذه الولایا أربعا: ولایة حلب، ولایة سوریة، ولایة طرابلس، ولایة صیدا التی اقتطعت من ولایة سوریة.

و بعد صدور قانون الولایات الجدید سنة ۱۸۶۴/ م، ظهرت إلی

ص: ۱۱۵

الوجود ولایة کبیرة هی ولایة سوریة و تضم ثمانیة سناجق أو متصرفیات هی: سنجق الشام، و سنجق بیروت، و سنجق طرابلس، و سنجق اللاذقیة، و سنجق عکا، و سنجق حما، و سنجق البلقا، و سنجق حوران[۱۹۷].

و تبعا لهذه الترتیبات الجدیدة، تألف فی سوریة قومسیون (عمدة) من کبار المأمورین لترتیب الایالات و الأقضیة. و کان حمدی بک قائمقام طرابلس، یومذاک، محسوبا علی بعض أعضاء القومسیون و لکی یوسعوا دائرة حکومته، ألغوا لواء اللاذقیة و قسموه إلی أربعة أقضیة مستقلة هی: قضاء اللاذقیة، و قضاء صهیون، و قضاء جبلة، و قضاء المرقب. و مرجع کل قضاء منها إلی طرابلس مقر المتصرفیة.

---

[۱۹۵] ( ۲) ابن الحنبلی – درر الحبب ج ۱، ق ۱، ص ۱۸۹.

[۱۹۶] ( ۱) عیسی اسکندر المعلوف عن نتائج الوقوعات لمصطفی باشا بالترکیة – مجلة المجمع العلمی العربی بدمشق العدد ۱۲ لعام ۱۹۲۱، ص ۳۶۳.

[۱۹۷] ( ۱) الدکتور أسد رستم – لبنان فی عهد المتصرفیة ص ۸۸ و ۲۱۳.

و فى عام ١٨٧٩/ م عينت الحكومة العثمانية مدحت باشا واليا على ولاية سورية. و كان مسيو شارل بجوزوسكى، وكيل قنصل دولة إسبانيا فى اللاذقية، صديقا له، إكتسب محبته فى ولاية الطونا و ولاية بغداد، لذلک عندما علم بتعيين مدحت باشا واليا على ولاية سورية عزم على السفر إلى دمشق للسلام عليه و تهنئته بالمنصب الجديد.

و قبيل سفره اجتمع به الياس صوايا و إبراهيم حكيم و الياس الصالح و هم من كبار أعيان اللاذقية و كانوا يعلمون بالصداقة الحميمة التى تربطه بمدحت باشا، فطلبوا إليه أن يحدث مدحت باشا بأحوال قضائى اللاذقية و جبلة، و سلموه عريضة بمطالب أهل اللاذقية، ليقدمها إلى مدحت باشا تتضمن ما يلى:

أولا: إعادة لواء اللاذقية إلى أصله.

ثانيا: تشكيل تلک المقاطعات ثلاث أو أربع قائمقاميات يجعل لكل منها مركز فى موقع مناسب.

ص: ١١۶

ثالثا: إعادة اللاذقية مركزا للواء لتوسط موقعها، و لكونها ذات أهمية أولى فى هذا الخط.

و قد اهتم مدحت باشا بهذه المطالب، ثم لما زار طرابلس بنفس العام الذى وصل فيه إلى سورية، و اطلع شخصيا على أحوال لواء طرابلس و اتساعة، إقتنع بعدالة المطالب التى قدمت إليه، و كتب إلى الباب العالى بخصوص ذلک.

و فى أوائل شهر حزيران سنة ١٨٧٩ ورد الأمر السامى من الصدارة العظمى يعلن صدور الإرادة السنية السلطانية بتحويل اللاذقية إلى متصرفية.

و حضر مدحت باشا إلى اللاذقية يوم الخميس الواقع فى التاسع من شهر آب ١٨٧٩/ م ليقوم بنفسه بتشكيل المتصرفية، و شكلها من ثلاثة أقضية هى:

قضاء صهيون.

و يتألف من نواحى صهيون و جبل الأكراد و بيت الشلف و المهالية و مركزه قرية بابنا.

قضاء جبلة.

و يتألف من نواحى القرداحة و بنى على و سمت قبلة و قرى الأوقاف و الشمسيات و ساحل جبلة و مركزه نفس قصبة جبلة.

قضاء المرقب.

و يتألف من نواحى المرقب و زمرين و جرد العليقة و القدموس و الضهر الغربى و الخوابى و مركزه قلعة المرقب.

و بقيت القدموس مديرية تابعة لقضاء المرقب.

و منذ ذلک التاریخ، انفصلت منطقة اللاذقیة عن متصرفیة طرابلس نهائیا، و لم تعد تابعة لها، کما کانت فی السابق.

و بعد ما یقرب من تسع سنوات، أی فی سنة ۱۸۸۸/ م، أنشأ

ص: ۱۱۷

الباب العالی ولایة بیروت، ولایة مستقلة عن ولایة سوریة ترتبط بوزیر الداخلیة العثمانی و تدار بواسطة موظفین مدنیین و عسکریین، و شملت:

سنجق بیروت، و سنجق عکا، و سنجق طرابلس، و سنجق اللاذقیة، و سنجق نابلس[۱۹۸].

و هکذا أصبحت بلاد الشام منذ عام ۱۸۸۸/ م مجزأة إلی ثلاث ولایات هی: ولایة حلب، و ولایة سوریة، و ولایة بیروت.

و کانت ولایة بیروت تشمل:

* سنجق بیروت و أقضیته: صیدا، بیروت، صور، مرجعیون.

* سنجق طرابلس شام و أقضیته طرابلس شام، عکار، صافیتا، حصن الأکراد.

* سنجق اللاذقیة و أقضیته: اللاذقیة، صهیون، مرقب، جبلة.

* سنجق عکا و أقضیته: عکا، صفد، طبریا، ناصرة، حیفا.

* سنجق بلقا (نابلس) و أقضیته: بلقا (نابلس)، بنی صعب، جنین، جماعین.

* سنجق القدس الشریف و أقضیته: قدس شریف، خلیل الرحمن، غزة، یافا.

* سنجق جبل لبنان و أقضیته: بترون، جزین، کسروان، شوف، متن، کورة[۱۹۹].

لکن أهم التغییرات التی طرأت علی بلاد الشام و حدودها الساحلیة، تمت فی أعقاب الحرب العالمیة الأولی (۱۹۱۴- ۱۹۱۸)

ص: ۱۱۸

حیث قام الحلفاء، انکلترة و فرنسا، بتمزیق جسد بلاد الشام شر ممزق.

اقتطعوا منه أولا دولة لبنان الکبیر فی ۳۱ آب ۱۹۲۰ و حدودها کما یلی[۲۰۰]:

---

[۱۹۸] ( ۱) الدکتور وجیه کوثرانی- الإتجاهات الإجتماعیة- السیاسیة فی جبل لبنان و المشرق العربی معهد الإنماء العربی- بیروت ۱۹۷۶، ص ۹۷.

[۱۹۹] ( ۲) جغرافیای عمرانی ص ۲۳۸.

شمالا: خط من مصب النهر الكبير يتبع النهر إلى ملتقاه بوادى خالد على ارتفاع جسر القمر.

شرقا: خط يفصل وادى خالد و الأورنط (نهر العاصى) و يمر بقرى مزرعة ارسانه و حابت و عبيج و فيصل على ارتفاع قرى بريفا و مطرية[٢٠١] و يتبع هذا الخط حد قضاء بعلبک الشمالى، متجها من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقى ثم حدود أقضية بعلبک و حاصبيا و راشيا الشرقية.

جنوبا: الحدود الفلسطينية كما قرر فى الإتفاقات الدولية.

غربا: البحر المتوسط.

و قسموا الباقى إلى دويلات: دولة دمشق، دولة حلب، حكومة جبل الدروز، حكومة العلويين، و جعل لواء اسكندرون يتمتع باستقلال إدارى و مالى. و كان هذا تمهيدا لسلخه عن سورية.

و قد تألفت حكومة العلويين من[٢٠٢]:

أولا: أراضى سنجق اللاذقية ما عدا جسر الشغور و مديريتا البوجاق و الباير فى قضاء اللاذقية، و مديرية كنسبا فى قضاء صهيون.

ثانيا: أراضى سنجق طرابلس ما عدا المقاطعات الملحقة بلبنان



الكبير و المذكورة فى القرار ٣١٨ الصادر فى ٣١ آب ١٩٢٠.

ثالثا: أراضى قضاء مصياف (العمرانية) الذى ألحق بسنجق اللاذقية بالقرار ٣١٧ الصادر فى ٣١ آب ١٩٢٠.

و كانت حدود هذه «الدويلة» كما يلى[٢٠٣]:

شمالا: حدود مديريات بوجاق و الباير و كنسبا الجنوبية.

شرقا: حدود قضاء جسر الشغور الجنوبية الغربية مع حدود قضاء العمرانية الشمالية الشرقية و حدود قضاء حصن الأكراد الشرقية.

---

[٢٠٠] ( ١) القرار رقم ٣١٨ تاريخ ٣١ آب ١٩٢٠.

[٢٠١] ( ٢) الدكتور مسعود ضاهر – تاريخ لبنان الإجتماعى دار الفارابى بيروت ١٩٧٤، ص ٥١ و راجع أيضا: الدكتور ذوقان قرقوط – المشرق العربى فى مواجهة الإستعمار – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧، ص ١٤٩.

[٢٠٢] ( ٣) القرار ٣١٩ تاريخ ٣١ آب ١٩٢٠.

[٢٠٣] ( ١) المرجع السابق.

جنوبا: حدود لبنان الكبير الشمالية و الشمالية الشرقية:

غربا: البحر المتوسط.

و بعد توقيع المعاهدة ما بين سورية و فرنسة فى التاسع من أيلول عام ١٩٣٦/ م اعتبرت حكومة العلويين محافظة من محافظات الدولة السورية، تستفيد ضمن دولة سورية من نظام خاص إدارى و مالى[٢٠٤].

لكن فرنسة، لم تلبث أن تراجعت عن المعاهدة، و عمدت من جديد إلى فصل منطقة اللاذقية عن سورية اعتبارا من الساعة ١٢ من يوم ١٠ شباط ١٩٣٩ و جعلتها حكومة مستقلة[٢٠٥].

و بعد دفع و جذب، و أخذ ورد طويلين ما بين فرنسة و سورية، و تحت ضغط الأحداث السياسية فى الساحل و مطالبات الهيئات الوطنية و الأهالى و مكاتباتهم إلى المسؤلين فى الحكومة الفرنسية فى باريس و بيروت و دمشق، و إلى الهيئات و المنظمات الدولية، مطالبين بالعودة

ص: ١٢٠

إلى الوطن الأم، أعلن انضمام منطقة اللاذقية إلى سورية يوم الثلاثاء فى ٢٠ كانون الأول ١٩٤٢[٢٠٦] و احتفل رسميا بهذه المناسبة.

و فى الإحتفال ألقى رئيس الجمهورية الكلمة التالية:

«أيها المواطنون الأعزاء:

هذه اللحظة الملهمة التى تتوج عهدين و توحد بلدين ليست ملك فرد من الأفراد و لا منطقة من المناطق، و إنما هى ملك الوطن كله، يخفق فيها قلبه، و يتدفق حبه، و تسرى فى أعراقه نشوة الغبطة و الظفر، فقد عاد إليه ابنان عزيزان، و انتظمت فى عقده درتان كريمتان.

نعم، هذا يوم الوطن هذا يوم الوحدة، هذا هو اليوم الذى أعلن فيه بملء السرور و الفخر عودة محافظة العلويين و محافظة جبل الدروز إلى الوحدة السورية.

لقد تحققت اليوم نصوص الوحدة التى أقرها نظام ١٩٣٦ حرفا بحرف و لكن النصوص المكتوبة قد دعمتها الآن سياسة رشيدة كانت من آثارها هذه الحفلات التى تقام فى كل مكان و تعبر عن ثقة و طمأنينة لا حدّ لهما، و ان هذا الإجتماع الميمون الطالع هو مفخرة العهد الجديد أكبر ضمانة لبقاء الوحدة و سلامة القضية الوطنية».

و منذ ذلك التاريخ، أى منذ ٢٠ كانون الأول ١٩٤٢، و منطقة اللاذقية، إحدى محافظات الجمهورية السورية.

---

[٢٠٤] ( ٢) القرار ٢٧٤ ل. ر تاريخ ٥ كانون الأول ١٩٣٦.

[٢٠٥] ( ٣) القرار عدد ٢٢ ل. ر تاريخ ١٨ شباط ١٩٣٩.

[٢٠٦] ( ١) القرار ٢٣ ف. ل تاريخ ٢٠/ ١٢/ ١٩٤٢.

و كان من نتيجة المتغيرات التى جرت ما بين ۱۹۲۰– ۱۹۴۲ ما يلى:[۲۰۷]

۱– زال نهائيا اسم بلاد الشام.

۲– حلت مكان بلاد الشام عدة دول، هى: الجمهورية

ص: ۱۲۱

السورية، الجمهورية اللبنانية، المملكة الأردنية الهاشمية، حكومة فلسطين.

۳– سلخ لواء الإسكندرون من بلاد الشام و ضمه إلى تركية فى ۲۳ حزيران ۱۹۳۹.

۴– تقلصت بصورة كبيرة حدود ساحل بلاد الشام، الذى أصبح يسمى الساحل السورى، و تمتد حدوده من البدروسية شمالا إلى العريضة جنوبا.

أى أنه يشمل محافظتى اللاذقية و طرطوس بحدودهما الإدارية الحالية.

هذا الواقع الجديد، فرض نفسه علينا، و ألزمنا التكييف معه فى هذه الدراسة، و جعلها بالنسبة إلى دور الإنبعاث، و الدور الحالى، مقتصرة على شيعة الساحل السورى بحدوده الجغرافية اليوم لاختلاف الحال سياسيا و جغرافيا بين الماضى و الحاضر.

و أول ما ينبغى قوله: إن الإسم الذى يطلق على الشيعة فى الساحل السورى و جبال اللاذقية، هو «العلويون» من دون تفريق ما بينهم و بين الفرقة الشيعية الباطنية التى تقطن فى الأماكن ذاتها و تحمل الإسم نفسه.

و السبب فى ذلك يعود إلى أمرين:

الأول: إن الشيعة، كما بينا، كانوا يعرفون فى بعض العصور بالعلوية.

و العلويون فى كتاباتهم يقولون ان التسمية الشيعى و العلوى تشير إلى مدلول و إلى فئة واحدة هى الفئة الجعفرية الإمامية الإثنا عشرية[۲۰۸] ...

الثانى: بعد الحملة الكسروانية، ارتحل من بقى من الشيعة

---

[۲۰۷] عثمان، هاشم، تاريخ التشيع فى ساحل بلاد الشمالى، ۱جلد، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات – بيروت، چاپ: اول، ۱۴۱۴ ه.ق.

[۲۰۸] ( ۱) العلويون شيعة أهل البيت دار الصادق بيروت ۱۳۹۲/ ه، ص ۲۷.

الذين نجوا من المذبحة، إلى الشمال، إلى جهات اللاذقية و انطاكية، و انحصروا فى جبالها[۲۰۹] و اختلطوا مع الفرقة الباطنية التى تسكن هذه المناطق و حملوا اسمها.

و قد تنبه إلى هذا الواقع الاستاذ محمد المجذوب فى مقاله «السنة و الشيعة» الذى قال فيه:

«و لقد يكون هناك مجال للإعتراض بما هو محسوس لا مندوحة عن الإعتراف به من شذوذ عن وضح الجادة بما يتعلق بالفكرة الإسلامية بين بعض جماعات هذا الجبل، و ذلك مما علق بهذه العقيدة من أثر الجهل و من أثر بعض الأفكار الفلسفية الغربية التى انتهت بها إلى ما نتلمسه من فكرة التجسيم و التحول الدخيلة على حقيقة الإسلام من النزعات الباطنية ..... إلا أنه من الظلم المحض أن نشرك جميع عناصر و طوائف الجبل بهذه التهمة و ألّا نفرق بين أصحابها و غيرهم»[۲۱۰] ..

و ما نقصده فى حديثنا عن العلويين، هنا، الفئة القليلة، البريئة من الغلو التى تعلن فى كل مناسبة عن تمسكها بمذهب آل البيت عليهم السّلام فى كتاباتها و أشعارها و مواقفها الدينية.

كانت شيعة جبال اللاذقية، و غيرهم من العلويين، طيلة العهد العثمانى الذى استمر أربعة قرون مضطهدين أشد الإضطهاد، منعت عنهم الوظائف الحكومية حتى الصغيرة منها، التى لا تتطلب شيئا من العلم و الكتابة. و كانوا دوما عرضة للإمتهان من رجال الحكم و الزعماء من أهل المدن، فإذا جاء واحد منهم إلى المدينة لم يسمح له بدخول مساجدها و جوامعها ....



كانوا على وجه العموم محرومين من العلم و الحرية و الكرامة[۲۱۱] و هذا ما جعلهم يعيشون فى عزلة شبه تامة، بعيدين كل البعد عن مراقى العلم و التطور. و قد دامت هذه العزلة زمنا طويلا جدا جدا، ثم بدأت بوادر اليقظة تظهر فى المنطقة الجنوبية، منطقة طرطوس، و بصورة خاصة فى قرى بيت الحاج، و بيت الشيخ يونس، و تلة الطليعى، و ضهر بشير.

و قد أرجع الشيخ عبد الرحمن الخير أسباب النهضة فى الجنوب إلى أسباب اجتماعية أهمها أن القسم الجنوبى كان متعرضا أكثر من القسم الشمالى للإحتكاك مع البلدان المجاورة، و مع الحكومة يومئذ و لهذا التعرض سبب هو أن مركز الحكومة فى قضاء صافيتا كان فى الدريكيش قلب البلاد الجنوبية، و سكان هذه القصبة هم مسلمون علويون أى من نفس الأكثرية الساحقة فى سكان القضاء، فكان ابن قرى صافيتا لا يجازف بكرامته الشخصية إذا حضر إلى مركز الحكومة ...

أما القسم الشمالى فقد كاد أن يكون فى ما مضى بشبه عزلة تامة عن البلدان المجاورة، و عن الحكومة، لأن مركز السلطة فيها كلها فى المدن الساحلية، ما عدا مركز صهيون- بابنا.

فكان ابن القرية عندما تضطره المصالح إلى زيارة مراكز الحكومة يعرض كرامته الشخصية و المذهبية إلى الهوان[۲۱۲].

---

[۲۰۹] ( ۱) عيسى اسكندر المعلوف- دوانى القطوف ص ۱۵۸.

[۲۱۰] ( ۲) محمد المجذوب- مجلة النهضة- العدد ۱ تشرين الثانى ۱۹۳۷.

[۲۱۱] ( ۱) يوسف الحكيم- سورية و العهد العثمانى- المطبعة الكاثوليكية بيروت ۱۹۶۶، ص ۷۰.

قد يكون هذا السبب، من جملة أسباب النهضة، لكنه ليس أهمها. و الأهم هو قرب المنطقة الجنوبية من طرابلس مقر المتصرفية، و الروابط الوثيقة التى كانت تربط المنطقة الجنوبية بطرابلس،

ص: ١٢٤

و طرابلس، كانت على مر التاريخ، مركزا حضاريا و ثقافيا مهما بمدارسها و مراكزها الثقافية.

و ثم هناك المدارس التى أنشأها المرسلون الأجانب فى صافيتا، و أساتذة هذه المدارس و على رأسهم الدكتور يعقوب صروف و الخواجا حنا سعادة.

هذه الأسباب مجتمعة نفخت فى نار النهضة فضرمتها.

أما فى الشمال، منطقة اللاذقية، فيعود الفضل فى النهضة التى عرفتها هذه المنطقة، إلى ضيا بک متصرف اللاذقية الذى حكم فى الفترة من ١٨٨٥ إلى ١٨٩٢/ م. و تميز حكمه بالإستبداد مع الحزم و النزاهة و العطف على العلويين.

و قد هال هذا المتصرف ما يحيق بالعلويين من ظلم و إهمال و عدم المساواة بينهم و بين باقى سكان منطقة اللاذقية، فكتب إلى السلطان عبد الحميد، و كان له عليه حق خدمته فى صغره، إن هذا الشعب يميل بعواطفه إلى دولة إيران الشيعية المذهب، نظرا لما يلاقيه من ظلم و استبداد من مواطنيه و الحكومة معا. فإذا ضمنت له حريته و كرامته، قبل الدعوة إلى سنة الإسلام فوافقه السلطان على اقتراحه، فأخذ يعيد إلى العلويين قراهم المغصوبة، و يعين شيوخهم و وجهاءهم فى الوظائف التمثيلية كأعضاء المجالس الإدارية و المحاكم، كما عين الاميين منهم أفرادا فى الدرک و بنى لهم المدارس و المساجد فى كل قرية كبيرة، فسادهم الإطمئنان فى الحياة.

و لم يرض و جهاء المدينة عن تصرف ضيا بک، و عطفه على العلويين و اهتمامه بأحوالهم، و إعادته إليهم قراهم المغصوبة، و أخذه بأيديهم إلى مراقى العلم و التطور، فكتبوا إلى والى بيروت يتهمونه بالإستبداد فى الإدارة، طالبين نقله إلى مكان آخر. و قام والى بيروت برفع الشكوى إلى وزارة الداخلية. لكن عندما عرض الوزراء اقتراح وزير الداخلية بنقل ضيا بک، على السلطان عبد الحميد، أجابهم السلطان قائلا: انكم تعلمون كل شىء فى السلطة و أنا أقركم على

ص: ١٢٥

أعمالكم، فاتركوا لى ضيائى الوحيد بين الحكام، فانصاعوا للأمر[٢١٣].

و من سوء الحظ أن ضيا بک توفى بعد مدة قصيرة من توليه متصرفية اللاذقية، ١٨٩٢/ م، و كانت وفاته خسارة كبرى لا تعوض، و ضربة قاسية لحركة النهضة فى منطقة اللاذقية، لأن الحكام الذين جاؤا بعده، عادوا إلى سيرة أسلافهم. الأمر الذى أعاد العلويين إلى العزلة و التقوقع من جديد.

---

[٢١٢] ( ٢) مجلة النهضة – طرطوس العدد ٥ نيسان ١٩٣٨.

[٢١٣] ( ١) يوسف الحكيم – سورية و العهد العثمانى ص ٨٩.

و تجدر الإشارة، إلى أن النهضة التى عرفتها منطقة الساحل السورى، سارت فى اتجاهين: دينى و أدبى.

### أولا: الاتجاه الدينى:

بداية نقول: انه نتيجة لحياة العزلة و الإنزواء فى الجبال، و البعد كل البعد عن كل مصدر من مصادر العلم و الحضارة، عاش العلويون فى حالة شلل تامة مما سمح للخرافات و الإعتقادات الشاذة أن تعشش فى عقول الكثيرين منهم. فضلا عن الإستهانة بشعائر الإسلام.

لذلك، وجدنا رواد النهضة، وجلهم من المشائخ، يصرفون جهودهم إلى إنتشال الشعب من وهدة الجهل و العودة به إلى النهج القويم، و النبع الصافى.

و دارت جهودهم و نشاطاتهم حول الأمور التالية:

### - الإهتمام ببناء المساجد.

و أول مسجد بنى، كان بهمة و جهود المرحوم الشيخ عبد العال المعروف بالحاج معلا. و كان هذا الشيخ قصد سنة ١٢٥٤/ ه- ١٨٤٦/ م البيت الحرام لاداء فريضة الحج، و فى عودته عرج على مصر و استحصل على اذن ببناء مسجد فى قريته، قرية بيت الحاج من أعمال

ص: ١٢٦

طرطوس. و قام بالإمامة فيه مدة عشرين سنة[٢١٤].

و اقتداء بالشيخ عبد العال، قام الشيخان غانم ياسين و عبد الحميد أفندى ببناء جامع فى قرية بيت الشيخ يونس- صافيتا- و لم يتماه، فأتمه الشيخان ياسين يونس و سليم الغانم فى سنة ١٢٨٦/ ه- ١٨٧٩/ م- ثم ظهر مسجد ثالث، مسجد الخضر، فى قرية تلة الطليعى- صافيتا- و رابع فى قرية ضهر بشير- صافيتا- و خامس فى الشيخ بدر- من أعمال طرطوس.

و كانت تقام فى هذه الجوامع الصلوات فى الأعياد و الجمعات، و فى أغلب الأوقات اليومية[٢١٥] هذا فى المنطقة الجنوبية.

أما فى المنطقة الشمالية، فقد بنى ضيا بک، متصرف اللاذقية، المساجد فى كل قرية كبيرة.

### - محاربة الخرافات و العادات الدخيلة.

و التى أصبحت بسبب الجهل، و الإنزواء فى الجبال شعائر مذهبية. من ذلک مثلا انستر فى إقامة الصلاة، و الكسب بالإستجداء تحت اسم الزكاة. و غير ذلک ....

---

[٢١٤] ( ١) مجلة النهضة- العدد ٤ آذار ١٩٣٨.

[٢١٥] ( ٢) المرجع السابق.

– محاربة التفرقة العشائرية.

– نشر العلم، و إقامة السنة الشريفة، و التشدد فی إقامة الصلاة لأوقاتها و صيام رمضان و الحج. و قد اشتهر فی ذلک کل من الحاج معلا و الشيخ غانم ياسين و الشيخ عبد الحميد أفندی و الشيخ يونس ياسين و الشيخ عباس جابر، و الشيخ إبراهيم مرهج و الشيخ عمران الزاوی و الشيخ عبد اللّه الخير و الشيخ محمد سلمان المزارع، و غيرهم .....

و تعد أعمال هؤلاء الرواد مفخرة للأجيال القادمة، و مثالا يحتذی.

ص: ۱۲۷

و مما يسجل لهؤلاء الرواد بمداد الفخر، أنهم هيّجوا نفوس الكثيرين من الشباب المتنور، و دفعوهم إلی الخروج من حالة الصمت، مما سمح لنا أن نسمع لأول مرة فی تاريخ هذه المنطقة من يتحدث علنا، و بصراحة تامة، عن حقيقة العلويين، و يكتب مجاهرا بعقيدته. فی مذكرات سياسية رفعت إلی المسؤولين الحكوميين من فرنسيين و وطنيين. و فی مقالات خاصة القصد منها جلاء الظلام عن حقيقة معتقد العلويين. و تاريخهم.

جاء فی إحدی المذكرات التی رفعها العلويون إلی المفوض السامی الفرنسی بتاريخ ۱۱ شباط ۱۹۳۶ «إننا نعتبر أنفسنا مسلمين قبل أن نكون علويين»[۲۱۶].

و فی مذكرة أخری إلی وزارة الخارجية الفرنسية مؤرخة فی ۲۷ تموز ۱۹۳۶ جاء ما يلی: «ان العلويين شيعة مسلمون و قد برهنوا طوال تاريخهم عن امتناعهم عن قبول كل دعوة من شأنها تحوير عقيدتهم، فهم يحتفظون بالعقيدة الشيعية الإسلامية».

و منها أيضا: «فالدين الإسلامی شرط التزامی للإنتساب للعلويين، و التشيع لعلی بن أبی طالب كرم اللّه وجهه»[۲۱۷].

أما المقالات فكانت أكثر شمولية، من ذلک ما كتبه المرحوم الدكتور وجيه محيی الدين.

«إن من يمعن النظر فی طقوس العلويين الدينية، و فی آرائهم و اتجاههم الدينی يدرک أنهم شيعة يعتبرون عليا رئيسهم الأعلی مفضّلينه علی كل عربی بعد محمد صلّی اللّه عليه و اله و سلّم مؤتّمين بإمامته و إمامة بنيه و أحفاده بعده مبتدئين بالحسن و الحسين و منتهين بالإمام محمد بن الحسن

ص: ۱۲۸

الحجة ..... و إن تعاليمهم الدينية مستمدة من إرشاداتهم، و أحكامهم الشرعية مأخوذة عن تعاليمهم و خصوصا الإمام الكبير جعفر بن محمد الباقر الملقب بالصادق، نابذين ما نبذوه محللين ما حللوه، محرمين ما حرموه، فهم و الحالة هذه شيعة متمسكون بجميع طقوسها و متعصبون لمبادئها»[۲۱۸]

---

[۲۱۶] ( ۱) كتابنا المخطوط تاريخ الساحل السياسی( قيد الطبع).

[۲۱۷] ( ۲) المرجع السابق.

و بنفس المعنى كتب الشيخ محمد ياسين، ما نصّه:

«.... توالى العلويون بعد أمير المؤمنين، الأئمة من الإمام الحسن المجتبى إلى المهدى صاحب الزمان، و بذلک سموا إماميين، و بتقليدهم الإمام جعفر الصادق عليه السّلام سادس الأئمة فى أحكام الصلاة و الفقه سموا جعفريين، فهم مسلمون علويون اماميون جعفريون فى وقت واحد»[٢١٩].

و مما قاله أيضا:

«و قد منى اخواننا الشيعة فى جبل عامل و العراق بمثل ما منينا به من التهم إلا أنهم نطقوا و سكتنا، و شجعوا وجبنا، و جدوا و كسلنا، فإذا هم فى أعلى الذروة و إذا نحن فى أسفل الهوة»[٢٢٠].

و كان الشيخ محمد ياسين، فى غاية الصراحة، و هو يتحدث عن تقصير العلويين فى التمسک بشعائر الدين، و برر هذا التقصير بما يلى:

«لم يسبقونا فى شىء إلا اثنين .. بناء المساجد و حج البيت.

و للعلويين بعض العذر فى هذين أما عذرهم فى الأول فهو أنهم أصحاب قرى فقراء و أكثرهم عاملون و أعمالهم خارج القرى فلا يمكن لأحدهم أن يترک عمله و يأتى المسجد كلما حان وقت الصلاة فيصلى حيث يكون، معتقدا أن الأرض للّه و أن اللّه يقبل صلاته أينما كان، و من كان فى



القرية من الكهول و الشيوخ صلى فى بيته و قد يجتمعون فى أغلب الأحيان و لا سيما فى شهر رمضان عند من يثقون به من زعماء الدين و يصلون خلفه. فكل محل عندهم مسجد متى كان نظيفا، و هذا العذر و إن كان مقبولا من أكثر نواحيه فإنه لا ينفى وجوب بناء مسجد فى كل قرية يصلى فيها أهلها العاملون أثناء فراغهم و المتفرغون فى كل وقت، و أن إهمالهم هذا الواجب خطأ و تقصير قبيح نرجو أن ينتبهوا وشيكا إلى تداركه و التخلص منه ...

أما عذرهم فى الثانى، فهو أنّ أكثرهم فقراء و الحج يحتاج إلى سعة واسعة فيندر بينهم من يقدر أن يقوم بنفقات الحج و هم يرون أن تركه مع تقوى اللّه لا يضر و أن أداءه مع معصية اللّه لا ينفع .... و إن كل هذه التعليلات لا تسقط عن المستطيع وجوب الحج .....

و عسى أن يهتم هذا الشعب بهذين الواجبين فيبنى المساجد و يؤدى موسروه فريضة الحج فيكون قد سد هذا الخلل و ماثل إخوانه المسلمين من سائر الجهات فلا يعير بعد بنقص و لا يعاب عن تقصير»[٢٢١].

---

[٢١٨] ( ١) النهضة – العدد ٨ تموز ١٩٣٨.

[٢١٩] ( ٢) المرجع السابق.

[٢٢٠] ( ٣) المرجع السابق – العدد ٩ آب ١٩٣٨.

و بنفس المعنى كتب أحمد سلمان إبراهيم:

«طعنونا فى الصميم، و قولونا ما لم نقل، و نسبوا الينا الزيغ و الضلال، و اتهمونا بالمروق عن الإسلام و لم يجيزوا الرجوع ليستلزم القتل .. فى حين أننا ما كنا و لن نكون- بحمد اللّه- إلا على جادة الهدى و ما نحن من الإسلام إلا كالأصل من الفرع ..... ..... فيا ترى هل الإسلام الاشهادة أن لا إله إلا اللّه و أن محمدا رسوله و نبيه و التمسک و الإعتصام بأوامره و نواهيه، و القيام بما افترضه علينا من الحدود الخمس و هى الصلاة و الصوم و الحج و الزكاة و الجهاد، أليس الإيمان بمحمد و القرآن هو عين الإسلام.

ص: ١٣٠

نحن نقول بصدق و إخلاص أن كل علوى يؤمن بهذا الإيمان و يقر به فى السر و العلن، و يتبرأ إلى اللّه من كل ما ينعته به أهل الزور و البهتان ....

و أما القول فى أن العلويين، ينقصهم القيام بمراسم الإسلام، فهذا نقص يشعر به العلويون قبل غيرهم، و كم هو ألم مفكريهم شديدا لهذا النقص، و لكن الشلل الإجتماعى الذى أصاب العلويين بسبب ما انتابهم فى ماضيهم من ويلات و نكبات، دب فى قلوبهم اليأس»[٢٢٢] ....

هذه الكتابات، التى كان رواد النهضة سببا فى ظهورها، أثارت ضجة كبيرة فى الأوساط العامة و خاصة لدى شيعة النجف و كربلاء، و هذا ما عبرت عنه رسالة السيد تقى المصعبى من طف كربلاء إلى الدكتور وجيه محيى الدين، صاحب مجلة (النهضة) التى نشرت تلک الكتابات، و هذا نص الرسالة: «كنت أعتقد و اخوانى الشيعة بأن العلويين هم طائفة غير مسلمة تؤمن بألوهية مولانا أمير المؤمنين على عليه الصلاة و السلام، و تعبده، أو كما نحن نسميهم «على الهية» حتى وصلت إلينا بعض اعداد النهضة الغراء فكم كان استغرابى عظيما و كم فرحت و سررت حيث بانت لى الحقيقة و علمت بأن العلويين هم شيعة اماميون إثنى عشريون مثلنا، شديدو التمسک بعلى عليه السّلام و آله يسيرون على نهجهم و يرجعون فى الفقه و أمور دينهم إلى الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السّلام. و بعد هذا أليس عجيبا أن نجهل حقيقة إخواننا العلويين، و أعجب أيضا تلک الظنون و نعتقد بما قد رماهم به أعداؤهم و خصومهم و لكن الذنب يعود إلى أمرين:

أولا: لأن العلويين كانوا يكتمون معتقداتهم و ذلک أثر الإضطهادات و المظالم التى لاقوها فى العصور الغابرة.

ص: ١٣١

ثانيا: عدم وجود المؤلفات و النشريات و الصحف التى تعالج مثل هذه المواضيع و تكون واسطة للإتصال بين مختلف الأقطار، و الآن و الحمد للّه و قد أنجبت بلاد العلويين شبابا مثقفا عاملا قد خرج من عزلته و هو عارف واجبه. هذه كلمة

---

[٢٢١] ( ١) المرجع السابق.

[٢٢٢] ( ١) المرجع السابق.

أرسلها من طف كربلاء إلى إخوانى العلويين فى الجبال و السواحل. ولى وطيد الأمل بأن النهضة الغراء ستقوم بالتعارف و التقارب و الإتصال بيننا و بين الشباب العلويين الأعزاء الكرام»[۲۲۳].

و كان من ثمرات النهضة الدينية، أيضا: الفتاوى التى أصدرها عدد من مشايخ العلويين، تظهر تمسكهم بمذهب آل البيت.

و قد جاء فى إحدى هذه الفتاوى[۲۲۴]:

«إن مذهبنا فى الإسلام هو مذهب الإمام جعفر الصادق و الأئمة الطيبين الطاهرين عليهم السّلام سالكين بذلک ما أمرنا به خاتم النبيين سيدنا محمد ابن عبد اللّه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم حيث يقول: «إنى تارک فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى أحدهما أعظم أجرا من الآخر كتاب اللّه حبل ممدود من السماء إلى الأرض و عترتى أهل بيتى و لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض، فانظروا كيف تخلفونى فيهما «هذه عقيدتنا نحن العلويين أهل التوحيد و فى هذا كفاية لقوم يعقلون».

۹ جمادى الآخرة ۱۳۵۷

و فى فتوى أخرى: «إن المسلمين العلويين باجماعهم يعلنون فى الدنيا و الآخرة أنهم على شهادة أن لا إله إلا اللّه و أن محمدا عبده و رسوله شهادة حتى و صدق فمن آمن منهم بالشهادتين و الوحدانية فهو منهم، و من جحدها فهو غريب عنهم كافر بهم و من يتخذ من أتباع

ص: ۱۳۲

المسلمين العلويين مذهب الإمام جعفر الصادق عليه السّلام سببا لإبعادهم عن الدين الإسلامى الحنيف نعتبره بدعواه جاحدا للحق ناكرا للصدق عاملا على الباطل بالباطل و للباطل».

صافيتا فى ۳ آب سنة ۱۹۳۸

لكن بالرغم من كل ذلک، فإن هذه الخطوات الهامة، لم تكن ذات تأثير كبير فى المجتمع لجملة من الأسباب، أهمها:

أولا: حالة الجهل المستشرية، الراسخة الجذور.

ثانيا: عمليات التبشير التى كانت تقوم بها المدارس التابعة للإرساليات الدينية الأجنبية. و قد أثار التبشير المسيحى ردات فعل قوية لدى رجالات العلويين، و هذا ما عبرت عنه المذكرة التى رفعها عدد من مفكرى العلويين إلى وزارة الخارجية الفرنسية فى ۲۷ تموز سنة ۱۹۳۶ و جاء فيها:

---

[۲۲۳] ( ۱) المرجع السابق.

[۲۲۴] ( ۲) الشرف عبد اللّه آل علوى الحسنى- تحت راية لا إله إلا اللّه مطبعة الإرشاد- اللاذقية ۱۹۳۸.

«إن العلويين شيعة مسلمون، و قد برهنوا طوال تاريخهم عن امتناعهم عن قبول كل دعوة من شأنها تحوير عقيدتهم، فهم يحتفظون بالعقيدة الشيعية الإسلامية.

و كأن الصدف يا معالى الوزير ساقت تبشير الآباء اليسوعيين إلى جبالنا و أخذ هذا التبشير يتسرب إليها منذ عام ١٩٣٠، و من المفيد إحاطة معاليكم علما أن الكثيرين من الموظفين الفرنسيين الإداريين يرون بعين الإرتياح أعمال الآباء اليسوعيين، و بعدة مناسبات منذ عام ١٩٣٠ استلفتنا نظر السلطات العليا فى باريس و بيروت إلى هذه الحوادث التبشيرية التى تكون معذورة لو أن الدافع لها اليقين و الإيمان، إلا أن الشىء المشين فى هذه الحوادث، و هنا موضع استيائنا، و علة احتجاجنا هو استثمار و استغلال فاقة شعب فقير و شراء ضمائر ضعيفة كما تشرى السلع لتمرق من دين إلى دين آخر».

ثالثا: محاربة المشايخ لهذه الخطوات الإصلاحية، التى رأوا



فيها خطرا على مراكزهم و مصالحهم و نفوذهم.

و كان من المنتظر أن تلاقى هذه الخطوات الإصلاحية الرائدة ردات فعل قوية، خاصة و أنّ النفوس لم تكن مهيئة للتخلى فورا و مرة واحدة عن مخلفات أربعة قرون من الجهل. و هذا ما أدى إلى نشوب صراع ضار بين الشباب المتنّورين من جهة، و بين المشايخ المتزمتين، المعادين لكل تطور و إصلاح لأن فيه القضاء على نفوذهم و مصالحهم و الفوائد المادية الكثيرة التى يجنونها من وراء ذلک و أول من أشار إلى هذا الصراع عبد الرحمن الخير بقوله:

«قامت شبه حركة عداء بين المتجددين، و نعنى بهم النابهين من طلاب المدارس الثانوية و العالية و من بعض المتعلمين، على الشيوخ العلويين، و بين المحافظين، و نعنى بهم جمهور المشايخ من المتشيعين بالتقليد، و بعض من الشباب الدارسين على الأساتذة العلويين، رجال اليقظة الأولى، فقد أنكر المحافظون على المتجددين أمور نرتبها بحسب أهميتها كما يلى:

١- تقديم دراسة العلوم العصرية على دراسة العلوم الدينية و انشغال بعضهم من أبناء المشايخ بالأدب و السياسة بدلا من التخصص للتعبد و دراسة الآداب الدينية.

٢- انتقاد بعض رجال الدين و محاولة هدم بعض العادات المألوفة.

٣- خروج البعض على الأخلاق و ارتكابهم بعض المكروهات العرفية.

۴- نظم الشعر العاطفى بدلا من الشعر الدينى.

۵- تقليد الأجانب بالأزياء و العادات.

و أنكر المجددون على المحافظين أمورا منها:

١- إغفالهم دراسة العلوم اكتفاء بالفقه المذهبى، و رغبتهم عن كل الأعمال الإجتماعية و السياسية تواكلا على القدر الإلهى.

٢- عدم تنظيم الأعمال الدينية بالضرب على يد كل منتم إلى المشيخة و هو لا يفهم منها شيئا أو لا يتقن عمله فيها.

٣- مبالغتهم فى التقليد لكل مأثور سواء قل حسنه أو بان عدم ملائمته للزمان و المكان.

۴- تسرعهم فى الحكم على الظواهر و الفلتات و تعميم التهمة إذا عرض من البعض ما يدعو إليها.

۵- تعمد العزلة و التقشف بشكل يجعل مظهرهم مستهجنا.

و تطرف بعض الشيوخ فى التحمس فرمى كثيرا من المجددين بالمروق من الدين، و قابله بمثل تطرفه بعض المتجددين فأعلن عدم صلاح نفر عديد من المحافظين، ورمى هذا النفر بسوء النية. و التآكل فى الدين و الإنطواء على غير ما يتظاهر به من تدعى و تقوى»[٢٢٥].

و فى الحقيقة، كان هذا الصراع فى جوهره، صراعا بين تيارين مختلفين متناقضين:

الأول: التيار الظاهر المتمسک بمذهب آل البيت عليهم السّلام.

الثانى: التيار الباطنى المترسّخ الجذور الذى يهمل العمل بالفرائض.

صحيح أن عبد الرحمن الخير لم يقل ذلک صراحة، لكن هذا ما يستنتج من كلامه لدى التأمل فيه بإمعان.

و هذا الصراع، ما زال على أشده بين هذين التيارين إلى يومنا هذا.

ص: ١٣۵

## ثانيا: الاتجاه الأدبى:

لئن كانت النهضة الدينية بدأت فى عام ١٨۴۶/ م و ما بعدها، فإن النهضة الأدبية تأخرت عنها كثيرا.

و هناک عدة عوامل لعبت دورا أساسيا، و هاما، فى النهضة الأدبية. هى:

* انتشار التعليم.

* مجلة العرفان و صاحبها المرحوم أحمد عارف الزين.

* ظهور الصحف و المجلات الأدبية فى الساحل السورى.

---

[٢٢٥] ( ١) النهضة- العدد ٨ تموز ١٩٣٨.

(أ) انتشار التعليم:

لم يكن فى جبال اللاذقية طوال العهد التركى، مدارس بالمفهوم العام للمدارس. و كان التعليم يتم على الطريقة القديمة، أى ما يسمى «تحت السنديانة» حيث يقوم الشيخ بتعليم الأولاد قراءة القرآن و تجويده و مبادىء النحو و اللغة.

و كانت كتب الدراسة مقتصرة على كتاب اللّه الكريم، و على الاجرومية و ألفية ابن مالک.

و كان إذا برز شيخ من الشيوخ فى جانب معين من العلم، فى قرية من القرى، هرع إليه طلاب العلم من كل حدب و صوب ليأخذوا عنه و ينالوا شرف العلم على يديه.

و عندما تولى ضيا بک متصرفية اللاذقية، اهتم ببناء المدارس فى القرى الكبيرة، لكن خطواته هذه توقفت بوفاته سنة ١٨٩٢/ م.

و لما احتل الفرنسيون البلاد سنة ١٩٢٠/ م، اهتموا اهتماما كبيرا بالعلم، و توسعوا فى بناء المدارس الإبتدائية و الثانوية، للجنسين

ص: ١٣۶

الذكور و الإناث، فى جميع أقضية الساحل السورى.

و كان بعض هذه المدارس تابعا للإرساليات الدينية الأجنبية:

– اليسوعيون فى حابا و برج صافيتا و جنينة رسلان.

– الروم الكاثوليک فى صافيتا و مرمريتا.

– الموارنة فى البياضة.

– البروتستانت فى بحمرا و بغجغاز.

و غيرها .....

و على الرغم من أن الغاية الحقيقية للمدارس الأجنبية، هى التبشير الدينى، فإنها عملت على تخريج أجيال من المثقفين المتنورين الذين ساهموا بشكل أو بآخر فى النهضة الأدبية، فى الساحل السورى.

(ب) مجلة العرفان:

و فى حديثنا عن النهضة الأدبية التى عرفها الساحل السورى، لا نستطيع أن نتجاهل الدور الكبير و الفعال الذى قامت به مجلة العرفان و صاحبها المرحوم المغفور له أحمد عارف الزين.

و كان رحمه اللّه، شديد الحب للعلويين يطلق عليهم إسم إخواننا.

و كانت تربطه صداقة حميمة بالعديد من مشايخهم و رجالاتهم.

و كثيرا ما زار اللاذقية، و الساحل السورى و بعض القرى و اتصل بالمشايخ و أقام معهم الحوارات و المناقشات. كما أنه فتح صدر مجلته لمثقفيهم و أدبائهم.

و كانت العرفان أول مجلة تنشر لأدباء من الساحل السورى و جبال اللاذقية. و من على صفحاتها طارت شهرة البعض منهم شرقا و مغربا.

ص: ١٣٧

و ممن نشرت لهم العرفان: الشيخ العلامة سليمان الأحمد، الشيخ إبراهيم عبد اللطيف، الشيخ يوسف إبراهيم، بدوى الجبل، فتاة غسان، ابنة العلامة المرحوم الشيخ سليمان الأحمد و شقيقة الشاعر بدوى الجبل، يونس إبراهيم رمضان، هاجر أحمد رمضان، عبد الرحمن إبراهيم، أحمد محمد حيدر، أحمد سعيد .....

و غيرهم .....

و لا نبالغ إذا قلنا: إن الدور الذى لعبته العرفان فى النهضة الأدبية التى عرفها الساحل السورى، فاق فى أهميته دور المدارس و معاهد التعليم، لأنها كانت مدرسة متنقلة. و تلى العرفان فى الأهمية، مجلة [الأمالى] للمرحوم الدكتور عمر فروخ[٢٢٦] التى أفسحت المجال أمام أدباء العلويين لينشطوا و يبرزوا.

و من الذين نشرت لهم [الأمالى] سليمان أحمد معروف، على محمد منصور، على حسين حرفوش، مجيد خيربک، محمود صالح، فتاة غسان، إبراهيم صالح معروف، على محمد معروف، معلى أحمد غنام، حامد حسن، و غيرهم .....

## (ج) ظهور الصحف و المجلات فى الساحل السورى:

لعبت الصحف و المجلات التى صدرت فى اللاذقية، و بعض مدن الساحل السورى، و خاصة منها الصحف و المجلات التى أصدرها علويون متنورون، دورا فعالا فى النهضة الأدبية التى عرفها الساحل السورى و كانت مجلة [العلوى] أول صحيفة يصدرها علوى فى الساحل السورى، و أيضا أول مجلة عرفها الساحل.

ص: ١٣٨

---

[٢٢٦] ( ١) الأمالى – مجلة اسبوعية تبحث فى الثقافة، أصدرها كل من الدكتور عمر فروخ و محمد على الحومانى و الدكتور محمد خير النويرى و عارف أبو شقرا، صدرت يوم الجمعة ٧ رجب ١٣٥٧ و ٢ أيلول ١٩٣٨، و كانت فى زمنها من أحسن المجلات الثقافية، لعبت دورا هاما فى ساحة الفكر و الأدب فى أواخر الثلاثينات ..

صدرت العلوى باللغتين العربية و الفرنسية، فى ١٥ أيلول ١٩٢٣ لصاحبها مصرى زاده برهان الدين بک. و هو من كرام العائلات العلوية فى لواء الاسكندرون، و كان مثقفا ثقافة عالية جاء إلى اللاذقية فى مطالع العشرينات، و أصدر المجلة بالإتفاق مع الأديب عبد الكريم الخير، و هو من رجالات الوطنية و التعليم و الأدب.

كانت المجلة «سياسية أدبية اقتصادية» تصدر مرتين فى الشهر.

عدد صفحاتها (٢٤) صفحة منها (١٦) صفحة باللغة العربية يحررها عبد الكريم الخير، و (٨) صفحات باللغة الفرنسية يحررها برهان الدين مصرى.

و أبواب المجلة هى: الأدبيات – السياسيات – أخبار نصف الشهر – الكلمة الأولى.

لم تعمر هذه المجلة طويلا، و ما صدر منها لا يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة. لذا كان دورها فى النهضة الأدبية محدودا جدا.

❊ الصدى العلوى – صوت الحق:

تعتبر صوت الحق امتدادا لجريدة الصدى العلوى المحتجبة.

صدرت فى ١١ آب ١٩٣٨.

صاحبا الجريدة عابد جمال الدين و عبد اللطيف يونس. المدير المسؤول عابد جمال الدين و رئيس التحرير عبد اللطيف يونس.

و عندما صدرت، وجه إليها الشيخ عبد اللطيف سعود القصيدة التالية:

ايه (صوت الحق) اسمع أمة — كان فى أسماعها شبه الصمم

اسمع الشعب أهازيج العلى — و أغانى المجد فى أشهى نغم

هات حدثه عن الماضى الذى — كان فيه ذا اباء و شمم



قل له: ضيعت مجدا تالدا — فاقرع السن عليه من ندم

| | |
|---|---|
| و اعمل الآن على ارجاعه | و استتر بالعلم فى هذى الظلم |
| كم أناس ضيعوا مجدهم | و أناس أوجدوه من عدم |
| سنة الكون و لكن هل لكم | أن تكونوا وسطا بين الأمم |
| قد عجزتم أن تكونوا سادة | !أتكونون لمن سادوا خدم؟ |
| و عييتم عن مساواة الورى | أفترضون مساواة النعم |
| ليس غير العلم يعلى شأنكم | فله حثوا المطايا و الهمم |
| فمبادى العلم كم شيدت لها | من مبان بينكم ذات قيم |
| هى من أولى المراقى للذى | رام أن يرقى من العلم القمم |
| فعليها نشؤكم فليعتمد | ليغذى العلم فيها من أمم |
| ... ثم اموا غيرها ان شئتم | أن تكونوا بعد شعبا يحترم |
| لا تضيعوا فرصة ننشدها | بمرارات شجون و ألم |

كانت الجريدة، فى البدء، تصدر يوم الخميس من كل اسبوع.

تعرضت الجريدة عند صدورها لانتقاد البعض، لذلک رأيناها ترد عليهم ردا عنيفا جاء فيه: «يطالعنا كل يوم باصدقاء أو متصادقين يكيلون لنا النقد بالقناطير و يفيضون علينا بالنصح طوفانا».

و هم فى كل هذا امّا جاهل أو متحامل، أو ذوى مأرب لم تشف غلته– ماذا يقولون و بم يتهمون .. انهم يتهموننا بأن هذه الجريدة ملتوية المبدأ غير مستقيمة السياسة تارة تصدر حكومية و أخرى معارضة و مرة ثالثة حيادية فلو أنها نهجت سبيلا واحدا– و لكن يا ويحهم أين هم عندئذ من الحق الذى جعلت هذه الجريدة صدى له و صوتا و أين هم من الإنصاف و الإستقامة المطبوعين فى نفس القائمين على هذه الجريدة– و كأنهم لا يعلمون أن هذا الإضطراب و الإلتواء من التواء أو رياء فى نفوس أصحابها و لكن نتيجة التواء الناس عن الحق تارة و اتباعهم إياه أخرى و نتيجة ظروفنا و أحوالنا السياسية التى نعترف بكل أسف أن فيها كثير من الشذوذ يحير المرء فيه عن طريقه القويم.

ص: ۱۴۰

إنا نريد أن نقول هنا بكل صراحة و مرة أخرى خطتنا ليزول كل شک من قلوب الأصدقاء المخلصين و لكى لا تحوم بعدها ريبة فى نفوسهم عن منهجنا و قوامه و لكى نصدع به الحسودين الغامزين، بأنّا حكوميون إلى أقصى حد كلما

عرضت قضية عامة و جهاد فى سبيل اعلاء كلمتها و انالتها حقوقها السياسية و الإقتصادية كاملة غير منقوصة و بكلمة مختصرة فإنا نظاهر الحكومة فى سياستها الخارجية و نضالها مع الأجنبى، و ما خلا ذلک فإنّا أحرار تمام الحرية غير مقيدين بأحد البتة لا نبخس الناس أشياءهم فإذا ما عملت الحكومة خيرا مدحنا و أطنبنا كيما نساهم بالتشجيع على كل خير و إذا ما عرض للشعب مطاليب حقة جهرنا بها غير هيابين و لا وجلين، و إذا ما تقاعسنا أحيانا عن شىء من ذلک فما هو إلّا بظاهر الأمر و إلّا لأنّا نعلم بأن دواعيه الأساسية سيئة و أنها حق كلمة يراد بها باطل إذ مع الأسف ان شعبنا الساذج يمتطى لمآرب عديدة تلبس ثياب الحق و فى باطنها السم الناقع.

أنا أول الغيورين على مصالح هذا الشعب و لن نطلب درسا من أحد فى ذلک، و أنا أول المحبين لهذا الدور الوطنى و المتمنين نجاحه و لن نطلب درسا من أحد فى كيفية نصرته و التفانى فى سبيلها و لو كان بزعمه من يستطيع أن ينصب نفسه منصب المعلّم، فليطمئن إخواننا الصادقين إلى جريدتهم التى لن تنهج إلا سبيل الحق و أمّا الآخرون فقد كفانا إياهم قول المتنبى يرحمه اللّه:

سوى وجع الحساد داء فإنه «إذا حل فى قلب فليس يحول»[۲۲۷]

كانت الجريدة تصدر يوم الخميس من كل اسبوع، و بقيت تصدر اسبوعيا مدة خمسة أشهر تقريبا، ثم أعلنت فى عددها رقم (۱۷) الصادر بتاريخ (۱۵) كانون الأول ۱۹۳۸ انها ستصدر مرتين فى الاسبوع ابتداء من أول السنة الجديدة (۱۹۳۹).

ص: ۱۴۱

كانت الجريدة توزع على نطاق واسع ضمن سورية و خارجها و خاصة فى المهجر الجنوبى حيث كان لها عدد كبير من المشتركين.

عاشت صوت الحق أكثر من سنتين ثم توقفت و كان توقفها خسارة لا تعوض.

* بعد العلوى، و الصدى العلوى، و صوت الحق، صدرت [المرشد العربى] للمرحوم الشريف عبد اللّه آل علوى الحسنى «مجلة تاريخية أدبية شهرية» شعارها ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّکَ بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ.

و هى من حيث المضمون «مولية وجهها نحو البحث عما يبين حقيقة الدين و يفند مزاعم المبطلين و يفضح دعاوى البدعيين و المحدثين متبسطة تبسطا لائقا بها فيما يهذب النفوس و يثقف العقول و يغذى الأفكار باحثة بدورها فى الأخلاق، و العادات، و الآداب، و التاريخ، و التراجم، و العلوم النظرية، و الإجتماعية».

[۲۲۷] ( ۱) لمزيد من الإطلاع على صحافة الساحل السورى راجع كتابنا الصحافة فى الساحل السورى.

صدرت المرشد العربی بتاریخ ۱۰ نیسان ۱۹۲۹/ م- ۱ ذو القعدة ۱۳۴۷ و هی ثالث مجلة فکریة ذات قیمة تصدر فی الساحل السوری بعد النور (۱۹۲۵) و التجدد (۱۹۲۷) و ثالث مجلة إسلامیة تصدر فی سوریة بعد الوحی (حماه/ ۱۹۲۶) و البعث (دمشق/ ۱۹۲۷).

و کانت أبواب المجلة فی غایة الغنی و التنوع، و هی:

القسم الدینی (دینیات)- القسم الإجتماعی (اجتماعیات)- القسم النسائی (نسائیات)- القسم الحقوقی (حقوقیات)- القسم الإقتصادی (اقتصادیات)- القسم التاریخی (تاریخیات)- القسم الأخلاقی (أخلاقیات)- القسم الأدبی (أدبیات)- فی عالم المطبوعات أو (المطبوعات الحدیثة).

أما کتاب المجلة، فکانوا من خیرة علماء و کتاب و مفکری العالمین الإسلامی و العربی فی ذلک الزمان کالعلامة الشیخ عبد المجید

ص: ۱۴۲

المغربی، و العلامة الشیخ عبد اللّه الدهلوی، و الشیخ عبد الکریم الدجیلی، و حافظ إبراهیم، و الشیخ عبد الصاحب الدجیلی، و الشیخ عبد الحمید السائح و الشیخ عبد المولی الطریحی، و الشیخ عبد المهدی الأعرجی، و الشیخ محسن المظفر، و الشیخ عبد القدوس الأنصاری، و الشیخ محمد رضا المظفری، و عبد الرزاق الحسنی، و عبد المجید الرافعی و عمر نجا ... و غیرهم .....

نعمت المرشد العربی بانتشار واسع تخطی حدود محافظة اللاذقیة، و حدود سوریة، و کانت توزع فی البلاد العربیة و الإسلامیة.

و هذا الإنتشار الواسع لم تعرفه أیة مجلة سوریة أخری.

لکن برغم هذا الإنتشار، فإن المجلة توقفت عن الصدور بعد سنتین من ظهورها بسبب المتاعب المادیة التی واجهتها[۲۲۸].

* بعد مرور أکثر من عام علی ظهور المرشد العربی، صدرت [الأمانی] لإبراهیم عثمان، فی مطلع شهر تشرین الأول سنة ۱۹۳۰/ م. و کان شعارها «إن أعمالک مرآة لک، فإذا أردت أن تعرف من أنت فانظر إلی أعمالک».

قدمت الأمانی نفسها للقارىء، و حددت خطتها بالکلمات التالیة: «لم تخلق للکسب المادی و لمس النفوس، و خطتها أن لا تتقدم بالزلفی و إیقاد البخور علی مذابح المقامات و أصحاب النفوذ کما أنها لم تخلق لتکون أداة للهدم و التحطیم و ستستمر علی الصدور بعونه تعالی ما دامت من جهود رفاق شارکونی فی مشروعها بدافع نشر الثقافة و الأدب، لا بدافع حب الظهور، و التطوح الأعمی و ستحمل علی صفحاتها صرخات الشباب الصاخبة لتحطیم الأغلال و محاربة الجمود، و حکمة الشیوخ المتروية الهادئة، فی جو بعید عن السیاسة و أسالیبها».

---

[۲۲۸] ( ۱) لمزید من المعلومات عن مجلة المرشد العربی، راجع مقالنا« المرشد العربی مجلة إسلامیة مجهولة» مجلة الثقافة الإسلامیة- دمشق العدد ۳۴ ت ۲- ک ۱ ۱۹۹۰.

تلألأت على صفحات الأمانى أسماء نخبة من أعلام الأدب و الفكر فى الساحل، و غيرهم من أدباء الوطن العربى، أمثال: العلامة الشيخ سليمان الأحمد، و ادوار مرقص، و بدوى الجبل، و فتاة غسان، و محمد رشاد رويحة، و نديم محمد، و منح هارون، و محمد حمدان الخير، و عبد اللطيف إبراهيم، و يوسف إبراهيم، و حكمت الشريف، و رئيف خورى، و أمين نخلة، و خليل شيبوب، و ايليا أبو ماضى، و محمد كامل شعيب العاملى، و غيرهم ....

و كان أهم ما نشرته الأمانى على صفحاتها، المآخذ و الإستدراكات التى سجلها العلامة الشيخ سليمان الأحمد على شرّاح ديوانى البحترى و أبى تمام، التى لم تعرف العربية مثيلا لها.

كما نشرت أيضا دراسته الفذة، الموجزة، عن رسالة الغفران للمعرى.

عاشت الأمانى ما يقرب من سنتين ثم توقفت بسبب العجز المادى، لأن طبع العدد الواحد كان يكلف عشر ليرات ذهبية، و هو مبلغ كبير جدا جدا فى ذلك الزمان.

و باحتجاب الأمانى فقد الساحل السورى مجلة أدبية راقية، كانت واسطة عقد صحف و مجلات الساحل السورى، و ما زال أدباء الساحل القدامى يذكرونها بألف خير و يثنون عليها ثناء حارا.

❊ بعد ست سنوات من احتجاب الأمانى، و على وجه الدقة فى شهر تشرين الثانى من عام ۱۹۳۷/ م، أصدر المرحوم الدكتور وجيه محيى الدين، بطرطوس، مجلته [النهضة] «شهرية تبحث فى الأدب و الإجتماع» و قد حاول أن يسد بها الفراغ الذى خلفته الأمانى باحتجابها.

كان مبدأ النهضة، كما عبرت عنه افتتاحية العدد الأول «الكفاح ضد الرجعية، و نبذ الطائفية الممقوتة و السير وراء المجد و السؤدد



بتضامن و إخلاص و بث روح التآلف و الاخاء بين مختلف أبناء هذا الشعب، فتكون هذه الصحيفة كمنبر يتبارى عليه كل من أعطاه اللّه نصيبا وافرا من حسن الذوق الأدبى و الثقافة العالية، و التضحية فى سبيل المثل العليا».

ظهر على صفحات المجلة أسماء كثيرة، منها ما كان معروفا و له حضوره الأدبى المميز، و منها من نزل إلى ساح الأدب لأول مرة، فسار خطواته الأولى على صفحات المجلة.

من الأدباء الذين نشرت لهم المجلة: حامد حسن، و محمود رمضان، و الدكتور وجيه محيى الدين، و عبود أحمد، و كامل عبد الكريم الحاج، و محمد عبد الرحيم، و أحمد على حسن، و نديم محمد، و على محمود منصور، و محمد على اسبر، و معلى غنام، و محمد ياسين، و محمد حمدان الخير، و محمد حمدان الرياحى، و محمود سليمان الخطيب، و على حمدان عمران، و إبراهيم جمال الدين، و عبد الرحمن الخير، و محمود صالح، و محمد أحمد محمد، و محمد الفاضل، و كامل صالح معروف، و توفيق عيسى سعود، و عبد اللطيف إبراهيم، و يوسف أحمد على، و حميد برهوم، و عبد اللطيف سعود و

..... عاشت النهضة سنة كاملة ثم توفى صاحبها إلى رحمة اللّه، فحاول محيى الدين محيى الدين بالإشتراك مع المحامى زاهى عرنوق مواصلة إصدارها، لكن المحاولة فشلت، و لم يصدر من المجلة فى سنتها الثانية سوى عددين[٢٣٠٢٢٩].

ص: ١۴۵

من الأعمال الجليلة التى قامت بها النهضة إصدار عدد خاص ممتاز عن العلويين هو العدد الثامن تموز ١٩٣٨ يعتبر بمثابة وثيقة تاريخية نادرة، تتضمن كل ما يجب معرفته عن العلويين فى الماضى و الحاضر. و قد ساهمت مواضيع هذا العدد، فى الكشف عن حقائق تاريخية كانت خافية على الكثيرين. كما ساهم فى تغيير النظرة السائدة عن العلويين.

بلغت النهضة الادبية فى الساحل السورى ذروتها بين ١٩٢٥ و ١٩٣٩. و كان أهم ما أفرزته، هو مشاركة المرأة فيه بنصيب كبير.

و تعتبر هذه المشاركة ثمرة جهود رواد النهضة الأوائل الذين ألحوا الحاحا شديدا على وجوب تعليم المرأة، و خروجها من الشرنقة التى وضعتها الظروف فيها طوال قرون عديدة.

و تأتى فتاة غسان، ابنة العلامة الشيخ سليمان الأحمد، فى طليعة أديبات الساحل و الجبل، و هى، تعتبر مع مريانا مراش و مارى عجمى رائدات الأدب النسائى فى سورية. يمتاز شعرها بالفصاحة و الجزالة و متانة السبک و إشراق الديباجة.

نشرت قصائدها فى العرفان و النور و منيرفا و الأمانى و الأمالى و غيرها من صحف و مجلات الوطن العربى.

و من أديبات الساحل السورى، و جبال اللاذقية، اللاتى برزن فى الفترة ما بين ١٩٥٢ و ١٩٣٩، هاجر أحمد رمضان، و خديجة الحامد، و حليمة ملحم، و مارية عمران .....

و من الغرابة بمكان، أننا فى الوقت الذى قرأنا فيه لهذه النخبة من أديبات جبال اللاذقية، نجد أية أديبة برزت فى مدن الساحل السورى اللاذقية، جبلة، بانياس، طرطوس، مع أن معظم مراكز التعليم فى المدن، و هذه ظاهرة تستلفت النظر.

و مما يجب قوله: ان الشعر، كان هو المحصول الأوفر فى بيدر

ص: ١۴۶

النهضة الأدبية.

و يشكل الشعر الدينى الجزء الأكبر منه. و الشعر الدينى، أسمى أنواع الشعر، لأنه مرآة النفس و يدل على حقيقة قائله، لا مجال فيه للرياء و التذبذب و النفاق. لكن مما يؤسف له أن معظمه لا يزال مخطوطا. و ما نشر منه لا يمثل إلا نزرا يسيرا.

---

[٢٢٩] ( ١) الشيخ سليمان الأحمد، علامة اللاذقية و الساحل السورى، و شيخ مفكريه، كان حجة فى اللغة انتخب عضوا فى المجمع العلمى العربى بدمشق سنة ١٩٢٢، خلف آثارا لغوية هامة منشورة فى مجلات العرفان و الأمانى و المواهب( الارجنتين) و غيرها تعتبر ثروة فى الثقافة و الفكر. و هو والد الشاعر الكبير بدوى الجبل.( محمد سليمان الأحمد).

[٢٣٠] ( ٢) الشيخ عبد اللطيف سعود شاعر مطبوع، متقدم، إشتهر بالهجاء، لم يجمع شعره فبقى مبعثرا فى مختلف صحف و مجلات الساحل السورى.

و هذا الشعر فی مجمله یدور حول المواضیع التالیة:

۱- موالاة آل البیت علیهم السّلام و الإستنان بسننهم الطاهرة.

۲- مدح الرسول صلّی اللّه علیه و اله و سلّم و أهل بیته الأطهار علیهم السّلام.

۳- الحض علی ذکر اللّه و التقوی و العمل الصالح و مکارم الأخلاق.

۴- محاولة تقلید الفلاسفة المسلمین فی الحدیث عن النفس شعرا.

۵- الزهد و الحکمیات و الوعظ و الإرشاد.

۶- توسلات و ابتهالات دینیة.

۷- الحدیث عن التقیة.

هذا من حیث الموضوع.

أما من حیث الأسلوب، فقد تمیزت هذه الأشعار بمتانة الدیباجة، و جمال العبارة، و جزالة الالفاظ و اشراقها، و العاطفة الحارة الصادقة الممزوجة بنفحات صوفیة علویة آسرة.

وروعة هذه الأشعار تضطرنا إلی الوقوف عندها قلیلا.

❊ الایمان و الاسلام:

لما کان أکثر شعراء جبال اللاذقیة من المشایخ، بدأوا علومهم



الأولی بالقرآن حفظا و تجویدا.

فمن الطبیعی أن یأخذ ذکر الإیمان حیزا کبیرا فی شعرهم.

قال الشیخ سلیمان الأحمد (۱۸۶۹- ۱۹۴۲).

یا ساکنی النجف الشریف علیکم　　من ذی الجلال تحیة و سلام

حبی لکم فی الله یذکی غرسه　　بفؤادی الإیمان و الإسلام

و من صدق الإيمان، الرد على أهل الالحاد الذين ينكرون وجود اللّه سبحانه و تعالى. فى الرد على أمثال هؤلاء، قال الشيخ عبد اللطيف سعود (١٨٨١- ١٩٥٤).

أيها القائلون بالإلحاد — لا هديتم إلى سبيل الرشاد

من ترى علم الخلائق أم م — ن قد أناط الأرواح بالأجساد

ما هى الروح كيف تحيى مواتا — هو طبعا بدونها كالجماد

جمعت فيه بين ماء و نار — و أرته الأشياء ضمن الرقاد

من ترى علم الطبيعة حتى — ألّفت بين هذه الأضداد

❊ موالاة آل البيت (ع):

العلويون شيعة إمامية، و قد تميزت الشيعة بالتمسک بولاية أمير المؤمنين على عليه السّلام و هى تستند فى ذلک إلى حديث الموالاة «اللهم و ال من والاه و أيد من أيده» ... و لهذا فإن الحديث عن الولاية و الإعتصام بآل البيت عليهم السّلام، يشغل حيزا كبيرا فى خارطة الشعر الدينى لدى شعراء جبال اللاذقية.

قال الشيخ إبراهيم عبد اللطيف (١٨٧٨- ١٩١٥) فى قصيدة له مطلعها[٢٣١]:

ص: ١۴٨

كم شجى أسال بين الطلول — حر دمع لبينهم مطلول

..... ..... — ..... .....

لهف نفسى متى أفوز بقرب — يشتفى فيه داء قلب عليل

[٢٣١] ( ١) من رواد النهضة، له كتابات منشورة فى مجلة العرفان تدل على علو كعبه. أغلب آثاره ما زالت مخطوطة.

ليس إلا ولايتى و اعتصامى لسفين النجاة آل الرسول

و قال الشيخ سليمان الأحمد:

فكرت فيما يريح القلب من وصب و ينقذ القلب من هم و من حزن

فما وجدت فتى يصفو الزمان له و لا أخا منحة يخلو من المحن

و لم أجد راحة للنفس كاملة ضمن الشرائع و الأسفار و السنن

إلا التقية و التسليم يعضده صدق الولاء يقينا فى أبى الحسن

و قال الشيخ محمد ياسين (١٩٠٣– ١٩٧٦)[٢٣٢]:

من اتخذ الحطام الدهر كسبا فإن و لا أمير النحل كسبى

عقدت على محبته ضميرى و أخلصت الولاء له و حسبى

و قال الشيخ محمد حمدان الخير (١٩٠٠– ١٩٧٨)[٢٣٣]:

أتحسب أننى يا دهر آسى على فقد الطعام أو الشراب

كفانى من نعيم العيش أنى أوالى المصطفى و أبا تراب

و كل مرفه بمتاع دنيا فذلک لم يرد غير السراب

---

[٢٣٢] ( ١) محمد ياسين من رواد النهضة الأدبية فى الساحل، لم يهتم بجمع آثاره فبقيت مخطوطة، و موزعة فى الصحف و المجلات.

[٢٣٣] ( ٢) محمد حمدان الخير من عائلة معروفة بالعلم و الأدب، عمل مدة قصيرة موظفا فى المحكمة المذهبية ببانياس و ذلک فى عام ١٩٢٨. له قصائد رائعة فى مدح آل البيت عليهم السّلام مجارية للزوميات المعرى تقع فى ١٥٠٠ بيت. يمتاز شعره بالمتانة و الجزالة و قوة السبک ..

و قال أيضا:

لا تدعونی للوفاق علی الهدی بینی و بینک فی الولاء فراسخ

نسخ الکتاب القبلة الأولی فهل للحب فی القربی کتاب ناسخ

ص: ۱۴۹

هیهات یدنو الزیغ منی بعدما هو فیّ من سر الولایة راسخ

و تقول أنت أخی و یغرق فی الأذی بدمی و لحمی منک ناب فاسخ

و لقد علمت بأنه سبحانه مستدرج للمعتدین و ماسخ

❊ حبّ النبی (ص) و آله (ع):

حب النبی صلّی اللّه علیه و اله و سلّم و آله علیهم السّلام مترسخ الجذور فی نفوس شعراء الساحل، و هذا ما تفصح عنه القصائد الکثیرة التی قالوها بهذا الخصوص.

قال الشیخ محمد یاسین:

مالی سوی حب النبی و آله حرز غدا نار الجحیم یقینی

یا رب زدنی فی ولاهم رغبة و تمسکا و هوی و حسن یقین

و قال أیضا:

إذا قیل لی ماذا تزودت للقا أقول مبینا مقصدی و مرادی

تزودت حب الغر آل محمد و حسبی به زادا لیوم معادی

نشأت عليه مذ نشأت و اننى | عليه أوالى من أرى و أعادى
فيا رب ثبتنى عليه و أبقه | بلبى ما دام المدى و فؤادى

و قال الشيخ محمد حمدان الخير:

رضيت الأخذ بالثقلين دينا | و لم أعدل عن النص الصريح
و لم أسبغ على وحيى غشاء | كثيفا من أباطيل الشروح
و لا أوردت فجر الغى قلبى | و لا سرحت بواديه سروحى
و لا هبطت على أبناء طه | بنار الحقد و الشنآن ريحى
و لكن بالقلى طهرت نفسى | كما بهواهم نجيت روحى
هنائى للاذى فيهم فزدنى | و لا تأل النكاية من جروحى

❊ الحض على ذكر اللّه سبحانه و تعالى، و التقوى، و العمل

ص: ١٥٠

الصالح المخلص، و مكارم الأخلاق قال الشيخ يعقوب الحسن (١٨٦٧- ١٩٢٩)[٢٣٤]:

يا غافلا عن هول رحلته غدا | تعنو لروعتها الجياد القود
تصبو إلى الدنيا و تعلم أنها | دار البوار، و جارها مطرود
هى منزل ضنك إذا ما احتله | وفد تأهب للرحيل وفود
آمالهم و هم وحب نوالها | جهل و صدق مقالها تفنيد
و لرب مجرور المظالم آمن | أمسى و ذيل نعيمه مقدود

[٢٣٤] ( ١) الشيخ يعقوب الحسن أحد مشايخ الساحل السورى الأجلاء، و من طليعة الأدباء. من آثاره كتاب تذكرة الحياة الروحية لم يزل مخطوطا ..

و مرفه قرن الشمول عشية أضحى و سجع قيانه التعديد

لا تترک الفعل الجميل إلى غد فلربما يأتى و أنت فقيد

و قال الشيخ سليمان الأحمد:

ان أرهب الموت فما بعده أسر للانفس أو أرهب

فاغتنم الوقت لفعل التقى فإنما عمر الفتى يذهب

و قال الشيخ عبد اللطيف سعود:

إن كنت تطمع بالنجاة لدى الإله و لا نجاة

فاعمل بذى و بتلک فيما قد أمرت تنل رضاه

ودع الرياء و لا تكن إلا بذكر اللّه لاه

و قال الشيخ أحمد محمد حيدر (١٨٨٨- ١٩٧٥)[٢٣٥]:

و استوبئى يا نفس هذا العيش، و العمر الوبى و تجملى بالصالحات، و آثرى شرع النبى



من ضل عنه، ضل عن سنن المآل الطيب ما زلت فى يهماء مظلمة الجوانب سبسب

[٢٣٥] ( ٢) الشيخ أحمد محمد حيدر المعروف بالشيخ نسب، من كبار مشايخ الساحل و أبعدهم صيتا و أغزرهم إنتاجا صدرت له المؤلفات التالية: النغم القدسى ديوان شعر( ١٩٧٢)- ما بعد القمر( لم يذكر تاريخ الطبع) ط ٢، ١٩٨٨ التكوين و التجلى( ١٩٨٧)- الحيرات( ١٩٩١).

ما فاز فی الدارین إلا المخلص الطافی السریرة  کلا و لا غیر الذی اتخذ الولا بهما ذخیرة

❊ التوسل:

التوسل باللّه سبحانه و تعالی، و رسوله الکریم صلّی اللّه علیه و اله و سلّم و آل بیته الأطهار علیهم السّلام ظاهرة بارزة فی الشعر الدینی. و قد تفنن الشعراء کثیرا فی شعر التوسل، و هذا الفن کان من الفنون التی اهتم بها شعراء جبال اللاذقیة.

و من أجمل القصائد التوسلیة، قصیدة الشیخ محمد یاسین التی قال فیها:

سألتک یا من عن دواعی الفنا جلا  و یا من لإرشاد الوری أرسل الرسلا

و یا داری الأکوان قدما بأیده  و یا کافیا من خلقه البعض و الکلا

و یا مسبغ النعمی علی الناس رحمة  و مثقلهم طولا و موسعهم عرضا

دعوتک لا انی أمت بصالح  و لا اننی فرضا أقمت و لا نفلا

و لا أن لی ما أستعین به سوی  محبة أهل البیت أعلی الوری نبلا

شموس الهدی الغر الألی من أحبهم  و أخلص عن علم فقد فاز و استعلی

أئمتنا الأطهار بشری لکل من  بهدیهم المولی له وصل الحبلا

هداة البرایا آل أحمد من بهم  و طاب رجائی قد تأملت من تملا

أولی النسب العالی الألی بولائهم  بحشری لمیزانی غدا أرتجی الثقلا

محمد سبطاه علی محمد  و جعفر موسی فالرضا ذکره جلا

محمد فالهادی علی حسن محمد القائم فالمهدی من ینشر العدلا  إلیک بهم ربی توسلت ضارعا

و دمعی خوف الذنب وجهی قد بلا  فکن لی و للإخوان یا رب سامعا

و یا حبذا المولی فإنک مولانا  بلطفک ما نرجوه من فضلک احبنا

و انجز لنا المیعاد و اجمع لنا الشملا

و صفّ نوايانا و قوّ ضعيفنا و بالعز فابدل يا كريم لنا الذلا

و سقنا لما ترضاه و اغفر ذنوبنا و بالكثر بدل يا رحيم لنا القلا

و بدد جيوش البؤس عنا و خصنا بعونک و امنحنا الفضيلة و الفضلا

و كفر خطايانا و أغن فقيرنا و أنجح مساعينا و حسن لنا الفعلا

و طهر من الأدناس لطفا قلوبنا و للمجد فاجعلنا اله الورى أهلا

و بالعلم و الإيمان فاشرح صدورنا و نوّر لنا يا ذا العلى الذهن و العقلا

و اتمم لنا يا خالق الخلق نورنا و سامح لمن منا على غرة ... ذلا

و أصلح لنا الأحوال فضلا و اعطنا أجل العطايا و المآرب و السوء لا

وشد أيا مبدى الوجود محالنا بيوم به عدن سرائرنا تبلى

و حقق بک اللهم ربّ ظنوننا ودرّ علينا خيرک الوافر الجزلا

و لا تقصنا عن شرعة الحق و اهدنا كما أنت مولانا طريقتک المثلا

و فى هذه الدنيا فسر خالقى بنا على الوجهة البيضاء و الخطة الفضلى

و ان نقض فانقلنا لجنتک التى جديد علاها لا يرث و لا يبلى

و سدد مرامينا و من عفوک اسقنا شرابا من الماذى فى طعمه أحلى

و قال الشيخ كامل حاتم فى قصيدة له بعنوان «يا آل طه»:

يا آل طه ان قلبى فيكم متعلقا يا آل طه قد غدا

عن حبكم يا أهل ودى لم أحل و لسوف أبقى الثابت المتشددا

بعميدكم خير البرية ضارع لله فى الدارين أغدو مسعدا

و بصنوه الكرار و المولى الذى بحسامه غيم الضلال تبددا

ذاک المرجى فى الصعاب و من به أس الشريعة و الرشاد توطدا

أرجو من الرحمن نصرا شاملا لذوى الصلاح المخلصين على العدى

و وسيلتى يا رب بالحسن الذى فاق الأنام على و نيف سؤددا

و حسين ذياک الشهيد بكربلا غار الالى عادوا الحسين و انجدا

و بنجله زين العباد و زينة العباد يوح الكون نبراس الهدى و بباقر العلم المعظم قدره

من علمه للناس أضحى موردا و توسلى بالصادق الوعد الذى

فاضت معاجزه خضما مزبدا

ص: ۱۵۳

أن تأخذن بى فى طريق الحق لا ألوى على ما يرتمى وجه الردى

و تتل أركان البغاة بسيدى موسى الحليم و كن لعبدک مسعدا

و عليه صب سجال عفوک بالرضى ذاک العلى و عنه اقص الحسدا

و بسيدى الجواد جد ببلوغ ما يرمى إليه إليک توجيه الندا

بعلى هادى المهتدين المرتجى أثلج و برد صدره و المرقدا

و بسيدى الحسن الأخير إمامنا و ملا ذنا و معاذنا و المقتدى

من قد أقام بسرّ مر اساطعا كالشمس عرفانا يزيد توقدا

هبنى الرضا و امنن باسكانى لدى رضوان ما بين الرياض مؤبدا

و اجعلنى يا مولاى ممن قد حبوا سدرا و فاكهة و طلحا منضّدا

مولای بالمأمول مهدی الخلق من | سمیته باسم الحبیب محمدا

ذاک الذی یغشی البسیطة عدله | غب انتشار الجور فیها و الصدا

أفعم وطابی غیر جودک لم أرد | و لغیر بابک سیدی لن أقصدا

❊ المدائح النبویة:

مدح سید المرسلین فن من فنون الشعر التی استحدثت فی القرن السابع. و قد شارک شعراء جبال اللاذقیة فی هذا الفن و قدموا للأدب العربی مدائح نبویة صادقة فی غایة الروعة و منها قصیدة «أرج النبوة» للشیخ محمود سلیمان الخطیب (۱۹۰۷– ۱۹۷۸)، و هی مطبوعة فی کراس صغیر من (۱۱) صفحة، و منها هذه الأبیات:[۲۳۶]

..... ..... | ..... .....

..... ..... | ..... .....

یا خیر خلق اللّه یحدونی الهوی | فأقول شعرا شاردا و أجید



أتصیب أقلام الرجال بمدحها | هدفا فیجزی مقول و قصید

و إذا ید القرآن تکتب مدحکم | ما ذا یقول شویعر مجهود

یا بیت وحی اللّه هل من آیة | الا و أنت برمزها المقصود

شرف الملائکة الکرام بأنهم | لک ما تشاء صنائع و جنود

[۲۳۶] ( ۱) الشیخ محمود سلیمان الخطیب من شعراء الساحل المجیدین، هاجر فترة من الزمن إلی الارجنتین و اصدر هناک کتابه( هذه سبیلی)، و من آثاره المطبوعة أیضا قصیدة« ارج النبوة» فی کراس من ۱۶ صفحة عام ۱۳۸۹/ ه– ۱۹۶۹/ م رصد ریعه لجامع الإمام جعفر الصادق فی اللاذقیة ..

***

عفوا رسول اللّه حسبى أننى بک مستهام و إله معمود

و لقد يقرب بالحنين و بالهوى ما لا يقربه السرى و القود

***

..... ..... .....

..... ..... .....

صلى عليک اللّه يا خير الورى ما اشتاق مشتاق وحن عميد

صلى عليک اللّه يا نور الهدى ما طاب معطار و أورق عود

صلى عليک اللّه يا شمس الضحى ما طاب باسمک نغمة و نشيد

و الآل و الرسل الكرام و صحبک الخلصاء ما عرف الوجود وجود و نشير فى هذه المناسبة إلى أن الشاعر على حمدان الرياحى (١٩٢٠– ١٩٨٠) نشر فى عام ١٩٧٨، ديوانا شعريا بعنوان [الشعر الحلال فى محمد و الآل] ينطوى على مدح آل البيت عليهم السّلام، و هو أول ديوان شعر مطبوع فى مدح آل البيت، فى الساحل السورى.

❊ الزهد و الحكمة و الوعظ و الارشاد:

باعتبار أن غالبية رواد النهضة الأدبية من المشايخ، فإن طابع شعرهم و منهجه، هو الزهد و الحكمة و الوعظ و الإرشاد، و فى الحث على الزهد و التنسک، و التزود من الدنيا للآخرة بخير زاد و ذلک بقصد الظفر و الثواب، و النجاة من العقاب قال الشيخ سليمان الأحمد:

ص: ١٥٥

سيأتى عليک اليوم لا ليل بعده أو الليلة الليلاء ليس لها صبح

فمن ربح التقوى و ان خسر الدنى فإقتاره يسر و خسرانه ربح

و قال أيضا:

كن صموتا أو مت بغيظک فالناس — كما قد رأيت جيلا فجيلا

غلب الجهل نير العلم و العقل — جميعا فصدقوا التدجيلا

و تراهم من قبل أن ينكروه — ينكرون التوراة و الانجيلا

و قال أيضا:

ما كل ذى ثروة فى الناس نغبطه — بها يعيش سعيدا ناعم البال

قد يكتسى حلل الديباج جسم فتى — و تحتها القلب فى هم و بلبال

و قال أيضا:

لا يفخرن أخو التنسک — فى التعبد و الزهاده

أنا فى اعتقادى كل فعل الواجبات من العباده — مثل الفقيه بدينه

مستنبطا بذل اجتهاده — شهم يسود قبيلة

أدى بها حق السياده — .. و أمير جيش باذل

دمه يصون به بلاده — و معلم الأولاد يكثر

فى رقيهم اعتداده — و كذلک راعى السرب

يدأب مخلصا عنه ذياده — كل يوفى حسب منزله

غدا أجر الإجاده — و من السعادة أن تكون ملهما طلب السعاده

و قال الشيخ أحمد سعيد (۱۸۹۱- ۱۹۵۱)[۲۳۷]:

إن كنت ترغب فی قبول نصيحتی و النصح يقبله اللبيب فينفع



۲۳۸

لا تحسدن علی تكاثر ماله أحدا و لا تغتم فيما يجمع

ليس الحسود يضر إلا نفسه و غليله بؤاده لا ينقع

لكنها الدنيا و من عاداتها هذا يحط بها و آخر يرفع

لا تطمعن بها فتلك دنيئة و من الغرور المحض انک تطمع

و التف فی برد القناعة صابرا إن الغنی برزقه من يقنع

كم معشر سكنوا القصور أنيقة و تفكهوا بمعاشهم و توسعوا

فإذا هم أجسامهم تحت الثری و إذا قصورهم الأنيقة بلقع

و من أجمل ما قيل فی النصائح، قصيدة الشيخ علی حمدان عمران[۲۳۹] المعنونة «الحكم الغوالی»، و هی:

أحمد اللّه مالكی و معينی ذا المعالی رب الحطيم و زمزم

و ثناء سام و روح سلام من لدنه علی النبی المعظم

يا أخی انتبه، فإنا نزلنا عند معناک و التماسک فانعم

---

[۲۳۷] ( ۱) الشيخ أحمد سعيد اسبر والد الشاعر الكبير أدونيس، شاعر مقل أغلب شعره فی الحكم نشر بعضه فی العرفان و المرشد العربی و الأمانی و غيرها ...

[۲۳۸] عثمان، هاشم، تاريخ التشيع فی ساحل بلاد الشمالی، ۱جلد، مؤسسة الأعلمی للمطبوعات - بيروت، چاپ: اول، ۱۴۱۴ ه.ق.

[۲۳۹] ( ۱) الشيخ علی حمدان عمران من المشايخ الكبار و الشعراء المجيدين، كان قاضيا للشرع فی صافيتا ثم فی طرطوس، نشر العديد من القصائد فی صحف و مجلات الساحل.

خذ بنصحى الغالى فلست أغالى فيه و اعمل به و لا تتوهم

حيث وسعى و ان أضق فيه ذرعا عن نصوص الهدى أفدک لتفهم

علّ تجنى منه القطوف الدوانى ثم تسقى منه الرحيق المختم

حسن الخلق و اتضع و اتق الجبا رواخدم شريعة الحق تخدم

ما أتاک الرسول خذه و جانب، ما نهى عنه و الشريعة فالزم

و اجعل القلب منک برجا لشمس الدين دين الشرع الشريف المعظم فالصلاة الزكاة فالصوم ثم

الحج للبيت فالجهاد المتمم ما استطعت القيام حكما أقمها

و ابتعد عن محارم اللّه و احجم إنما الدين عند بارئک الإسلا

م من لم يدن به سوف يندم ارتضاه لنا المهيمن دينا

و سواه من رام لا ريب يحرم لا تقم من دناک دينا لغى

مثل ما ضيک ان ماضيک مظلم

ص: ۱۵۷

إن شعب الفرقان فرق باسم الدين و الدين سالم ليس يثلم قسمتنا الاغراض رغم النواهى

لو نهينا عما نهى لم نقسم أمر اللّه ان ننظم صفا

لرضاه لم لم نطع و ننظم كل قسم قد ظن ميراثه الإسلا

م و الخلد، و الأخير جهنم يا لظن بصرفه راح إثما

و بقلب الإسلام جرحا مسمم أى عذر يوم الحساب لدينا

سوف يأتى فصيحنا و هو أبكم كن محبا لآل يعرب كلا

و حفيا ما دمت فى كل مسلم

وجه رأيى التزم ولذ بعماد الشر

ع و اترک وجه العذول مجهم

غص ببحر العرفان و هو خضم

و اجتن الدر منثرا و منظم

و اتعظ ثم عظ وزن بترو

كل قول من قبل أن تتكلم

ان تكن عالما خبيرا فعلم،

لا تعلم من قبل أن تتعلم

يوم تبلى فيه السرائر و الأنفس منها معذب و منعم

ليس فخر الفتى برفد و برد

أو بحدى مهند و ملهزم

أو بعاد مسوم، أو نضار

أو خميس يوم الهياج عرموم

ليس هذا من دافع بؤس يوم

قمطرير فيه الصروح تهدم

خير فخر بالصالحات ففيها

يدفع البؤس بالمعاد المحتم

يوم تبلى فيه السرائر و الأنفس منها معذب و منعم

خف مقام المولى و نفسک صنها

عن هواها و اخدم لعلک تخدم

كن عطوفا و اخفض جناحک رفقا

... فى حنان للأقربين و إن لم

ثم صلهم اما جفوا أو تجافوا

ثم و اصفح إن أخطأوا و تكرم

كن طبيبا و كن لكل سليم

مضّ من مجة الأراقم بلسم

لا تباد بالظلم خصمک يوما

كل باد بالظلم لا شک أظلم

إن تنل ظفرة بخصمک فارفق

و اشكر القادر المقدر و ارحم

و إذا ما اعتراک غيظ فسبح

ثم كبرو اكبر على الغيظ و اكظم

من سما فوق ما يطيق تخنه

جانحاه من وهنه فيحطم

لا تكن قائدا و ان زعموک القو

م يوما فارفض و لا تتزعم

إن رأس الرئيس أكثر صدعا فإذا لم يمت من الصدع يؤلم

كل غصن سام و كان رطيبا لم تنل ثمره الأكف فيرجم

إنما الوعظ و الأحاديث شتى و بكل الأحوال فاللّه ... أعلم

و من المواضيع الأخرى التى تناولها الشعراء فى قصائدهم أيضا:

❊ الغيرة على لغة القرآن، و الحض على تعلمها و اتقانها.

❊ الحض على اكتساب العلم و المعرفة.

❊ نبذ كل ما يعمل على التفرقة، و الدعوة إلى المحبة و التآلف و التعاضد و التناصر.

❊ ترک التكاسل و الحض على العمل.

و كانت هذه القضايا من أمراضنا الإجتماعية المزمنة، التى يحتاج الشفاء منها إلى مداواة طويلة و صبر و أناة، و وعى مسؤول.

و كان أدباء الساحل حملة لواء المسؤولية و النافخين فى شرر الوعى لاذكاء ناره. و لم يتقاعسوا، و لم يتهاونوا، و هذه قصائدهم تدل عليهم.

ص: ۱۵۹

## تأسيس الجمعيات الجعفرية فى الساحل و دورها فى إحياء المذهب الجعفرى

سبق تأسيس الجمعيات الخيرية الإسلامية الجعفرية فى مدن الساحل السورى اللاذقية، جبلة، بانياس، طرطوس، صافيتا، تأسيس رابطة الشباب المسلم العلوى التى تشكلت باللاذقية فى السابع و العشرين من شهر آذار ۱۹۳۶. و كانت أعلنت عن ظهورها ببيان و زعته على الصحف جاء فيه [۲۴۰]:

«إلى الشعب المسلم العلوى الكريم.

السلام عليک و رحمة اللّه.

---

[۲۴۰] ( ۱) جريدة الأيام العدد ۱۰۶۵ تاريخ ۹ نيسان ۱۹۳۶.

لنا الشرف أن نحيط الشعب الكريم علما بأنه تشكل فى مدينة اللاذقية بتاريخ ۲۷ آذار سنة ۱۹۳۶، جماعة باسم (رابطة الشباب المسلم العلوى) يضم نخبة من الشباب المثقف من محامين و أطباء و مهندسين و حملة الشهادات العلمية الذين خدموا القضية الوطنية و يخدمونها بإخلاص و سيخدمونها إن شاء اللّه حتى آخر نسمة من حياتهم.

ص: ۱۶۰

و قد اتخذت الرابطة شعارها و دستورها فى الحياة أن تتجرد عن الطائفيات و الحزبيات الشخصية، فيكفى ما لاقاه هذه الشعب و يلاقيه من عواقب التفرقة الوخيمة و سياسة الشخصيات البالية التى كادت تقضى على البقية الباقية من الأمل. و آن أن يرتفع صوت الشباب داويا يعلن استنكاره لهذه العنعنات القديمة و أن يطويها فى سجل الماضى المظلم.

فالرابطة تعاهد اللّه و تعاهدكم انها سوف تتجرد عن الأهواء و الغايات، و تعمل لخير الشعب و المصحلة العامة، دأبها فى الحياة أن تضع الشعب العلوى الكريم فى المركز الذى يليق به بين الشعوب.

و الرابطة فى هذه المناسبة، ترى أن من واجبها أن تبدى شكرها الصميم للشعب المسلم العلوى الكريم الذى دافع عن وحدته و استقلاله الحقيقى دفاع المستميت و برهن فى أحرج المواقف انه شعب نبيل لا ينام على الضيم و لا ينحنى أمام القوة الطاغية.

كما انها تعرب عن أخلص عواطفها نحو إخواننا المسلمين السنيين و إخواننا المسيحيين الذين ساروا صفا واحدا فى سبيل الحق و الحرية لا يرضون عن وحدتهم بديلا.

و إن الرابطة الفتية لتستمد من إخلاص الشعب الكريم قوة تعتز بها فى الجهاد، و من ثقتهم نورا تستضىء به لتحمل فى هذه البلاد مشعل الحرية و النور و ترفع راية الجهاد و الحق و الإنسانية.

أمين سر الرابطة أمين على عباس المحامى

و قد لعبت هذه الرابطة دورا فعالا فى سياسة الساحل السورى خلال الفترة ما بين ۱۹۳۶ و ۱۹۴۵. و وقفت بشجاعة و صلابة ضد التيار

ص: ۱۶۱

المتخاذل الذى يطالب بفصل الساحل عن سورية. و بيّنت فى المذكرات السياسية التى رفعتها إلى المسؤولين الفرنسيين مساوىء الحكم الفرنسى فى الساحل و انعكاسه على الأوضاع العامة.

و جاء فى إحدى هذه المذكرات ما نصه[۲۴۱]:

[۲۴۱] ( ۱) نشرت هذه المذكرة بصورة كاملة فى جريدة ألف باء الدمشقية بعددها الصادر بتاريخ ۸ نيسان ۱۹۳۶ و نشرتها مرة ثانية جريدة الأيام بعددها رقم ۱۰۶۷ تاريخ ۱۲ نيسان ۱۹۳۶ بعد أن حذفت منها الحوادث. و بدافع الإختصار اكتفينا بما نشرته جريدة الأيام و هو زبدة الموضوع.

«نحن الموقعين أدناه أعضاء اللجنة الإدارية لرابطة الشباب المسلم العلوى نتشرف أن نرفع لمعاليكم ما يلى:

لما كانت أكثرية المسلمين العلويين الذين شملتهم اليقظة السورية العامة قد أعربوا عن طلبهم للوحدة السورية اللامركزية و بما أن رابطة الشباب تمثل هذه اليقظة بأجلى معانيها لذلك رأينا من واجبنا و من حقنا أن ندلى اليكم بوجهة نظرنا فى تقرير مصير العلويين و أن نحيطكم علما بما يجرى فى بلادنا من الحركات الإنفصالية التى ترمى إلى تشويه الحقائق و عرقلة المفاوضات فنقول:

من المعلوم أن منطقة اللاذقية فصلت عن أمها سورية بقرار من المفوض السامى بقصد حماية الأقليات العلوية و حفظ مصالحها مستندا فى ذلک إلى رغبات الأهالى- و مع أنّ حصول هذه الرغبات أمر غير مسلم فيه نظرا لعدم إجراء استفتاء يعبر عن إرادة الأكثرية، فإننا نعتبر التجزئة، أمرا واقعا لا يمكن تلافيه و ندرسه بحسب النتيجة التى أعطاها و التى يمكن أن يعطيها فى المستقبل و ننقده من الوجهة القانونية الدولية بالإستناد لصک الإنتداب و التعهدات الدولية الإفرنسية.

غاية التجزئة ...

لقد كانت الغاية من التجزئة حفظ مصالح العلويين و ضمان

ص: ۱۶۲

حريتهم الدينية و رفعهم إلى مستوى سائر العناصر السورية لحصول الإندماج تدريجيا. و لكننا باختصار يمكننا أن نقول إن سبعة عشر عاما من التجزئة لم يكن لها من نتيجة مباشرة سوى زج هذه المنطقة فى بؤس شديد بسبب من ضخامة هذا الهيكل الحكومى و هذه الأبهة الفارغة التى لا تتناسب و مقدرة المكلفين و من انصراف الحكومة المحلية إلى مشاريع الزينة و تبذير مال الأمة فى طريق الكماليات و إهمالها المصالح الحيوية. فمن الوجهة الإقتصادية نرى الزراعة التى هى عماد البلاد قد أهملت كثيرا و ان المزارع قد كلفته الحكومة ما لا يطيق ورأت فيه أداة للإستثمار المؤقت لها أن تستخرج منه ما يمكن استخراجه و اعتصاره غير حاسبة حسابا للمستقبل فهذه الضرائب تبقى على حالها مدة عشر سنوات ۱۹۲۵- ۱۹۳۵. مع ان أسعار المحاصيل هبطت إلى الربع و رغم أنّ جميع السهام قد سددت إلى قلب الفلاح فإن الحكومة إلى الآن لم تفكر جديا فى اختصار الهيكل الحكومى لأنه يجب أن يقال إن هنالک حكومة فى منطقة للاذقية.

و من الناحية؟؟؟ العلمية، فإن الحكومة بعد أن خطت خطوة فى هذا السبيل تراجعت خطوات و اغلقت المدارس الزراعية و الثانوية بحجة الفقر و لكن كيف يمكننا أن نرضى عن استقلال بلاد لا يمكنها تأمين نفقات المدارس.

و من الوجهة الدينية فإن العلويين الذين رغّبوهم بالإنفصال لحمايتهم الدينية قد رأوا أنفسهم أمام ما يهدد كيانهم الدينى و نعنى «التبشير الجزويتى» و قد كان انفصالهم الذى سبب لهم الفقر أداة لاهتضام هذه الحرية الدينية لأن التبشير القائم فى الجبال مبنى على أساس الإغراء بالمال و على هذا فقد فشلت تجربة التجزئة عمليا لأنها بدلا من أن تضمن لهم مصالحهم و تحفظ حريتهم الدينية، فقد كانت أداة ماضية لضياع هذه المصالح و اهتضام هذه الحرية.

ص: ۱۶۳

الناحية القانونية الدولية:

إن مبدأ حماية الأقليات، هو مبدأ قديم تعرضت له معاهدات كثيرة قبل الحرب و لم يتعرض له صک الجامعة إلا فى المادة ٢٣ الملحقة الخاصة بالإنتداب– و قد نوهت بهذا المبدأ كثير من المعاهدات المعقودة بين جامعة الأمم و الدول الحديثة (ليتونيا، استونيا) و ذكرت المبادىء التى تجب مراعاتها لحفظ حقوق الأقليات من تساو فى الحقوق و الواجبات العامة، و إعطاء الأقليات الحق فى فتح المدارس و تعطيل الأعياد و ممارسة الطقوس الدينية و غير ذلک من الحقوق الضرورية لتأمين الحرية الفكرية و المذهبية. و لكننا لم نر دولة من دول العالم تسمح لأقلية بإجراء انفصال دائم، أو مؤقت بحجة تأمين المصالح و لا تخلو الآن دولة من الدول من احتواء اقليات مذهبية أو عنصرية أو لغوية و لكن أقلية من هذه الأقليات لم تفكر يوما بأن تطالب بالإنفصال و إن الجامعة لم تقر هذا المبدأ لأن إقراره يفتح بابا لا يغلق من الإعتراضات لكل أقلية لتطالب بالحكم الذاتى و فى هذا منتهى الفوضى و التشويش.

و على ذلک فإن اقرار فصل حكومة اللاذقية ليس معقولا و لا مشروعا إذا كان يقصد منه حماية الأقلية العلوية– إذا سلّمنا ان العلويين أقلية– و تعهدات فرنسا الدولية لا ترغمها على إقرار التجزئة و لو طالب بعض أفراد العلويين بذلک لأن أمر الإنفصال كان حركة فردية من الجانب الافرنسى و لا ينص عليها صک الإنتداب. و ينتج أنّ قضية الوحدة هى قضية بين فرنسا و سورية. و أما مصالح الأقليات فيمكن تأمينها من غير طريق التجزئة التى تضعف إقتصاديات البلاد و تقتل حيويتها.

و إذا فرضنا أن منطقة اللاذقية باقية على استقلالها فإن مسألة الأقليات تبقى بدون حل لأن هناک مائة ألف علوى فى سورية الداخلية و فى رأينا أنه إذا كان يوجد خطر فإن هذا الخطر يهدد فى الدرجة الأولى

ص: ١۶۴

تلک الأقلية الضئيلة الموزعة فى الداخل قبل أن يهدد الأكثرية العلوية فى منطقة اللاذقية. و بذلک يكون نظام التجزئة قد أعلن فشله و إفلاسه من الناحية النظرية و العملية و من القضايا المسلم بها تاريخيا أنّ العهود المؤقتة كانت دائما من عوامل القلق و الفوضى الإجتماعية و قد شعرت البلاد السورية شعورا عميقا بحاجتها لاستقرار تلتفت فيه إلى اقتصادياتها المنهوكة.

و إن الشباب المسلم العلوى مشبعا بهذه الروح و مقتنعا بهذه النظريات و مدفوعا بعامل حبه لوطنه أولا و لطائفته ثانيا، أقدم فى مؤتمر طرطوس[٢۴٢] على طلب الوحدة السورية اللامركزية و قد صرح فخامة المفوض السامى بعد ذلک أنّ الجانب

---

[٢۴٢] ( ١) انعقد المؤتمر فى منزل النائب محمود عبد الرزاق فى ٢۵ كانون الثانى ١٩٣٩ و بنتيجة الإجتماع رفع المؤتمرون إلى المسؤولين الفرنسيين المذكرة و تتضمن المطالب التالية:

١– إن محافظة اللاذقية جزء لا يتجزأ من سوريا العربية.

٢– إن جميع سكان هذه المحافظة يؤيدون المعاهدة المنعقدة سنة ١٩٣۶ بين الوفد السورى و الحكومة الفرنسية باعتبارها الحد الأدنى لما تقبل به البلاد السورية.

٣– إننا نؤيد مقررات المجلس النيابى السورى المتخذة فى جلسة ٣١ كانون أول ١٩٣٨.

الإفرنسى ليس له أية مصلحة فى تجزئة البلاد، و لذلک كنا ننتظر حيادا تاما من الحكومة المحلية و مع الأسف فإن عكس ذلک تماما جرى و يجرى حتى الآن.

«الأيام»- و هنا عدد لبيان الحوادث التى قام بها دعاة الإنفصال مما نكتفى بالإشارة إليه، و قالوا فى ختامه[۲۴۳]:

فشباب الرابطة يتوجهون لمعاليكم بأن تتوسطوا لدى وزارة الخارجية لتضع حدا لهذه الأعمال التى ليست من مصلحة فرنسا و لا سوريا، كما انها تغتنم هذه الفرصة لتجدد الثقة بوفدكم الأمين.

ص: ۱۶۵

و تفضلوا يا صاحب المعالى بقبول فائق احتراماتنا.

التواقيع- اللجنة الإدارية

شوكت العباس، عثمان حسن اسبر، محسن على العباس، أحمد على كامل، عبد اللّه العبد اللّه، أحمد الخير، سليمان الخير، عزيز محمد حسن، أحمد عزيز إسماعيل، جميل أسعد عثمان، محيى الدين كامل، عثمان زيدان.

و تأثرا بوضع البلاد السياسى و الحساس، كانت جهود الرابطة، و كذلک أبناء الساحل بكل فئاته، مسخرة لقضيتى الوطن الأساسيتين:

الوحدة و الإستقلال.

و كان النشاط محصورا ضمن دائرة هذين المطلبين، و لا مطلب للجميع سواهما.

و لما نالت البلاد استقلالها فى السابع عشر من نيسان عام ۱۹۴۶، إتجهت الطاقات كلها إلى إعادة البناء، و ترميم ما يجب ترميمه .....

و ما كادت البلاد تعرف شيئا من الإستقرار، حتى فاجأها الزعيم حسنى الزعيم بانقلابه الذى أطاح بحكم الكتلة الوطنية فى الثلاثين من آذار سنة ۱۹۴۹. و جمع بيده السلطتين التشريعية و التنفيذية و جعل إصدار المراسيم اعتبارا من تاريخ الإنقلاب عن القيادة العامة للجيش السورى التى يترأسها. دام حكم الزعيم حسنى الزعيم أربعة أشهر و أربعة عشر يوما، ثم أطاح به القائد العام للجيش و القوات المسلحة الزعيم محمد سامى حلمى الحناوى بتاريخ ۱۴ آب ۱۹۴۹، و تولى المجلس الحربى الأعلى الذى شكله الحناوى كافة الصلاحيات التشريعية و التنفيذية، و كذلک سلطة إصدار المراسيم التشريعية و التنظيمية، ريثما تتألف الحكومة الدستورية.

ص: ۱۶۶

فى عهد الإنقلاب الثانى، تأسست الجمعية الخيرية الإسلامية الجعفرية باللاذقية، فى أواخر شهر نيسان ۱۹۵۱[۲۴۴].

---

[۲۴۳] ( ۲) جريدة الأيام العدد ۱۰۶۷ تاريخ ۱۲ نيسان ۱۹۳۶.

و كانت جريدة صدى الإتحاد أول من أعلن عن تأسيسها بالكلمة التالية:

الجمعية الخيرية الاسلامية الجعفرية:

«الأعضاء المؤقتون لهذه الجمعية:

الشيخ عبد الخير (القرداحة) الشيخ محمد حامد (صافيتا) الشيخ عبد اللطيف إبراهيم (صافيتا) الشيخ حسن سعود (جبلة) الشيخ يونس حمدان (بانياس) الشيخ حيدر محمد (جبلة) الشيخ أسعد حسن الحارة (الحفة) الشيخ محمود سليمان الخطيب (جبلة) الشيخ رجب سعيد (الشير) الشيخ يونس على الجبيلية (جبلة) الشيخ كامل حاتم (البهلولية) الشيخ أحمد حسن (البهلولية).

كلف الأستاذ عبد الرحمن الخير بأمانة السر، و الوجيه السيد محمد رشيد سليمان بأمانة الصندوق، أجمع الحاضرون على اسناد رئاستها حاليا إلى سيادة الشريف عبد اللّه اعترافا بفضله فى جمع كلمة الطوائف الإسلامية، و تقديرا لجهوده فى ميدان الإصلاح الدينى و الاخاء المحمدى.

ترمى: النهوض بالأمور الروحية و السمو بالمرافق الدينية الإسلامية للطائفة العلوية و إشادة المعابد فى القرى و الأرياف و نشر المبادىء الإسلامية فى الجهات الجبلية»[٢٤٥].

لكن شهر الجمعية، لتتمتع بالصفة الرسمية، تأخر بعض الوقت، و لعل الظرف السياسى المتأزم الذى كانت البلاد تمر به لعب

ص: ١۶٧

دورا فى ذلک. لأن الحكومة التى أتى بها الإنقلاب الثانى، لم تعش طويلا. قضى عليها البلاغ رقم/ ١/ الصادر عن رئيس الأركان العامة العقيد أديب الشيشكلى بتاريخ ٢٩ تشرين الثانى ١٩٥١، و نصه:

«تحيط رئاسة الأركان العامة الشعب السورى الكريم علما أنّ الجيش قد استلم زمام الأمن فى البلاد و ترجو أن يخلد الجميع إلى الهدوء و السكينة و تسهيل مهمة الجيش و متابعة أعمالهم دون قلق أو اضطراب كما و تنذر من تسول له نفسه الإخلال بالأمن بأشد الإجراءات».

و كان هذا البلاغ إعلانا بأن انقلابا جديدا قد وقع، و تولى الزعيم فوزى سلو السلطتين التشريعية و التنفيذية، و مارس بموجب الأمر العسكرى رقم/ ٢/ الصادر بتاريخ ٣/ ١٢/ ١٩٥١، سلطات و اختصاصات رئيس الدولة.

و كان من جملة المراسيم التشريعية التى أصدرتها حكومة الإنقلاب الثالث، المرسوم التشريعى رقم/ ٣/ الصادر بتاريخ ٣٠/ ١٢/ ١٩٥١، بخصوص تنظيم لباس رجال الدين المسلمين.

---

[٢٤٤] ( ١) وثيقة خطية من ارشيفنا.

[٢٤٥] ( ٢) جريدة صدى الإتحاد- العدد ٣٢٩ تاريخ ٢ آيار ١٩٥١.

و قد نص هذا المرسوم على ما يلى:

مادة (١):

يحدد شكل الكسوة لرجال الدين من المسلمين بقرار من رئيس مجلس الوزراء بناء على اقتراح اللجنة المنصوص عليها فى المادة الثانية من هذا المرسوم التشريعى.

مادة (٢):

تؤلف لجنة مركزية عليا فى مدينة دمشق قوامها المفتى العام رئيسا، القاضى الممتاز و مدير الأوقاف العام و اثنان من كبار رجال الدين ينتخبهما مجلس الوزراء، بناء على اقتراح المفتى العام أعضاء.

ص: ١۶٨

مادة (٣):

تؤلف فى كل محافظة لجنة فرعية قوامها:

القاضى الشرعى. رئيسا.

مفتى المحافظة أو أمين الفتوى، و مدير أوقاف المحافظة أو رئيس الأوقاف عضوين و يقوم مقام مفتى المحافظة مفتى القضاء عندما يتعلق البحث فى قضائه.

و يقوم مقام مفتى المحافظة مفتى القضاء عندما يتعلق البحث فى قضائه.

مهمتها فحص حالة المتزيين بالكسوة الدينية و الذين يرغبون ارتداء هذه الكسوة و إقرار من يحق له الإحتفاظ بها و منع من تتحقق اللجنة انه دخيل على سلك رجال الدين من ارتدائها.

مادة (۴):

يحق لصاحب العلاقة و النيابة العامة استئناف قرارات هذه اللجان فى ميعاد خمسة عشر يوما من تاريخ التبليغ إلى اللجنة المركزية العليا التى تكون قراراتها مبرمة.

مادة (۵):

يخول الذين يشغلون مناصب الإفتاء و أمانة الفتوى و رئاسة ديوانها و القضاء الشرعى و الخطابة و الإمامة و التدريس الدينى و أساتذة العلوم الشرعية فى المدارس الدينية حق ارتداء الكسوة الدينية الرسمية.

مادة (۶):

إعتبارا من تاريخ نشر هذا المرسوم التشريعى يحصر حق ارتداء الكسوة الدينية بالأشخاص المذكورين فيما يلى:

أ- الأشخاص المنوه بهم فى المادة الخامسة.

ب- حاملى شهادات إحدى الكليات الشرعية المعترف بها فى سورية أو فى سواها من الأقطار الإسلامية و الذين يرتدون حاليا الكسوة الدينية إذا أقرت لهم اللجان المختصة هذا الحق.

ص: ١۶٩

مادة (٧):

تعطى وثيقة الأهلية لارتداء الكسوة الدينية من قبل المفتى العام بناء على قرار من اللجان المختصة و يمنع جميع الأفراد الذين لا يحملون هذه الوثيقة من الإكتساء بها.

مادة (٨):

يحق للجنة الفرعية إسترداد الوثيقة ممن لا يحافظ على شرف الكسوة و مكانتها بسوء سلوكه الأخلاقى بناء على اقتراح النيابة العامة فى المنطقة أو من تلقاء نفسها.

و عاقب المرسوم التشريعى كل مخالف لأحكامه بالحبس من ستة أشهر على الأكثر أو بغرامة لا تزيد على مائة ليرة.

أثار هذا المرسوم قلق رجال الشيعة و علمائهم فى الساحل الذين خشوا أن يمنعوا من ارتداء كسائهم الدينى الخاص بهم، فيما لو قامت لجنة من خارج علماء المذهب الجعفرى بفحص كفاءتهم، نظرا للخلافات الجوهرية القائمة ما بين المذهبين السنى و الشيعى، لذلک، طالبوا بأن تقوم لجنة خاصة مشكلة من علماء المذهب الجعفرى بفحص كفاءة المتزيين بالكسوة الدينية، و الذين يرغبون فى ارتداء هذه الكسوة.

و استجابت الحكومة لطلبهم، و أصدرت بتاريخ ١۵ حزيران ١٩۵٢، المرسوم التشريعى رقم/ ٣/ المتضمن:

«تؤلف لجنة خاصة للجعفريين من علمائهم فى مركز محافظة اللاذقية قوامها ثلاثة أشخاص من العلماء الجعفريين و يضاف إليهم شخص واحد عن كل قضاء عندما يتعلق البحث فى قضائه، و يسمى أعضاء هذه اللجنة بقرار من المفتى العام من العلماء الأكفاء مهمتها فحص حالة المتزينى بالكسوة الدينية على المذهب الجعفرى و الذين يرغبون فى ارتداء هذه الكسوة و إقرار من يحق له الإحتفاظ بها و منع من تتحقق اللجنة انه دخيل على سلک رجال الدين من ارتدائها».

ص: ١٧٠

و بالإستناد إلى هذا المرسوم، أصدر المفتى العام للجمهورية السورية القرار رقم/ ٨/، تاريخ ١٧ شوال ١٣٧١، و تموز ١٩۵٢ و نص على «تأليف لجنة فرعية فى مركز محافظة اللاذقية من السادة حضرة صاحب السيادة الشريف عبد اللّه: رئيسا، الشيخ على حلوم مفتى قضاء اللاذقية عضوا، الشيخ عيد ديب الخير عضوا.

يشترک مع هذه اللجنة الفرعية المذكورة عضو واحد ليمثل القضاء المذكور حذاء اسمه كل من السادة: كامل حاتم عن قضاء اللاذقية، عبد اللّه عابدين عن قضاء الحفة، حيدر محمد أحمد عن قضاء جبلة، يونس ياسين سلامة عن قضاء بانياس، عبد الهادى حيدر عن قضاء مصياف، محمود سليمان الخطيب عن قضاء طرطوس، عبد اللطيف إبراهيم عن قضاء صافيتا، على صالح حسن عن قضاء تلكخ.

مهمة هذه اللجنة فحص كفاءة المتزيين بالكسوة الدينية على المذهب الجعفرى و الذين يرغبون فى ارتداء هذه الكسوة و إقرار من يحق له الإحتفاظ بها و منع من تتحقق اللجنة أنه دخيل على سلک رجال الدين من ارتدائها».

و كان المرسوم التشريعى رقم/ ٣/ أول اعتراف رسمى بمذهب آل البيت فى سورية.

و جاء هذا الإعتراف متأخرا ٢٥ سنة عن الإعتراف بالمذهب الجعفرى فى لبنان[٢٤٦].

و كلمة حق تقال: إن هذا المرسوم كان نقطة انطلاق لإحياء المذهب الجعفرى و بعثه فى الساحل السورى.

ص: ١٧١

و قد أعقب صدور هذا المرسوم، مباشرة، صدور دراستين موجزتين تدوران حول أصول الدين و فروعه على مقتضى المذهب الجعفرى، الأولى بعنوان [الموجز المبين فى معرفة أصول و فروع الدين على مقتضى الفقه الجعفرى]، للشيخ كامل حاتم، من/ ٣١/ صفحة من القطع الوسط، و جاءت هذه الدراسة على طريقة السؤال و الجواب.

و الثانية بعنوان [المختصر الجامع فى أصول الدين و فروعه] و لهذه الدراسة عنوان آخر هو [المختصر الجامع فى الفقه الجعفرى] تأليف الشيخين عبد اللطيف الخير و محمود صالح، من/ ٧٨/ صفحة من القطع الوسط.

و كانت الغاية الرئيسة من صدور هاتين الدراستين، فى ذلک الوقت بالذات، مساعدة بعض ممن يودون التزيّن بالكسوة الدينية فى اجتياز فحص الكفاءة، عن طريق وضع دراسة موجزة سهلة، بين أيديهم.

لكن الجمعية التى أعلن عن تأسيسها فى أواخر نيسان ١٩٥١، لم تتمتع بالصفة الرسمية إلا بتاريخ ٢٧/ ٤/ ١٩٦٢، و هو تاريخ شهرها[٢٤٧]، و هذا التأخير يدل على الصعوبات الكثيرة التى وقفت فى وجه الجمعية.

لكنها خلال هذه الفترة كانت تمارس نشاطا ملحوظا. و كانت فى كل مناسبة تمر، تذيع على الملأ بيانا يعرف بأعمالها، من ذلک البيان الذى أذاعته بمناسبة انقضاء شهر رمضان المبارک من عام ١٣٧٢/ ه، ١٩٥٣/ م. و نصه:

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم:

الحمد للّه و صلى اللّه على سيدنا محمد و آله الأطهار و أصحابه الأبرار.

---

[٢٤٦] ( ١) تم الإعتراف بالمذهب الجعفرى فى لبنان بالقرار رقم ٣٥٠٣ الصادر بتاريخ ٢٧ كانون الثانى ١٩٢٦ راجع المجلة القضائية- يوسف صادر- السنة السادسة- العدد ٢ شباط ١٩٢٦، ص ٥١.

[٢٤٧] ( ١) رقم شهرها ٤٢٩ تاريخ ٢٧ نيسان ١٩٦٢.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ. أيها المؤمن الصابر، أيها المؤمن المستظهر بتقواه على شهواته، و بسهاده على رقاده و بإيمانه على سلطان الدنيا و نعمتها الزائلة طال انتظارک إلى معشوقک و حبيب روحانيتک حبيب كل نفس مؤمنة. شهر اللّه المبارک الذى أنزل فيه القرآن و أشرق فيه الهدى و البينات، و انمحت فيه ظلمات الغفلة عن قلوب المؤمنين.

صمت أحد عشر شهرا عن لقاء وردک الروى و ظمئت إلى غديره العذب و معينه الصافى، و ها هو يحييک بهلاله المنير و جلاله الخطير، فافطر بصيامه و ازدد من بركاته و انعامه.

أيها المؤمنون: إن اللّه سبحانه فرض عليک حدودا خمسة:

الصلاة، و الصيام، و الزكاة، و الجهاد، فإذا لم تدع الحاجة إلى الجهاد المباشر قام مقامه الجهاد المعنوى و كمل الحد الخامس بالأربعة، و جاهد المؤمن و هو قائم، و قاعد، و راكع، و ساجد.

أيها المؤمن إن الجمعية الخيرية الإسلامية الجعفرية تقدم لک تهانيها على صبرک الجبار فى صيام الهواجر و قيام الدياجر. و إنها لتحس من أعماق نفسها بلذة روحية عندما تراک. و أنت هى و هى أنت تلبى داعى اللّه و تقتطف من ثمار تلک الليالى القدسية طاعة اللّه. ساهد الطرف، خاشع القلب، باكى العين، داعيا ربک عقيب صلاتک المرفوعة، و مناجاتک المتصلة بالروح الأعلى. لک و لإخوانک المسلمين، الذين شاركوک فى جهادک، و شعروا شعورک، الذين لا يقبل اللّه إيمان عبد إلا بحبهم و برهم و الإخلاص لهم رعاک اللّه و رعاهم. أتظن أيها المؤمن المخلص، فى عملک أن الجوع، و الظمأ، و العبادة، و السهر، كفيلة وحدها بنجاتک كلا، إن هناک شيء آخر. إن هنالک عمل عظيم أوله النية و أركانه الإخلاص، و الوفاء، و الصدق، و الولاء لكل مسلم و بره و تأليف شتاته، بل بر الناس جميعا لما فى ذلک من شمول الحديث الشريف (الناس عيال اللّه و احبهم إليه أنفعهم لعياله) و فى رواية أبرّهم.



فانظر أيها المؤمن إلى ما يترتب عليک نحو ربک، و دينک، و إخوانک.

إن الجمعية حرسها اللّه تعالى تقدم لک الهناء و البشرى مزدوجين الهناء بلذاتک الروحية و البشرى بنشاط جمعيتک و ما تقوم به من أعمال نبيلة، لقد باشرت بحول اللّه تعالى و قوته بالسعى الحثيث بالعمل على إنشاء جامع و مدرسة ثانوية على الرمل فى اللاذقية، و جامع فى طرطوس، و آخر فى بانياس و جامع و مسجد اتم فى القرداحة، و كذلک فى بيت ياشوط. كما و أنها عهدت إلى العضو العامل الشيخ الفاضل أحمد يوسف عيد ببناء مسجد فى السخابة. و بنى مسجد فى المعيصرة و آخر فى العنازة و آخر فى أبو قبيس، إلى كثير مما تقوم به الجمعية على يد أعضائها الأفاضل فقد رأيت و سترى من هذه الأعمال النبيلة المنتشرة فى هذه الربوع ما قد أصبح العيان فيها أبلغ من السمع، و الواقع أفصح بيانا من الأوهام.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ.

و إن جمعيتک هذه و الحمد للّه برهنت فی مدة قصيرة عن أعمال جلی من سعيها المتواصل فی جمع الكلمة و تأليف القلوب بين أبناء هذا الوطن العزيز الذين تظلهم سماء واحدة و تقلهم أرض واحدة و يشملهم نظام ديمقراطی واحد، و هنا لا بد لنا من أن نقدم فی ملء عواطفنا شكرنا و امتناننا لحكومتنا الرشيدة على موقفها النبيل الحكيم الذی سهلت لنا به السبيل لبلوغ الهدف الأسمى الذی نقصده و يقصده كل مخلص محب لأمته و ملته، من الإصلاح العام.

و إن الجمعية تسألک أن تقدم لها جهودک النافعة، و دعواتک الصالحة كما تقدمها لكل مسلم من إخوانک. أثناء تهجدک و قيامک، و إفطارک و صيامک، أثناء الصلاة على محمد و آله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم. وفقنا اللّه

ص: ۱۷۴

و إياک و المسلمين أجمعين.

وَ قُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ سَتُرَدُّونَ إِلى عالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ.

اللاذقية فی ۲۷ شعبان المكرم سنة ۱۳۷۲ الموافق ۱۱/ ۵/ ۵۳.

رئيس الجمعية

و على صعيد آخر، وقفت الجمعية بالمرصاد لكل ناعق و ناعب من كتاب السوء دعاة التفرقة و الفتنة و إثارة النعرات الطائفية ..

فجاهدتهم جهادا شديدا، و كتبت إلى المسؤولين محذرة من دسائسهم و نواياهم الخبيثة. من ذلک كتابها المؤرّخ فی ۲۰/ ۱۰/ ۱۳۷۹ و ۱۶/ ۴/ ۱۹۶۰ الذی وجهه الشريف عبد اللّه رئيس الجمعية إلى السيد محافظ اللاذقية و جاء فيه:

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

[عطوفة محافظ اللاذقية الأفخم]

السلام عليكم و رحمة اللّه و بركاته و بعد، لقد تكررت الكتابات المغرضة المؤذية بحق طائفة مخلصة لهذا الوطن العربی الا و هی العلويون الجعفريون و حيث ان التعرض لنواح طائفية لا يخدم إلا مصلحة الإستعمار جئت بكتابی هذا لافتا نظركم الثاقب إلى ما ينجم عن إثارة النعرات الطائفية من عواقب و خيمة تفرح الإستعمار و أذنابه و عيونه التی تستخدم هكذا وسائل للنيل من وحدة هذه الأمة المتماسكة و يقينی أنها لدوافع استعمارية بغيضة حدت بقبضة من الكتاب لإثارة هذه المواضيع التی عفا عليها الزمان، و يسرنی يا صاحب العطوفة أن أذكر لكم هنا أننی منذ نصف قرن و أنا أعالج موضوع

وحدة الصف الإسلامى و غيره من الوظائف و خصوصا مسألة العلويين الجعفريين حتى وفقنا إلى إظهار عملنا هذا بشكل الجمعية الخيرية الإسلامية الجعفرية التى تضم

ص: ۱۷۵

نخبة خيرة من ثقات علماء الجبل العلوى هدفنا الأول و الأخير هو التقريب بين المذاهب الإسلامية و غيرها من الطوائف الأخرى، و ها إن عملنا هذا بدأ يعطى ثمراته فى بعض أنحاء المحافظة.

و بينما نحن فى عملنا الإصلاحى هذا و إذا بالاستاذ المجذوب يطلع علينا بمقالته فى مجلة التمدن الإسلامى بتعرضه لأعظم شخصية إسلامية بعد الرسول الأعظم صلّى اللّه عليه و اله و سلّم الا و هو الإمام على عليه السّلام، و قد أحطناكم علما به بحينه فبادرتم مشكورين للإهتمام بالأمر. و بعد فترة قريبة طلعت علينا مجلة الأزهر بمقال عن العلويين بإمضاء السيد حسن عمر يهاجم بها العلويين و يخرجهم من حظيرة الإسلام، و كذلک الشيخ عبد اللطيف المشتهرى الذى نسب لنفسه هدى خمسة آلاف من العلويين إلى حظيرة الإسلام كأنهم ليسوا من الإسلام فى شىء إلا بعد تشريفه لهذه المحافظة مما أثار سخط الكثيرين حتى انبرى للرد عليه و على من سبقه من الكتاب علماء الجبل فحلنا دون ذلک بناء على ما أخذنا على أنفسنا من عدم إثارة المواضيع الطائفية التى لا تخدم إلا مصالح الإستعمار و كانت ثالثة الأثافى فى ما كتبه محمد عبد اللّه عنان بالحرف الواحد:

«- النصيرية المشار إليهم هنا و فى رسائل الدعاة، هم طائفة من الباطنية ما تزال منها اليوم بقية فى اللاذقية و طرابلس و حماه و دمشق، و هم كالدروز يتظاهرون بالإسلام، و يعتقدون فى ألوهية على بن أبى طالب، و ينقسمون كالدروز إلى عقلاء و جهال، و يعقدون مثلهم اجتماعاتهم الدينية السرية فى الخلوات، و المعروف أنهم يبيحون عشرة المحارم من البنات و الأخوات و نساء بعضهم بعضا، و عندهم أن المرأة لا يكمل إيمانها إلا بإباحة نفسها لأخيها المؤمن بيد أنها لا تبيح نفسها للأجنبى، و هم يعتبرون المرأة كالحيوان مجردة عن النفس، و الظاهر أنهم يرجعون فى الأصل إلى نفس الدعوة السرية، التى اشتق منها مذهب الدروز، و يعتنقون معظم مبادىء الإباحية التى تنسب إليهم».

ص: ۱۷۶

و من هذا يتبين لكم الغايات و الاغراض الدنيئة التى يقصد منها عرقلة سير الوحدة و التماسک الذى ينشده المخلصون الغيارى لهذه الأمة العربية التى لا يمكن لها التقدم و الإزدهار إلا بوحدتها فى مختلف شؤونها.

و يهمنا يا صاحب العطوفة أن تضرب الحكومة الرشيدة بيد من حديد على مثيرى الفتنة كتاب السوء ليكونوا عبرة و عظة لكل من تحدثه نفسه بالإساءة لهذه الوحدة[۲۴۸].

و ختاما تفضلوا بقبول الإحترام ..

و لم تقف نشاطات الجمعية ضمن نطاق الساحل السورى، و سورية فحسب، و إنما قامت باتصالات مع الجمعيات و المحافل و الهيئات الدينية الشيعية فى سائر أنحاء العالم العربى، و عقدت أيضا المؤتمرات.

[۲۴۸] ( ۱) من رسالة خطية نحتفظ بها فى ارشيفنا.

و كانت أبرز صلاتها مع المجلس الإسلامى الشيعى الأعلى بلبنان. الذى رحب بظهور الجمعية الفتية و بارک لها خطواتها و نشاطها، و هذا ما تدلنا عليه رسالة الإمام موسى الصدر رئيس المجلس الإسلامى الشيعى الأعلى بلبنان التى أرسلها إلى رئيس و أعضاء الجمعية الجعفرية باللاذقية و نصها[۲۴۹]:

بسم الله الرحمن الرحيم

عطوفة الأمير الجليل الشريف عبد اللّه الفضل أعزه اللّه.

أصحاب السيادة العلماء الأجلاء رجال الحق و الدين و الجهاد دامت بركاتهم.

ص: ۱۷۷

أيها الأخوة الأعزاء أعضاء المؤتمر الكرام.

السلام عليكم و رحمة اللّه و بركاته.

تحية الإسلام الطيبة مشفوعة بالأشواق و التمنيات الداعية للنجاح و لتسديد الخطى مقرونة بالإعتذار من الحضور لالتزامات سابقة خارج البلاد.

و بعد: فإن الليل المدلهم الذى غشى هذه الأمة و الأخطار المحدقة بها من كل جانب بل و من الداخل و من البيوت و النفوس و العقول التى تعرض بعضها للغزو الإستعمارى الكافر و بعضها لنزع الشيطان، أعاذنا اللّه منهما.

إن هذا الليل المظلم و تلک الأخطار تهيب بنا أن نجند كافة طاقات هذه الأمة أفرادا و جماعات و إن ندخل ميدان السباق و التحدى فنستميت فى سبيل البقاء و أن نستعمل فى هذه المعركة المصيرية أفضل أرصدتنا و أقوى قيمنا.

و انطلاقا من هذا الواقع يشعر علماء المسلمين الذى يستقون من معين آل بيت الرسول عليه و عليهم الصلاة و السلام، أنّ الواجب العينى المحترم أن يخرجوا من زوايا الإنعزال، و يتخطوا حواجز الفرقة و الخلافات ليدخلوا الميدان، ميدان الخدمة و القيادة الفكرية.

ان المطلوب من هؤلاء العلماء الذين اتخذوا من الأئمة المعصومين قادة و من سيرتهم مذهبا و جعلوا ولايتهم و التمسک بهم معراجا و منهاجا، ان المطلوب منهم أن يذوبوا فى سبيل عرض المذهب و إيضاح أبعاده و تجسيد قيمه فى حياتهم حتى يعرضوا تجربتهم الإسلامية الرائدة على الأمة و على العالم فلاغرو إذا فى اجتماعكم الكريم فى سبيل التشاور و الحوار و توحيد المواقف و آراء و الأفكار و الفتاوى و تقديمها للأمة الحائرة التى تعيش فى الآفاق القريبة و البعيدة عن النور و عن العروة الوثقى التى لا انفصام لها.

ص: ۱۷۸

---

[۲۴۹] ( ۲) من رسالة خطية نحتفظ بها فى ارشيفنا.

و لا عجب إذا نجد المحاولات الصادقة السريعة لاغتنام الفرصة التى تمر على الإنسان مرور السحاب. من هذا المنطلق و فى هذا الالق فإنى كأخ لكم فى اللّه و فى دين اللّه و فى مذهب آل بيت رسول اللّه أبعث إليكم بتحياتى و بتحيات مئات الألوف من إخوانكم فى لبنان بل بأدعية عشرات الملايين منهم فى أقطار الأرض.

أحييكم باسم هؤلاء الصابرين المحسنين الذين أبلاهم اللّه خلال قرون بلاءا حسنا فخرجوا من المحن و الفتن رافعى الرؤوس.

أحييكم شركاء فى الآلام و المحن و فى الآمال و صدق العزيمة و فى مسؤوليات القيادة مؤكدا أن هذه البادرة بادرة الإجتماع هى الحاجة و هى قصد السبيل.

أحييكم واضعا طاقات المجلس الإسلامى الشيعى الأعلى فى لبنان إلى جانبكم بصدق و إخلاص، دون توفير أو انحياز المجلس الإسلامى الشيعى الأعلى، المؤسسة التى حققت لأول مرة فى تاريخنا حلما كان يراود السابقين الأولين، و التى تجسد أيضا جهدا و نضالا شاقين لا مثيل لهما فى المؤسسات المشابهة.

سادتى الأعزاء، إخوانى الأكارم.

إنه لشرف عظيم أن نعيش يوما نعرض فيه هذه التجربة الإسلامية الرائدة، مذهب آل البيت، دون تقية أو مسايرة و أن يقف هذا المذهب و علماؤه و أبناؤه إلى جانب المذاهب الإسلامية الكريمة. يقف إلى جوارها فى سياق أخوى فى سبيل تأدية الرسالة و لأجل إنقاذ الأمة و مفكريها و مثقفيها.

و إن لكم أيها العلماء المجاهدون و لنضال إخوانكم، فضلا كبيرا فى تحقيق هذا اليوم فشكرا للّه على مساعيكم و جزاكم عن الإسلام و عن رسوله و آل بيته خيرا.

فلنغتنم هذه الفرصة السانحة و لنبدأ بالعمل الموحد و الشاق،



و لنبتعد عن ملهيات الطريق و مغرياته و لنقف صامدين أمام دوافعه و سوالفه.

إن الأمة تنتظر و رسول الإسلام ينادى و ان عليا إمامنا و ولينا يقول أعينونى بورع و اجتهاد و قوة و سداد أيها السادة الأكارم.

إن دقة الموقف، سيما بعد، يجرى إلى جانبنا فى أوساطنا، تتطلب المزيد من اليقظة و التطلع إلى المستقبل القريب و البعيد ذلک لكى لا نترک مجالا لاستغلال الظروف و المشاعر، و لكى نضع الخصلة الواضحة التى تتطلبها الأيام الصعبة و الأخطار المحدقة.

إن موقفكم اليوم أيها السادة الأجلاء هو موقف تاريخى لا نشک لحظة فى صدوره عن كفاءاتكم الواعية و عن تحملكم لمسؤولياتكم بنزاهة و تجرد فليكن اللّه معكم ناصرا و معينا و هو نعم المولى و نعم الوكيل و السلام عليكم و رحمة اللّه و بركاته.

رئيس المجلس الإسلامى الشيعى الأعلى فى لبنان السيد موسى الصدر

و لما كانت أغراض الجمعية كثيرة و متنوعة، و هى [۲۵۰]:

أ- نشر الثقافة الإسلامية و مناصرة الفضيلة.

ب- تشييد و ترميم المساجد و المدارس الدينية و العلمية و المستوصفات.

ج- تعميم التعليم الدينى فى مدارس العلويين على مذهبهم الجعفرى.

د- مساعدة الفقراء و تعليم الطلاب منهم مجانا حسب إمكانيات الجمعية.

ص: ۱۸۰

ه- فكرة التقارب بين الطوائف الإسلامية و التآلف مع الطوائف الأخرى.

و كان تحقيق هذه الأهداف يتطلب بذل جهود جبارة، و صبر و تفرغ، نظرا للتركيبة الإجتماعية المعقدة فى الساحل السورى فقد أصدرت الجمعية بطاقة شرف ممتازة تمنح لمن يقوم بجهود محمودة و تضحية مشكورة فى سبيل الأهداف التى تسعى الجمعية للوصول إليها.

و هذه صورة البطاقة:

بطاقة شرف ممتازة منحت لحضرة ..... من قبل الجمعية الخيرية الإسلامية الجعفرية مكافأة لجهوده المحمودة و تضحيته المشكورة. فى سبيل الهدف الاسمى الذى تسعى للوصول إليه و الحصول عليه هذه الجمعية الفتية التى هى من الشعب و إليه. حسب قانونها الأساسى و الداخلى. سدد اللّه خطا الجميع لما به الخير و الصلاح.

رئيس الجمعية

و للإنصاف نقول:

إن المؤسس الحقيقى للجمعية الجعفرية باللاذقية، و دماغها المفكر و لسانها الناطق، هو المرحوم الشريف عبد اللّه الفضل آل علوى الحسنى الذى تنتهى سلسلة نسبه إلى سيدنا أمير المؤمنين على عليه السّلام.

---

[۲۵۰] ( ۱) المادة ۲ من نظام الجمعية الداخلى.

و أصله من الحجاز، استوطن اللاذقية و اتخذها دار إقامة بعد استيلاء السعوديين على الحجاز و القضاء على حكم الشريف حسين.

كانت الجمعية بالنسبة إلى الشريف كل شيء فى حياته. لم يبخل عليها بوقته و صحته و راحته و يرجع إليه الفضل فيما تتمتع به الجمعية من مكانة نظرا لمكانته العلمية الرفيعة و صلاته الوثيقة بالشخصيات الإسلامية المعروفة فى العالم الإسلامى و الحوزات الدينية فى النجف و إيران و غيرها ...

ص: ١٨١

ظل الشريف عبد اللّه رئيسا للجمعية الجعفرية باللاذقية منذ تأسيسها سنة ١٩٥١/ م و حتى وفاته ضحى الخميس فى أول ذى الحجة ١٣٩٥/ ه الموافق ۴ كانون الأول ١٩٧٥/ م.

و فى بيت الشريف عبد اللّه كانت تعقد إجتماعات الجمعية قبل أن يكون له مقرها الخاص.

و يعتبر جامع الإمام جعفر الصادق عليه السّلام فى حى الرمل الشمالى باللاذقية، مفخرة أعمال الجمعية و كان بناء هذا الجامع حدثا فريدا هاما فى تاريخ اللاذقية و الساحل السورى.

بنى هذا الجامع، و مساحته مع شرفته ٥٥٠ مترا مربعا، فى عام ١٣٨۶/ ه- ١٩۶٨/ م- و بذلت فى سبيل بنائه جهود جبارة، و بلغت تكاليفه (٢٢) ألف ليرة سورية جمعت من مال التبرعات و قام نفر من المشايخ الأجلاء بنشر بعض النشرات الدينية خصصوا ريعها لبناء الجامع و للجمعية، من هؤلاء:

الشيخ عبد الرحمن الخير الذى نشر كتيبا هاما بعنوان [تحفة المؤمن فى فضل يوم الجمعة و أشهر رجب و شعبان و رمضان و الأعمال و الأذكار المسنونة فيها].

و منهم أيضا الشيخ محمود سليمان الخطيب الذى نشر كراسا صغيرا يتضمن القصيدة المعنونة «أرج النبوة» أو ذكرى المولد النبوى.

و خصص ريعه لجامع الإمام جعفر الصادق فى اللاذقية.

كما نشر الشيخ محمود صالح و الشيخ عبد اللطيف الخير كتيبا بعنوان [المختصر الجامع فى الفقه الجعفرى] خصصا جزءا من ريعه للجمعية الجعفرية باللاذقية.

و غيرهم .... و غيرهم .....

للجامع بابان، غربى و شمالى. فوق عتبة الباب الغربى رخامة مستطيلة بطول الباب نقش عليها الآية إِنَّما يَعْمُرُ مَساجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ أَقامَ الصَّلاةَ وَ آتَى الزَّكاةَ وَ لَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ.

ص: ١٨٢

و عن يمين و شمال الباب، لجهة الداخل، لوحتان رخاميتان تحمل كل منهما تاريخ بناء الجامع.

نقش على اللوحة اليمنى الأبيات التالية:

لک الخير هذا مسجد طاب مهده — فأذن بدين اللّه فيه و كبر

(يرف عليه الطيب من آل (أحمد — (و يطفو عليه اليمن من فيض (حيدر

يباركه التشريف باسم ابن فاطم — (إمام الهدى و ابن الأئمة (جعفر

يحف به أتباع كل مبرء — من الرجس معصوم الفؤاد مطهر

بناه بناة الخير زلفى لربهم — و أى ثواب فات مجهود خير

و من يقرض التاريخ عرفا يوفه — حميدا و من ينصر به اللّه ينصر

شيد فى عام ١٣٨۶ ه

و على اللوحة الشمالية نقشت هذه الأبيات:

رفعناه فى هذى الجوانب مسجدا — و شدناه للبر العميم و للهدى

رفعناه من آلاء طه و حيدر — على الساحل الزاهى منارا و موردا

و زانت محياه شمائل جعفر — فللّه ما أبهى و أنقى و أمجدا

هنيئا لأهل الخير يعطون فانيا — و يجنون بالفانى الثواب المؤبدا

و طوبى لهم نالوا الخلود و أنهم — سيلقون فى التاريخ ذلک أخلدا

شيد فى عام ١٣٨۶ ه

و فى الجامع بيت للحارس، و مكان مخصص للنساء. و يلحق به عدد من الدكاكين و المكاتب المؤجرة يغذى ريعها صندوق الجمعية.

كان نشاط الجمعية حتى عهد قريب محدودا جدا مقتصرا على الإحتفالات الدينية التى تحييها بالمناسبات الدينية المعروفة. لكن، منذ الصيف الماضى- صيف ١٩٩٠- تصاعدت و تيرة نشاط الجمعية بحضور عدد من المشايخ الإيرانيين، وراح أحدهم يؤمّ المصلين فى الجمعات و الأعياد و الآخر يلقى الدروس الدينية فى مقر الجمعية.

و قد لاقت هذه الخطب استحسانا كبيرا و صدى واسعا لدى الجمهور و جذب عددا كبيرا من الناس إلى الجامع.

و كان حضور المشايخ الإيرانيين، مرحلة جديدة من مراحل حياة

ص: ١٨٣

الجمعية نقلتها من حالة السكون و الركود، إلى حالة الحركة النشطة.

و كان من أبرز ما تمخضت عنه هذه المرحلة الجديدة افتتاح مدرسة لتعليم القرآن و تجويده و حفظه، و مكتبة بالجامع حافلة بالمراجع الدينية، كما أعلنت الجمعية عن مسابقة لاختيار عدد من الطلاب لإرسالهم إلى جامعة الإمام الصادق فى طهران للتخصص فى الفقه الجعفرى، و تمّ اختيار (٨) طلاب.

و كانت و تيرة نشاط الجمعية فى تصاعد مستمر لولا الحادث المؤسف الذى حصل، ذلک ان وجود المشايخ الإيرانيين فى اللاذقية و نشاطهم و تنقلاتهم فى جبال اللاذقية أثار حفيظة نفر من المشايخ الذين يهمهم أن يبقى الشعب راتعا فى لجة الجهل لأن تثقيفه تثقيفا دينيا صحيحا، يعنى القضاء على نفوذهم و بالتالى حرمانهم من مكاسب مادية لا تعد و لا تحصى، لذلک هبوا يدافعون عن مصالحهم المهددة و راحوا يثيرون الشبهات حول وجود المشايخ الإيرانيين و يتقولون عليهم التقولات، و يرسلون إليهم التهديدات سرا، و يتصلون بالمسؤولين و يحرضونهم عليهم، و استطاعوا أن يوغروا صدر أحد المتنفذين و كان بينه و بين رئيس و أمين سر الجمعية الجعفرية عداوة فوضعه يده على الجمعية و حل مجلس إدارتها و شكل مجلس إدارة جديد. و هذه الأعمال قلصت نشاط المشايخ الإيرانيين كثيرا فى اللاذقية.

و نأمل أن تعود الحال إلى ما كانت عليه لما فى ذلک من فائدة عميمة للجميع ستنعكس آثارها إيجابيا فى المستقبل.

و ما دمنا بصدد الحديث عن الجمعية، فلا بد لنا من الإشارة إلى ما يقوم به المحسن الكبير السيد صبحى جود من تبرعات سخية للجمعية تستحق الشكر و الثناء. إذ هو دفع للجمعية زكاة الفطر عن عام ١٩٩٠/ م مبلغ عشرين ألف ليرة سورية، و عن عام ٩٩١/ م مبلغ ٧٥٠٠٠ ليرة سورية بالإضافة إلى ١٥٠ كيسا يحتوى كل كيس على كمية ٥ و ٢ كغ من السكر و ٥ كغ رز و ٢/ ١ كغ شاى و علبة سمنة صغيرة وزن ٢ كغ، على حين أن مديرية الأوقاف تبرعت للجمعية منذ تأسيسها إلى اليوم بمبلغ

ص: ١٨۴

بتراوح ما بين ٨ و ١٠ آلاف ليرة سورية[٢٥١].

## جمعية الامام على الرضا الخيرية فى جبلة:

تأسست هذه الجمعية فى عام ١٩٦٢/ م فى منطقتى جبلة و القرداحة، و مركزها جبلة، و هى تهدف إلى:

أ- بناء مساجد فى منطقتى جبلة و القرداحة.

ب- المساهمة فى الأعمال الخيرية كمساعدة أسر الشهداء، و الفقراء، و المساكين، و طلاب العلم، و بناء المستوصفات و دور العجزة و دور العلم و المكتبات العامة[٢٥٢].

و من ثمرات أعمال الجمعية بناء مسجدين فى جبلة، واحد فى حى الجبيبات باسم الإمام على الرضا عليه السّلام و الاخر فى حى العمارة باسم الإمام الحسين عليه السّلام.

كما أنها ساهمت ماديا فى بناء مسجد ثالث فى قرية بسيسين لم ينته العمل به، بعد.

و فى نصف شعبان ١۴١١/ ه أول آذار ١٩٩١/ م افتتحت الجمعية معهد الإمام الحسين عليه السّلام لتحفيظ و تدريس القرآن الكريم.

و نظرا إلى أن إيرادات الجمعية ضئيلة و هى تقوم على رسوم الإنتساب و رسوم الإشتراكات و الهبات و الإعانات و الوصايا و الأوقاف و التبرعات الخارجية بعد الموافقة عليها من وزارة الشؤون الإجتماعية و العمل و الموارد الأخرى التى يوافق عليها مجلس إدارة الجمعية[٢٥٣] فإن نشاطها محدود و يسير سيرا وئيدا، و هو يقتصر على الإحتفالات التى تقيمها بالمناسبات الدينية.

ص: ١٨٥

و من أبرز نشاطات الجمعية فى الآونة الأخيرة- صيف ١٩٩٠- الإعلان عن افتتاح دورة مجانية لتدريس القرآن الكريم و مبادىء الفقه الإسلامى.

و جاء فى الإعلان ما يلى:

بسم الله الرحمن الرحيم

---

[٢٥١] ( ١) عن هذه المجلة راجع مقالنا« المرشد العربى مجلة إسلامية مجهولة»- الثقافة الإسلامية- العدد ٣۴ جمادى الأولى- جمادى الثانية ١۴١١ ه، ت ٢، ك ١، ١٩٩٠.

[٢٥٢] ( ١) عن هذه المجلة راجع مقالنا« المرشد العربى مجلة إسلامية مجهولة»- الثقافة الإسلامية- العدد ٣۴ جمادى الأولى- جمادى الثانية ١۴١١ ه، ت ٢، ك ١، ١٩٩٠.

[٢٥٣] ( ٢) المادة ١ من النظام الداخلى للجمعية.

بيان رقم «۱».

إلى الشعب الكريم:

يسر جمعية الإمام على الرضا الخيرية فى جبلة أن تعلن أنها قررت فتح دورة مجانية لتدريس:

۱- قراءة القرآن الكريم: (قراءة و تجويدا) يقول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم: «خيركم من تعلم القرآن و علمه».

۲- مبادىء الفقه الإسلامى: من فرائض و سنن و أحكام (أصول الدين الإسلامى)- فروع الدين الإسلامى الطهارة- الصلاة ...

الخ .... عملا بقوله تعالى: لِيَتَفَقَّهُوا فِى الدِّينِ- التوبة ۱۲۲.

۳- الدورة تقبل طلاب مراحل التعليم الإبتدائى- الإعدادى- الثانوى و غيرهم.

۴- تدفع الجمعية ۱۰۰ مائة ليرة سورية فى نهاية كل شهر لكل طالب من طلاب المراحل المذكورة إذا كان دوامه كاملا.

۵- تقدم الجمعية لكل منتسب إلى هذه الدورة نسخ القرآن الكريم و كتب الفقه و القرطاسية بلا ثمن.

۶- تجرى الجمعية مسابقة فى نهاية كل شهر للطلاب فيما تعلموه و تعطى لكل من الفائز الأول و الثانى و الثالث هدية رمزية مناسبة.



۷- تفتح الدورة أبوابها فى السابع من شهر المحرم عام ۱۴۱۱ ه الموافق ۲۹ تموز ۱۹۹۰ م.

۸- على الراغب فى الإنتساب لهذه الدورة أن يحضر إلى مسجد الإمام الحسين عليه السّلام فى حى العمارة فى الساعة الخامسة مساء من كل يوم اعتبارا من ۲۲/ ۷ و لغاية ۲۸/ ۷/ ۱۹۹۰.

و ختاما نتوسل إليه سبحانه و تعالى أن يوفقنا إلى ما فيه خير الإسلام و المسلمين فى مشارق الأرض و مغاربها و السلام عليكم و رحمة اللّه و بركاته.

فى ۲۲/ ۷/ ۱۹۹۰.

مجلس إدارة جمعية الإمام على الرضا فى جبلة

ثم أعقبت هذا البيان ببيان ثان مؤرخ فى ۱۰ ربيع الثانى ۱۴۱۱/ ه ۲۹/ ۱۰/ ۱۹۹۰/ م جاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان رقم «۲».

إلى الشعب الكريم:

عطفا على بيان جمعية الإمام على الرضا الخيرية فى جبلة رقم «۱» تاريخ ۲۹ ذو الحجة/ ۱۴۱۰/ الموافق/ ۲۲/ ۷/ ۱۹۹۰.

و حرصا على أن تقدم الجمعية للأجيال الصاعدة ثقافة إسلامية قرآنية ...

رأينا أن تستمر الدورة المجانية مفتوحة فى معهد الإمام الحسين لتحفيظ القرآن «حى الإمام الحسين».

وفق التعليمات التالية:

ص: ۱۸۷

أولا: المواد التى تدرس هى:

أ- تحفيظ القرآن الكريم.

ب- مبادىء الفقه الإسلامى.

ج- دراسة طائفة من الأحاديث النبوية «الدينية و الإجتماعية» دارسة موسعة كقوله صلّى اللّه عليه و اله و سلّم:

الصلاة عمود الدين من أقامها فقد أقام الدين، و من تركها فقد هدم الدين.

و قوله: و الذى نفس محمد بيده لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، و لا تؤمنوا حتى تحابوا.

و قوله المسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا.

و قوله و قد سئل من أحب الناس إلى اللّه، فقال أحب الناس إلى اللّه أنفعهم للناس.

و قوله: كل المسلم على المسلم حرام: دمه و ماله و عرضه.

و قوله: من غش فليس منا.

و قوله: المحتكر ملعون. و شارب الخمر كعابد الوثن، و ما أسكر كثيرة فقليله حرام.

و قوله: و كونوا عباد اللّه إخوانا.

و قوله: من أحب اللّه و رسوله فلا يؤذ جاره إلخ .....

ثانيا: نظرا لانشغال الطلاب بمناهجهم المدرسية، فإن الدراسة ستقتصر على يوم الجمعة من الساعة التاسعة صباحا إلى ما قبل صلاة الظهر بثلث ساعة.

ثالثا: من الممكن إعطاء دروس بين صلاتى المغرب و العشاء

ص: ۱۸۸

للطلاب الراغبين بذلک.

رابعا: على الطالب الذى يود الإنتساب إلى الدورة أن يحضر مع وليه إلى معهد «الإمام الحسين» ليصار إلى تسجيل اسمه بعد تقديم طلب الإنتساب.

خامسا: الجمعية غير ملتزمة بدفع شيء من المال لاحد من الطلاب.

سادسا: كل طالب لا يتقيد بنظام المعهد تقيدا كاملا يفصل فورا.

سابعا: يبدأ التسجيل من/ ۱۳/ ربيع الثانى/ ۱۴۱۱/ ه.

الموافق/ ۱/ ۱۱/ ۱۹۹۰/ و ينتهى حتما فى ۲۳/ ربيع الثانى/ ۱۴۱۱ ه، الموافق/ ۱۵/ ۱۱/ ۱۹۹۰/.

أخذ اللّه بيدنا جميعا إلى ما يحب و يرضى.

/ ۱۰/ ربيع الثانى/ ۱۴۱۱/ ه، الموافق/ ۲۹/ ۱۱/ ۱۹۹۰/ م.

مجلس إدارة جمعية الإمام على الرضا الخيرية - جبلة

و من جليل أعمال الجمعية، قيامها بصورة مستمرة بتوزيع إعانات مادية شهرية للعائلات المستورة، و الفقيرة تتناسب مع إمكاناتها المادية من جهة و وضع و حالة كل أسرة من جهة أخرى. حيث تحتفظ، الجمعية بأسماء هذه العائلات فى سجل خاص لديها[۲۵۴].

ص: ۱۸۹

جمعية بانياس:

تأسست فى عام ۱۹۷۲.

و أهم أعمالها بناء مسجدين فى بانياس الساحل الأول مسجد الإمام الحسين عليه السّلام و الثانى مسجد السيدة الزهراء عليها السّلام.

---

[۲۵۴] ( ۱) حصلنا على هذه المعلومات من السيد مصطفى الخطيب أحد أعضاء الجمعية الجعفرية بطرطوس و العاملين فيها ..

## الجمعية الخيرية الاسلامية الجعفرية فى طرطوس:

تأسست فى أواخر عام ١٩٧٢/ م فى طرطوس، و تشمل دائرة نشاطها منطقتى صافيتا و الدريكيش، و لغاية الغاية أنشأت فرعين لها، واحد فى صافيتا و الثانى فى الدريكيش.

و كان الغرض من إنشاء الجمعية:

١- العمل على نشر الثقافة الإسلامية و الأخلاقية بكل الوسائل الممكنة كإيجاد مكتبة و مجلة.

٢- بناء المساجد و ترميمها و الإنفاق عليها.

٣- إنشاء المستوصفات الخيرية و دور العجزة.

۴- مساعدة الفقراء و المنكوبين.

۵- بث فكرة التقارب بين كافة الفئات فى المنطقة.

۶- العمل على إيجاد مقابر حيث تدعو الحاجة.

و قد قامت الجمعية بشراء قطعة أرض مساحتها ١١١٩ مترا مربعا فى منطقة الغمقة الغربية بطرطوس و باشرت ببناء جامع عليها باسم الإمام الحسين عليه السّلام و بناء مستوصف. تبرع ببنائهما السيدة سجيعة حسين و زوجها السعودى السيد محمد عبد اللطيف جميل.

و الجامع، اليوم، فى مراحله الأخيرة، و سيحتفل قريبا بافتتاحه.

و بالإضافة إلى هذا الجامع، ساهمت الجمعية مساهمة كبيرة و فعالة فى

ص: ١٩٠

بناء عدد آخر من المساجد فى بعض قرى منطقة طرطوس هى: برمانة المشايخ سجنو، مطرو، التفاحة ... كما افتتحت فى عام ١٩٨٨ معهدا لتحفيظ القرآن الكريم، و أعلنت عن جوائز مادية تشجيعية مقدارها خمسمائة ليرة سورية لمن يحفظ جزءا من أجزاء القرآن الكريم.

و من نشاطات الجمعية أيضا انها وزعت ۴٠٠ نسخة من كتاب الصلاة على المذهب الجعفرى مع عدد كبير من المصاحف على جوامع طرطوس و منطقتها و المنتسبين إلى الجمعية.

و من جهة أخرى، تقوم الجمعية بافتتاح دورات تدريبية لأئمّة مساجد منطقة طرطوس، كلما دعت الحاجة إلى ذلك. و هذا عمل جليل لم نجد له مثيلا فى أى جمعية أخرى.

و من أعمال الجمعية أيضا:

١- تقديم مساعدات مادية للمحتاجين و العائلات المستورة بشكل رواتب شهرية.

٢- للجمعية سيارة إسعاف خاصة هى الوحيدة من نوعها فى طرطوس تضعها تحت تصرف جميع فئات الشعب لنقل المصابين و المرضى و الموتى إلى أية منطقة من مناطق سورية، و فى أية ساعة من ساعات الليل أو النهار.

٣- تدعو الجمعية إلى التقارب بين جميع فئات الشعب، و ذلک من خلال المناسبات الدينية، و الإحتفالات الأخرى و هى تنسق أعمالها بهذا الخصوص مع مديرية الأوقاف الإسلامية فى طرطوس و غيرها من الهيئات الدينية[٢٥٥].

أما مالية الجمعية، فتقوم على الإشتراک و التبرعات و رسوم

ص: ١٩١

الإنتساب. و هى تتلقى مساعدات مادية محدودة من وزارة الأوقاف الإسلامية، و تتلقى من مديرية الشؤون الإجتماعية و العمل اعانة مالية مقدارها ٥٠ ألف ليرة سورية فى كل عام. و هذا المبلغ زهيد و لا يعد شيئا مذكورا تجاه الأعمال الكبيرة التى تقوم بها الجمعية. و هى تقديم المساعدات المالية للفقراء و المحتاجين و العائلات المستورة.

### فرع الجمعية الخيرية الاسلامية الجعفرية فى صافيتا:

أنشئت الجمعية الخيرية الإسلامية الجعفرية فى صافيتا فى أواخر عام ١٩٧٢، و كانت فى مبدأ الأمر فرعا من الجمعية الخيرية الإسلامية الجعفرية فى طرطوس، و لانها أظهرت نشاطا فاق نشاط جمعية طرطوس، الجمعية الأم، رأى المشرفون على الجمعيات فى مديرية الشؤون الإجتماعية و العمل فصلها عنها، و ذلک بتاريخ ١۴ تموز ١٩٧٥، و تم شهرها تحت رقم (١٠٠٠) باسم «فرع الجمعية الخيرية الإسلامية الجعفرية فى صافيتا» و يتناول نشاطها مدينة صافيتا و قراها[٢٥۶]. و أغراض الجمعية، هى نفس أغراض الجمعية الجعفرية بطرطوس باعتبارها كانت فرعا منها.

و قد تفوقت جمعية صافيتا على جميع الجمعيات الجعفرية فى الساحل بأعمالها و منجزاتها التى هى لحد الآن:

١- بناء جامع كبير فى صافيتا باسم جامع الإمام الحسين عليه السّلام و هو الجامع الوحيد فى صافيتا و لو لا وجود الجمعية، لكان من الصعب بناء جامع فى صافيتا لاسباب كثيرة.

٢- إفتتاح مأوى للعجزة.

٣- إفتتاح حسينية واسعة لإقامة المناسبات الدينية و القومية.

ص: ١٩٢

---

[٢٥٥] ( ١) نظام الجمعية الداخلى.

[٢٥۶] ( ١) من رسالة السيد محمد حسن هلال رئيس الجمعية الجعفرية بصافيتا.

۴- إيجاد مقبرة واسعة على مشارف صافيتا من جهة الشرق استملكتها الجمعية من أملاک الدولة و بنت فيها غرفتين لإيواء المشيعين فى الأيام الماطرة.

۵- الحصول على سيارة إسعاف خاصة لنقل المرضى و الموتى.

۶- قدمت الجمعية مساعدات مالية لبناء عدة جوامع فى القرى المجاورة، و هى تقوم بدفع مساعدات مالية شهرية لأئمّة و مؤذنى هذه الجوامع.

۷- تقدم الجمعية إعانات شهرية للعائلات الفقيرة و المستورة و للمحتاجين إلى جانب ما تقدمه فى المناسبات الدينية و الأعياد.

أما مفخرة أعمال الجمعية فهو مستشفى المجتبى الخيرى الذى بنته فى مشارف صافيتا من جهة الغرب. و هو مؤلف من طابقين و يضم أكثر من خمسين سريرا و غرفتين للعمليات واحدة منها للجراحة النسائية و التوليد.

و المستشفى مزود بجهاز أشعة و مخبر تحاليل.

و يعمل فى المستشفى أكثر من عشرين ممرض و ممرضة و طبيبان دائمان، عدا عن الأطباء الإختصاصيين الذين يجرون عملياتهم الجراحية بأنواعها فى المستشفى.

و يقدم المستشفى العلاج مجانا للفقراء كما يتقاضى أجورا تتناسب مع الوضع المادى لكل مريض و فى المستشفى غرفة إسعاف للعموم تقدم العلاج و التطبيب مجانا للناس.

و مما يسجل للجمعية، و هو من مآثرها الحميدة، بث فكرة التقارب بين المسلمين و المسيحيين فى صافيتا، و قد أجرت الجمعية الكثير من اللقاءات بين الطائفتين، و تقديرا لجهود الجمعية فى هذا المجال خصها البطريرک هزيم بطريرک الروم الأرثوذوكس بزيارة خاصة عندما زار صافيتا منذ عشرة أعوام و بارک لها عملها. و هذه لفتة كريمة تحمل الكثير من الدلالات و المعانى.

ص: ۱۹۳

من هذا العرض الموجز لنشاط و أعمال الجمعيات الجعفرية فى الساحل، يتبين لنا أنّ محور اهتمام هذه الجمعيات كان بناء المساجد ثم الأعمال الخيرية. و هى أعمال تشكر عليها، و لا شک، لكنها فى مقابل ذلک تهاونت كثيرا فى أمور بغاية الأهمية، منها: بناء الإنسان الذى يؤمّ المساجد التى سعت الجمعيات إلى بنائها و تشييدها. و منها أيضا، عدم قيامها بأى عمل من شأنه نشر و تعميم المذهب الجعفرى.

فمن جهة، كان لكل طائفة من الطوائف الدينية فى الساحل السورى مدرسة خاصة بها مارست من خلالها نشر و تعليم مبادىء مذهبها الدينى بكل حرية.

و هى:

المدرسة/ نوعها/ مكانها/ الطائفة العائدة لها المدرسة

الأميركان/ ذكور/ اللاذقية/ الإنجيلية (البروتستانت)

الأميركان/ إناث/ اللاذقية/ الإنجيلية

الأرض المقدسة/ ذكور/ اللاذقية/ الكاثوليک (تيرّا سانتا)

العائلة المقدسة/ السانت فامی)/ إناث/ اللاذقية/ الكاثوليک

الكرمليت/ إناث/ اللاذقية/ يسوعيون

الروم/ إناث/ اللاذقية/ أرثوذوكس

الروم/ ذكور/ اللاذقية/ أورثوذوكس

الأورثوذكسية الوطنية/ ذكور/ اللاذقية/ أورثوذوكس

الخيرية الإسلامية/ ذكور/ اللاذقية/ إسلام سنة

ص: ۱۹۴

المدرسة/ نوعها/ مكانها/ الطائفة العائدة لها المدرسة

العائلة المقدسة (السانت فامی)/ إناث/ بانياس/ كاثوليک

اللاييک (العلمانية)/ ذكور/ طرطوس/ يسوعيون

و غيرها ... و غيرها ...

بينما لم تنشیء الجعفرية فی اللاذقية، و هی من أقدم الجمعيات فی الساحل، أی مدرسة خاصة بها، علما بأن أغراض الجمعية، وفق نظامها الداخلی «تشييد المدارس الدينية و تعميم التعليم الدينی فی مدارس العلويين علی مذهبهم الجعفری»[۲۵۷].

و لو أنّ الجمعية الجعفرية باللاذقية افتتحت منذ إنشائها، مدرسة خاصة بها مارست من خلالها التعليم الدينی علی مقتضی المذهب الجعفری لكان تخرج منها أجيال و أجيال و لكان لها اليوم دورها و نفوذها فی المجتمع، كانت دعائم قوية للمذهب الجعفری. لكن الجمعية لأسباب غير مفهومة تهاونت فی هذه الناحية و هذا من المآخذ عليها.

---

[۲۵۷] ( ۱) نظام الجمعية الداخلی.

و لربما احتج بضعف إمكاناتها المادية لكن هذا العذر لا يعفيها من مسؤولية التقصير خاصة و أنّ الأرض التى بنت عليها جامع الإمام جعفر الصادق كبيرة و بالإمكان اقتطاع جزء من هذه الأرض و بناء مدرسة عليه.

و من المآخذ أيضا أنّ الجمعية تهاونت فى البعثات العلمية إلى الحوزات الدينية فى العراق فهى بعد بعثتها الأولى التى تخرج منها كل من: محمود مرهج و فضل غزال و سليمان عباس و أحمد زكى



تفاحة. لم ترسل أى طالب علم. و هذا تقصير ليس له ما يبرره إطلاقا.

و من جملة المآخذ أيضا، أنّ أعضاء الجمعية و أكثرهم من المشايخ الأجلاء ممن يتمتعون بالسمعة الطيبة و المكانة المرموقة فى محيطهم الإجتماعى، لم يبذلوا جهودا كافية فى سبيل نشر المذهب الجعفرى، و لم يدعوا إليه بحزم و عزم قويين و بمواقف صلبة. قال سيدنا جعفر الصادق عليه السّلام رحم اللّه قوما كانوا سراجا و منارا، كانوا دعاة إلينا بأعمالهم و مجهود طاقتهم[۲۵۹].

و أهم من هذا و ذاک، فإن الجمعية لم تقف موقفا حازما من المتشيخين، بل جاملتهم كثيرا الأمر الذى سمح لهم أن يمارسوا نفوذهم بكل حرية و يصبحوا قوة ذات نفوذ فى الأوساط الشعبية الأمية و كان بإمكان الجمعية، الحد من نشاط هؤلاء و القضاء على نفوذهم بمنتهى السهولة و اليسر خاصة و انه كان بيدها سلاح ماض هو المرسوم التشريعى رقم (۳۳) و تعديلاته بخصوص تنظيم لباس رجال الدين المسلمين. لأن اللجنة التى تشكلت بموجب هذا المرسوم لفحص كفاءة المتزيين بالكسوة الدينية، هى رئيس الجمعية و بعض أعضائها.

و لو قامت هذه اللجنة بدورها على الوجه الصحيح و الأكمل بدون مجاملة لتغيرت أمور كثيرة، و لما رأينا اليوم هذا العدد الكبير جدا ممن يرتدون الزى الدينى بدون كفاءة كالتى أوجبها المرسوم التشريعى رقم (۳۳) و تعديله رقم (۳) و القرار رقم (۸). لكن الجمعية بتساهلها و تهاونها مع هؤلاء فوتت على نفسها فرصة تاريخية لا تعوض، مما سمح لهؤلاء المشايخ بأن يمارسوا دورا بكل حرية، حتى أصبحوا مع الأيام قوة ذات نفوذ حقيقى و تأثير فعال، و أكبر دليل على قوتهم و نفوذهم انهم استطاعوا أن يجمدوا نشاط الجمعية الجعفرية باللاذقية الذى انطلقت به خطوات



كبيرة إلى الأمام، و ان يفسدوا عليها مساعيها و هكذا، و بكل أسف نقول:

---

[۲۵۸] عثمان، هاشم، تاريخ التشيع فى ساحل بلاد الشمالى، ۱جلد، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات - بيروت، چاپ: اول، ۱۴۱۴ ه.ق.

[۲۵۹] ( ۱) ابن شعبة الحرانى- تحف العقول عن آل الرسول ص ۲۲۱.

إن الجمعيات الجعفرية فى الساحل، لم تفعل شيئا فى سبيل المذهب الجعفرى و تعميمه و كان ينتظر منها الشىء الكثير.

و إذا كانت ثمة عوائق وقفت فى طريقها، فإن بعض هذه العوائق كان بسبب تهاونها و تساهلها و تقصيرها و اليوم، يتعين على الجمعيات الجعفرية، أن تقوم بعملية مراجعة شاملة لخططها و أساليب عملها و تبدأ نشاطها من جديد على أسس واقعية مدروسة بعناية و بدقة، مستفيدة من تجارب الماضى، و قل اعملوا فسيرى اللّه عملكم و رسوله و المؤمنون.

ص: ١٩٧

## الفصل الرابع* بعض أعلام الشيعة فى الساحل و مؤلفاتهم

ص: ١٩٩

بعض أعلام الشيعة فى الساحل و مؤلفاتهم و فى ختام هذه الدراسة، نستعرض بصورة موجزة جدا سيرة بعض المؤلفين من الشيعة المعاصرين فى الساحل و آثارهم المطبوعة التى تدور حول أهل البيت عليهم السّلام و الفقه الجعفرى.

### الشريف عبد اللّه (ت: ١٣٩٥/ ه- ١٩٧٥/ م):

يرجع إليه الفضل فى تأسيس الجمعية الجعفرية باللاذقية، يرجع نسبه إلى سيدنا أمير المؤمنين على عليه السّلام وفق التسلسل التالى:

عبد اللّه، بن حسن، بن فضل، بن علوى، بن محمد، بن سهل، بن محمد، بن أحمد، بن سليمان، بن عمر، بن محمد، بن سهل، بن عبد الرحمن مولى خيله، بن عبد اللّه، بن علوى، بن محمد مولى الدويله، بن على، بن محمد الفقيه المقدم، بن على، بن محمد صاحب مرباط، بن على، بن علوى، بن محمد، بن علوى، بن عبد اللّه، بن أحمد المهاجر، بن عيسى، بن محمد، بن على العريضى، ابن سيدنا الإمام جعفر الصادق، ابن سيدنا الإمام محمد الباقر، ابن سيدنا الإمام على زين العابدين، ابن سيدنا أمير المؤمنين

ص: ٢٠٠

الحسن ابن السيدة فاطمة الزهراء بنت سيد المرسلين سيدنا محمد صلّى اللّه عليه و اله و سلّم و ابن أمير المؤمنين سيدنا على بن أبى طالب عليه السّلام[٢٦٠].

كان الشريف عبد اللّه من العلماء الأفذاذ، غزير المادة قوى الحجة، قضى عمره فى نشر الثقافة الإسلامية و العمل على وحدة الصف الإسلامى و التقريب بين المذاهب.

أصدر فى اللاذقية سنة ١٣٤٧/ ه- ١٩٢٩/ م- مجلة المرشد العربى التى ساهمت مساهمة فعالة فى نشر الثقافة الإسلامية الصحيحة. كما أصدر عددا من المؤلفات القيمة، هى:

---

[٢٦٠] ( ١) راجع عن نسب الشريف عبد اللّه كتابه صدق الخبر فى خوارج القرن الثانى عشر.

١- كتاب صدق الخبر فی خوارج القرن الثانی عشر، طبع فی مطبعة کومین باللاذقیة سنة ١٣٤٦/ ١٩٢٨/ م.

و هو من الکتب الهامة و المراجع الأساسیة فی الرد علی الوهابیة.

٢- حکم مبتدع معتقدات القادیانیین، طبع فی مطبعة کومین باللاذقیة سنة ١٣٥٠/ ه- ١٩٣٢/ م.

کراس یتضمن جواب الشریف علی سؤال ورد إلیه من دمشق عن حکم مبتدع معتقدات القادیانیین و مؤیدی دعوته و ناشری کلمته.

٣- تحت رایة لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه، طبع فی مطبعة الإرشاد باللاذقیة سنة ١٣٥٧/ ه- ١٩٣٨/ م.

۴- کما نشر الشریف العدید من المنشورات الإصلاحیة بمواضیع شتی، وزعها فی مناسبات شتی نحتفظ فی ارشیفنا بالعدید منها.

توفی الشریف عبد اللّه، رحمة اللّه علیه، ضحی یوم الخمیس ١ ذی الحجة ١٣٩٥، ۴ کانون الأول ١٩٧٥ و دفن فی الست زینب قرب جدته.

ص: ٢٠١

❊ الشیخ عبد العزیز کنعان:

من عائلة سنیة معروفة فی قریة الزنقوفه، قرب الحفة، منطقة اللاذقیة. دفعه حبه لآل البیت إلی اعتناق المذهب الشیعی و دراسة الفقه الجعفری فی النجف الأشرف.

کان من دعاة المذهب الجعفری المخلصین، و قد لاقی بسبب ذلک کثیرا من العنت و الإضطهاد و حورب محاربة بشعة.

کان إماما و خطیبا لجامع صلنفة و الحفة و مدرسا دینیا فی الحفة و اللاذقیة.

توفی رحمه اللّه فی مطالع الثمانینات و خلف لنا من آثاره القلمیة کراسین صغیرین جمع فیهما بعض خطبه و دروسه الدینیة التی ألقاها علی طلبة العلم من تلامیذه، و هما:

١- مکانة الأخلاق ١٩۴٧/ م و عنوان هذا الکراس یدل علی مضمونه.

٢- جبریل یسأل و الحبیب محمد یجیب ١٩۶٩/ م.

❊ الشیخ عبد الرّحمن الخیر:

(١٣٢٢/ ه- ١۴٠۶/ ه- ١٩٠۴/ م- ١٩٨۶/ م):

سليل عائلة معروفة اشتهرت بالعلم و الثقافة و المشيخة.

ولد فى القرداحة، التابعة لمنطقة اللاذقية، سنة ١٣٢٢/ ه- ١٩٠٤/ م- تعلم ككل أبناء القرى فى الكتّاب ثم فى المدرسة الرشادية بالقرداحة ثم فى العنازة.

نال شهادة أهلية التعليم- القسم الثانى عام ١٩٣١. و عمل معلما مدة من الزمن ثم استقال عام ١٩٤٣ ليعمل فى مديرية إدارة حصر التبغ

ص: ٢٠٢

و التنباك فى اللاذقية و بقى فى وظيفته حتى تقاعد فى عام ١٩٦٣/ م.

أقام بدمشق بصورة دائمة، و عمل بوزارة الأوقاف بصفة مدرس دينى.

استغلت بعض جهات السوء شهرته الأدبية و مكانته العلمية و الدينية و نشرت بتوقيعه مقالا خبيثا ينم عن سوء طوية، و يقصد به زرع العداوة و البغضاء فى النفوس و تهييجها و بث الفرقة.

شهر قلمه فى وجه المنحرفين و الدساسين و مثيرى النعرات الطائفية البغيضة إمّا عن جهل أو عن سوء نية و له فى هذا المجال صولات و جولات.

توفى رحمه اللّه فى دمشق صبح الخميس ١٨ حزيران ١٩٨٦، ١١ شوال ١٤٠٦/ ه و دفن بناء على وصيته فى مقبرة الست زينب.

له العديد من المؤلفات من أبرزها:

١- كتاب الصلاة و الصيام وفق المذهب الجعفرى و هو من أشهر مؤلفاته طبع أول مرة سنة ١٣٨٣- ١٩٦٣/ م و أعيد طبعه مرات عديدة آخرها فى عام ١٩٩١/ م (الطبعة الثامنة).

٢- تحفة المؤمن فى فضل يوم الجمعة و أشهر رجب و شعبان و رمضان و الأعمال و الأذكار المسنونة فيها طبع سنة ١٣٨٦/ ه- ١٩٦٦/ م.

و هو كتاب فريد فى بابه، جعل ريعه لحساب مسجد الإمام جعفر الصادق عليه السّلام فى اللاذقية.

٣- من نداء الإيمان.

مجموعة من مقالات الشيخ التى نشرها فى الصحف و أذيعت من الإذاعة.

٤- موقف الإسلام من الإجهاض و التعقيم.

ص: ۲۰۳

۵- مناسک الحج علی المذاهب الخمسة طبعته وزارة الأوقاف بدمشق سنة ۱۴۰۰/ ه- ۱۹۸۰/ م.

۶- من تراث الشیخ عبد الرحمن الخیر.

مجموعة من مقالات الشیخ جمعها و نشرها بعد وفاته ابنه هانی الخیر سنة ۱۹۸۷/ م.

۷- و للشیخ مؤلفات مخطوطة کثیرة نأمل أن تری النور قریبا إن شاء اللّه.

❊ محمد علی اسبر:

ولد فی قریة بشکوح من أعمال جبلة سنة ۱۹۱۵/ م. تلقی تعلیمه الإبتدائی فی قریة عین الشقاق أصبح فی عام ۱۹۴۵ معلما فی المدارس الإبتدائیة، ثم ترک التعلیم و التحق بالوظیفة محاسبا فی مدیریة منطقة جبلة.

أحیل علی التقاعد لبلوغه السن القانونی عام ۱۹۷۵ فانصرف للکتابة و التألیف.

من مؤسسی جمعیة الإمام علی الرضا الخیریة فی جبلة و هو الیوم رئیسها.

تصدی بجرأة نادرة لانحرافات المشایخ و ألف ضدهم کتابه المشهور [تقالیدنا و عاداتنا].

و قد حاربه المشایخ من أجل هذا الکتاب محاربة شدیدة و اعتبروه مرتدا و ألفوا ضده کتابا مخطوطا بعنوان [الرد علی المرتد].

یعتبر محمد علی اسبر من أبرز کتاب الساحل السوری و أکثرهم شهرة فی العالم الإسلامی.

و قد أغنی المکتبة الإسلامیة بالعدید من المؤلفات الهامة التی لاقت قبولا منقطع النظیر من أبرزها:

ص: ۲۰۴

۱- أبو طالب عملاق الإسلام الخالد ۱۳۹۶/ ه- ۱۹۷۶/ م.

۲- سطور مضیئة من الإمام الصادق و حیاتنا و تقالیدنا ۱۹۸۰/ م.

۳- هل قرأت أبا ذر ۱۹۸۱/ م.

۴- أهل بیت رسول اللّه فی دراسة حدیثة ۱۹۹۰ و هو من أجل کتبه و قد نفدت نسخه بعد أقل من شهرین من صدوره.

۵- أجداد رسول اللّه ۱۹۹۱/ م.

۶- بطلا العقيدة و الجهاد حمزة بن عبد المطلب، جعفر بن أبی طالب ۱۹۹۱/ م.

۷- علی فی القرآن و السنة ۱۹۹۲/ م.

❊ الشيخ سلمان حسن سلمان:

ولد فی عام ۱۹۱۷/ م فی قرية بسين بمنطقة القرداحة، درس علی شيوخ القرية.

خضع للفحص الدينی الذی أجرته اللجنة المكلفة بذلک بموجب القرار رقم/ ۸/ تاريخ ۱۷ شوال ۱۳۷۱- ۹ تموز ۱۹۵۲ فنجح و اعطته اللجنة ارتداء كسوة رجال الدين المسلمين علی المذهب الجعفری من مؤلفاته:

رحلة الحج إلی بيت اللّه الحرام و البلد الأمين طبع فی بيروت سنة ۱۹۷۴/ م.

❊ الشيخ محمود صالح:

خطيب جامعی الزهراء و الحسين عليه السّلام فی بانياس.

من مؤلفاته:

۱- النبأ اليقين عن العلويين ۱۳۸۱/ ه- ۱۹۶۱/ م.

ص: ۲۰۵

و كتابه هذا يذكرنا بكتاب محمد أمين غالب الطويل (تاريخ العلويين) نظرا لتشابه المواضيع بين الكتابين.

۲- المختصر الجامع فی الفقه الجعفری.

أصدره بالإشتراک مع الشيخ عبد اللطيف الخير سنة ۱۳۷۱/ ه- ۱۹۵۲/ م- و خصصا جزءا من ريعه للجمعية الخيرية الجعفرية باللاذقية.

❊ الشيخ كامل حاتم:

ولد شيخنا فی قرية بسنادا التابعة لمنطقة اللاذقية سنة ۱۹۲۰/ م تلقی تعليمه الأولی علی والده ثم تابع تعليمه فی مدرسة القرية.

كان من مؤسسی الجمعية الجعفرية باللاذقية و كان أحد أعضاء اللجنة التی تشكلت بموجب القرار رقم/ ۸/ تاريخ ۱۷ شوال ۱۳۷۱، ۹ تموز ۱۹۵۲ لفحص كفاءة المتزينی بالكسوة الدينية علی المذهب الجعفری.

يقيم الشيخ منذ مدة طويلة فی قرية مشقيتا التابعة لمنطقة عين البيضا.

له العديد من المؤلفات الدينية و التربوية منها:

١- الموجز المبين فى معرقة أصول و فروع الدين على مقتضى الفقه الجعفرى طبع باللاذقية سنة ١٣٧١/ ه- ١٩٥١/ م.

٢- كتاب علىّ فى الواجب و الأخلاق و الفضيلة مطبوع فى اللاذقية سنة ١٣٨٢/ ه- ١٩٦٢/ م.

٣- الموجز المبين فى المعاملات على مقتضى الفقه الجعفرى مطبوع فى اللاذقية سنة ١٩٦٥/ م.

٤- يا آل طه قصيدة طويلة مطبوعة فى كراس صغير الحجم لم يذكر تاريخ الطبع.

ص: ٢٠٦

٥- كلماتى مطبوع سنة ١٩٧٥.

٦- الحج و العمرة على مقتضى المذهب الجعفرى، مطبوع فى دمشق ١٩٩٠/ م.

❊ الشيخ محمود مرهج الفاطمى:

ولد سنة ١٩٢٩/ م فى قرية بحنين لعائلة معروفة بالعلم و الأدب فى محيطها- أعمال طرطوس- درس الفقه الجعفرى فى النجف الأشرف و كان أول طالب فى الساحل يدرس فى النجف.

يعمل حاليا إماما و خطيبا لجامع أمير المؤمنين على عليه السّلام فى طرطوس.

من مؤلفاته:

١- أصفى المناهل فى جواب السائل، لم يذكر تاريخ الطبع.

و هو يتضمن أجوبة الشيخ على بعض الأسئلة الدينية التى طلب منه الجواب عليها.

٢- النشر الجوهرى الموجز عن أحكام المذهب الجعفرى ١٩٦٤/ م.

٣- جميع المعلومات عن الأعلام الذين تحدثنا عنهم مأخوذة من كتابينا: معجم المؤلفين فى ساحل السورى و الحياة الأدبية فى ساحل السورى الماثلين للطبع.

ص: ٢٠٧

الفهرس

المقدمة ٥

الفصل الأوّل ۷

إقليم الشام ۹

الفصل الثانى ۱۳

معنى الشيعة ۱۵

الفصل الثالث ۲۳

بداية ظهور الشيعة فى ساحل الشام ۲۵

عهد الإزدهار ۳۳

الامارة التنوخية فى اللاذقية ۳۵

آل عمار القضاة فى طرابلس ۴۷

الحياة الثقافية فى عهد آل عمار ۷۱

الدولة الإسماعيلية بمصياف ۸۱

الحياة الثقافية فى عهد الدولة الإسماعيلية ۹۵

دور الأفول و النكبات المتلاحقة ۱۰۸

ص: ۲۰۸

دور الإنبعاث ۱۱۴

تأسيس الجمعيات الجعفرية فى الساحل و دورها فى إحياء المذهب الجعفرى ۱۵۹

الفصل الرابع ۱۹۷

بعض أعلام الشيعة فى الساحل و مؤلفاتهم ۱۹۹

الفهرس ۲۰۷[۲۶۱]

[۲۶۱] عثمان، هاشم، تاريخ التشيع فى ساحل بلاد الشمالى، ۱جلد، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات - بيروت، چاپ: اول، ۱۴۱۴ ه.ق.